

**دراسات في تاريخ المدن الأندلسية**  
**(فريش - أبزة - شقورة - جنجالة)**

جميع الحقوق محفوظة

الكتاب: دراسات في تاريخ المدن الأندلسية (٦)

(فريش - أبدة - شقورة - جنجاله)

المؤلف: الأستاذ الدكتور جاسم ياسين الدرويش

الأستاذ الدكتور حسين جبار العليايوي

الطبعة الأولى: ٢٠١٩

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠ - ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

سلسلة رقم (٦)

# دراسات في تاريخ المدن الأندلسية

(فريش – أبذة – شقورة – جنجالة)

الأستاذ الدكتور

الأستاذ الدكتور

حسين جبار العلياي

جاسم ياسين الدرويش

جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم التاريخ



## المقدمة

بدأ فتح المسلمين لشبه الجزيرة الأيبيرية في سنة ٧١٠هـ/٧١٠م واستمر نفوذهم هناك حوالي ثمانية قرون ، فاختلطوا مع سكان البلاد الأصليين واشتركوا معم في إعمار الأرض وبناء المدن والقرى والحصون ، وأسهموا في البناء الحضاري للبلاد وعلى مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والفكرية.

وتعد المراكز التمدنية التي أقاموها واحدة من أهم إنجازاتهم الحضارية ، فلا تزال تلك المراكز شامخة شاهدة على ذلك إلى اليوم بما تركته من آثار ومسميات تحمل بصمات المسلمين ، وخصوصية تلك المراكز التمدنية في الأندلس أن مع كل واحدة منها قصة تبدأ بالفتح وتنتهي بالسقوط ، وربما لا نجد لهذا شبيه في بقية المدن الإسلامية ، ومن هنا جاء دراساتنا للمدن الأندلسية ، ففي هذا الكتاب تناولنا فيه مدن فريش وأبذة وشقورة وجنجاله ، ومعظم هذه المدن قريبة من العاصمة قرطبة ، وسلطنا الضوء في كل مدينة عن جغرافيتها التاريخية وموقعها ونشاطها الاقتصادي ، ثم تاريخها السياسي حتى سقوطها بيد النصارى ، ثم أهم إسهامات أهلها الفكرية ، وهذا الكتاب هو السادس من سلسلة دراسات في تاريخ المدن الأندلسية.



# مدينة فريش Fresh الأندلسية

(٩٢ - ٥٦٣٢ هـ / ٧١٠ - ١٢٣٤ م)



## أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة فريش Fresh:

فريش مدينة أندلسية ضبطها ياقوت بقوله: ((بكسر أوله وثانيه ، وسكون ثالثة ثم شين معجمة))<sup>(١)</sup> ، وفريش لغة تعني ما انبسط على وجه الأرض من النبات ، ولم يقم على ساق ، كما تعني الطريقة المطمئنة من الأرض ولا يكون ذلك إلا فيما اتسع من الأرض واستوى وأصح<sup>(٢)</sup> ، ولعل اسمها جاء من طبيعة أرضها إذ وصفها المصادر أنها ذات مروج كثيرة<sup>(٣)</sup> ، والمرج هي الأرض الواسعة ذات النبات الكثير تخرج فيها الدواب<sup>(٤)</sup> والجمع مروج<sup>(٥)</sup> ، ولا يوجد اختلاف في تسميتها سوى أن المقدسي (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) أسماها قرسيس<sup>(٦)</sup> ، وشيخ الربوة أسماها قريش<sup>(٧)</sup> ، فيما يبدو أن ذلك كان تصحيحاً.

ولم تشر المصادر المتوفرة لدينا إلى أنها قديمة أم مُحدثة في الإسلام ، والراجح أنها قديمة ، إذ أشار الحميري إلى أن بها قرية

---

(١) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٥.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ٣١١/١٧ (مادة فرش).

(٣) ابن غالب، فرحة الأنصص، ص ٢١؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٦٤؛ ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع، ١٢٥٥/٣؛ الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٨/٦ (مادة مرج).

(٤) الضراهيدي، العين، ١٢٠/٦ (مادة مرج).

(٥) الزبيدي، تاج العروس، ٢٠٧/٦ (مادة مرج).

(٦) أحسن التقاسيم، ص ٢٣٤.

(٧) نخبة الدهر، ص ٣٢٢.

تعرف بقسطنطينية ((كانت مدينة عظيمة أولية ، وفيها آثار كنائس ويُقال إنها بُنيت في أيام قسطنطين<sup>(١)</sup> ملك الروم))<sup>(٢)</sup>.

أما موقعها فيمكن تحديده من خلال تتبع العديد من النصوص في ذلك ، فابن غالب (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ذكر أن فريش تقع غرب فحص البلوط , Los Pedroches<sup>(٣)</sup> وقرطبة Cordoba<sup>(٤)</sup> ، وقال ابن الخراط (ت ٥٨٢هـ / ١١٨٦م): إنها موضع بالأندلس بين الجوف والغرب من قرطبة<sup>(٥)</sup> ، فيما كان ياقوت أكثر تحديداً إذ قال: ((مدينة ((مدينة بالأندلس غربي فحص البلوط بين الجوف والغرب من قرطبة وأكثر انحرافها إلى الغرب))<sup>(٦)</sup> ، ومن النصوص أعلاه يمكن القول إن فريش تقع إلى الشمال من قرطبة مع انحراف إلى الغرب باتجاه ماردة Merida<sup>(٧)</sup> ، وقد أشار إلى ذلك ابن غالب بقوله إن كورة ماردة تتصل بأحواز فريش<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) حكم الإمبراطور قسطنطين الدولة الرومانية للمدة من ٣٠٦ - ٣٣٧ م ، عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ص ٤٠ - ٤٤ .
  - (٢) الروض المعطار، ص ٤٤٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٠٦ .
  - (٣) فحص البلوط كورة تقع إلى الشمال الغربي من قرطبة بينهما مسافة يومان، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٤٧ .
  - (٤) فرحة الأنفس، ص ٢٠ .
  - (٥) اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٠٦ ؛ ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٤٠ .
  - (٦) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٥ .
  - (٧) ينظر الخارطة. وماردة قال ابن غالب: من مدن غرب الأندلس ، وبينها وبين قرطبة خمسة أيام ، فرحة الأنفس، ص ٢١ .
  - (٨) فرحة الأنفس، ص ٢١ .

أما المسافات بينها وبين أمهات المدن الأندلسية وتحديدًا ، فالمقدسي ذكر أنها تقع على ستين ميلاً<sup>(١)</sup> من قرطبة<sup>(٢)</sup> ، فيما ذكر ابن الخراط أن بينها وبين قرطبة أربعون ميلاً<sup>(٣)</sup> ، وإلى ذلك ذهب الحميري أيضاً<sup>(٤)</sup> ، ولعل التباين أعلاه في قياس المسافة بينها وبين قرطبة الواردة في المصادر ليس كبيراً حسب قياسات ذلك الوقت ، وقد اتفقت معظم المصادر على أنها من مدائن قرطبة وتوابعها<sup>(٥)</sup> .

أما من الناحية التمدنية ، فقد تنوعت الإشارة إليها ، فعندما عدّ المقدسي المناطق المحيطة بقرطبة قال: إنها أقاليم وذكر منها فريش<sup>(٦)</sup> ، وابن حيان عند حديثه عن أحد ولايتها قال إنها كورة<sup>(٧)</sup> ، وأشار الإدريسي في معرض حديثه عن المناطق المحيطة بقرطبة إلى أن فريش حصن<sup>(٨)</sup> ، فيما ذكر ابن غالب أنها مدينة وتتبعها أقاليم عدة<sup>(٩)</sup> ، وقال ابن الخراط: إنها موضع ذات أحواز وقرى<sup>(١٠)</sup> وتبعه في

- 
- (١) الميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص٩٥.
  - (٢) أحسن التقاسيم، ص٢٣٤.
  - (٣) اختصار اقتباس الأنوار، ص١٠٦.
  - (٤) الروض المعطار، ص٤٤٠.
  - (٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٢٣ ؛ ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع، ١٢١٨/٣ ؛ المقري، نضح الطيب، ٦٥/٢.
  - (٦) أحسن التقاسيم، ص٢٢٣.
  - (٧) المقتبس (للحقة ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ/ ٩١٢ - ٩٤١ م) ص٤٨٩.
  - (٨) نزهة المشتاق، ٥٧٤/٢.
  - (٩) فرحة الأنفس، ص٢٠ - ٢١.
  - (١٠) اختصار اقتباس الأنوار، ص١٠٦.

ذلك الحميري<sup>(١)</sup> ، أما ياقوت فذكر أن فريش مدينة تتبعها أعمال عدة<sup>(٢)</sup> ، وذهب شيخ الربوة إلى أن جبل البرانس Sierrade Almaden قصبته مدينة فريش<sup>(٣)</sup>.

ومن ملاحظة هذه التعابير التمدنية ، فإن الكورة عرفها ياقوت بقوله: ((كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قسبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها))<sup>(٤)</sup> ، ورأي المقدسي عن تكوير بلاد الأندلس جدير بالملاحظة ، فهو يقول: ((لو كنت دخلت الأندلس لكورتها لكثرة المدن والإعمال والنواحي بها))<sup>(٥)</sup> ، ثم يضيف: ((غير أنا نعجز عن تكوير الأندلس فتركناها على الجملة ووصفنا كورة قرطبة لما كثر المخبرون عنها وأتضح عندنا أمرها ، وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم فقال: على هذا القياس يجب أن تكون الأندلس ثماني عشرة...وسألت آخر فقال: صدق...))<sup>(٦)</sup> ، فالمقدسي هنا يقر بأن الأندلس فيها من الكور وذلك حسب المواصفات التي يراها عند تقسيم المشرق ، وإلى ذات المعنى ذهب ابن حوقل عند ذكره الأندلس ، بقوله: ((وفيها مدن يزيد بعضها على بعض في المحلّ والجباية والارتفاع والولاية والقضاة

---

(١) الروض المعطار، ص ٤٤٠.

(٢) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٥.

(٣) نخبة الدهر، ص ٣٢٢.

(٤) معجم البلدان، ١/٣٦ - ٣٧.

(٥) أحسن التقاسيم، ص ٦٥.

(٦) أحسن التقاسيم، ص ١٩٤.

والمخلفين على رفع الأخبار ويقال لأحدهم مخلف ، وليس بها مدينة غير معمورة ذات رستاق فسيح إلى كورة فيها ضياع (عداد)<sup>(١)</sup> ، علماً أنه زارها في سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م واطلع على العديد من نواحيها<sup>(٢)</sup> ، أما الحوز من حيز ، والحوزة هي الناحية<sup>(٣)</sup> ، وعن الإقليم ذكر ياقوت أن أهل الأندلس يسمون كل قرية جامعة إقليمياً فإذا قال الأندلسي أنا من إقليم كذا فإنما يعني بلدة أو رستاق بعينه<sup>(٤)</sup> ، وأما الرستاق فهو كل موضع فيه مزارع وقرى<sup>(٥)</sup> ، ومن هنا نرجح أن فريش ربما يصدق عليها ذلك الوصف كُله ، فهي كورة في مفهوم ابن حيان كون مدينتها مركز الولاية وتتبعها عدة أعمال ، وهي رستاق واسع لاشتماله على أراضي واسعة وقرى ويساتين ، كما أنها تضم العديد من المدن والأعمال والنواحي وتجمعها قسبة واحدة هي مدينة فريش ، ومن أهم تلك المدن والأعمال والنواحي التي تتبع فريش:

١- إقليم السند ذكره ابن غالب<sup>(٦)</sup> ، وقال عنه ياقوت: هو مدينة في إقليم فريش<sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) صورة الأرض، ص ١١٦ .
  - (٢) صورة الأرض، ص ١٠٨ .
  - (٣) الجوهري، الصحاح، ٣/٨٧٦ (مادة حوز) .
  - (٤) معجم البلدان، ١/٢٦٠ .
  - (٥) ياقوت، معجم البلدان، ١/٣٨٠ .
  - (٦) فرحة الأنفس، ص ٢١ .
  - (٧) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٤٨ .

٢- إقليم قسطنطينية ذكره ابن غالب<sup>(١)</sup> ، وأسماه الإدريسي قسطنطينية الحديد وقال إن بجباله الحديد<sup>(٢)</sup> ، وجاء لفظه عند الحميري قسطنطينية وقال: إن بفريش ((...قرية تُعرَف بقسطنطينية كانت مدينة عظيمة أولية ، وفيها آثار كنائس ويقال إنها بنيت في أيام قسطنطين ملك الروم))<sup>(٣)</sup>.

٣- إقليم لواته ذكره ابن غالب<sup>(٤)</sup> ، وقال عنه ياقوت إنه ناحية بالأندلس من أعمال فريش<sup>(٥)</sup>.

٤- إقليم موالي موسى ذكره ابن غالب من أقاليم فريش<sup>(٦)</sup>.

٥- إقليم المرج ذكره ابن غالب<sup>(٧)</sup> ، وقال الإدريسي فيه معدن الفضة<sup>(٨)</sup> ، وأسماه ياقوت بمرج فريش<sup>(٩)</sup>.

أما من الناحية الاقتصادية ، فتأتي الزراعة والنباتات الطبيعية في مقدمة نشاطاتها ، فقد وصف المقدسي نشاطها الزراعي بالقول:

---

(١) فرحة الأنفس، ص ٢١.

(٢) نزهة المشتاق، ٥٧٤/٢.

(٣) الروض المعطار، ص ٤٤٠.

(٤) فرحة الأنفس، ص ٢١.

(٥) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥١.

(٦) فرحة الأنفس، ص ٢١.

(٧) فرحة الأنفس، ص ٢١.

(٨) نزهة المشتاق، ٥٧٤/٢.

(٩) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٦٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ١٢٥٥/٣ ؛ الزيبيدي، تاج العروس، ٢٠٨/٦ (مادة مرج).

((سهلية كثيرة التين والأعناب والزيتون الكبير))<sup>(١)</sup> ، وأضاف ابن غالب أن ((... لأرضها زرع كثير وفيها أجناس الثمار ، والغالب على ثمارها شجر الشاه بلوط وهو القسطل وشجر الغراسيا<sup>(٢)</sup> وشجر الجلوز<sup>(٣)</sup> وشجر الجوز ،... ، وفيها عيون ثجة تتدفق بالمياه الغزيرة وتطحن بها الأرحى ،...))<sup>(٤)</sup> ، وأشار ابن الخراط إلى نشاطها الزراعي الزراعي بالقول:: ((وتتصل أحواز فريش بأحواز فحص البلوط ، وتنتظم قراها بقراها ، ومسافة ما بين قرطبة إلى هذا الحوز فريش أرض زرع وضرع ونخل وثمر وكتان ، وتسيل فيها الجداول ، وتطحن فيها الرحي ، والغالب على أشجارها القسطل))<sup>(٥)</sup> ، فيما قال ياقوت إن فيها البندق الكثير والشجر ولها رستاق فيه قري<sup>(٦)</sup> ، أما الحميري الحميري فذكر أن الغالب على أشجارها القسطل<sup>(٧)</sup>.

من قائمة الأصناف الزراعية الواردة في النصوص أعلاه نجد أشجار الفاكهة المتنوعة ففيها التين والعنب والزيتون الذي وصف بأنه يتميز بكبر حجمه فضلاً عن النخيل والجوز ، وكذلك الحبوب

---

(١) أحسن التقاسيم، ص ٢٣٤.

(٢) الغراسيا لعلها من الغريسة وهي النخلة أول ما تنبت أو شجر العنب أول ما ما يفرس، الزبيدي، تاج العروس، ٣٠٤/١٦ (مادة غرس).

(٣) الجلوز قيل هو البندق، وقيل: هو نبت له حب إلى الطول يؤكل مخه شبه الفستق، وقيل هو حب الصنوبر، الزبيدي، تاج العروس، ٦٦/١٥ (مادة جلز).

(٤) فرحة الأنفس، ص ٢١.

(٥) اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٠٦.

(٦) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٥.

(٧) الروض المعطار، ص ٤٤٠.

ومن هنا كثر فيها الرحي ، أما القسطل فهو من النباتات التي اشتهرت بها منطقتي فريش وفحص البلوط ، وكما جاء في نص ابن غالب أعلاه فإن الغالب على ثمار أشجار فريش هو القسطل. ومن الناحية الاقتصادية يتصدر القسطل جانباً مهماً من نشاط السكان لما له من أهمية كبيرة آنذاك ، والقسطل نوع من الشجر من فصيلة الصابونيات ، وشجرتها باسقة يصل علوها إلى (٢٥ - ٣٠) متراً ، أوراقها كبيرة ومجنحة ، تزهر في الربيع عناقيد منتصبه كالشمعة ، أزهارها بيضاء منقطة بنقط حمراء أو صفراء ، وثمارها بعد نضجها بنية اللون مرة المذاق لكنها مغذية<sup>(١)</sup> ، وهو ينبت في سطوح الجبال والروابي<sup>(٢)</sup> ، وللقسطل استخدامات متعددة إلا أن الغالب عليها الطبية ، ومنها:

١- إن أكل القسطل نياً ومشوياً ينفع ويدبغ المثانة ويغلظها ويدرّ البول ، وأكله مشوياً أفضل ، وقد يصنع منه سويق كسويق اللوز ويشرب بالعسل أو يطبخ بالماء بعد نزع قشره ثم يشرب ماؤه فيصلح المثانة ويدبغها<sup>(٣)</sup>.

٢- إنه يستخدم في الدباغة<sup>(٤)</sup>.

٣- قشوره منقية للدم ومضادة للحميات<sup>(٥)</sup>.

---

(١) رويحة، التداوي بالأعشاب، ص ٢٣٤.

(٢) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٥٤/٣.

(٣) ابن حبيب، العلاج بالأعشاب، ص ١٠٥.

(٤) رويحة، التداوي بالأعشاب، ص ٢٤٤.

(٥) رويحة، التداوي بالأعشاب، ص ٢٤٤.

- ٤- يُستخدم مسحوق ثمارها الناضجة لمعالجة الزكام والحميمة في الأنف والتهاب جفن العين(أي الرمدم)<sup>(١)</sup>.
- ٥- يُستخدم مسحوق الأثمار الجافة غير المحروقة لمعالجة الجلد المشقق من العمل ، لشفاء التشققات وإعادة المرونة إلى الجلد<sup>(٢)</sup>.
- ٦- يُعالج العقد في ثدي الأنثى بلبخ ساخنة من مزيج من مسحوق أثمار القسطل ودقيق الشعير والخل<sup>(٣)</sup>.
- ٧- يُعالج الروماتزم وداء النقرس وآلام الأعصاب وآلام تثليج الأصابع في الشتاء بتدليك موضع الألم بصبغة أثمار القسطل<sup>(٤)</sup>.
- ٨- يُسكن آلام الأسنان الخفيفة حالاً عند تدليك اللثة بصبغة القسطل ، وتكرر عملية التدليك(٢-٣) مرات في اليوم<sup>(٥)</sup>.
- ٩- يُستعمل مسحوق ثمار القسطل المحروقة لمعالجة الإسهال ، وعلى الأخص المخاطي منه ، وذلك باستعماله مشروباً ، ويشرب منه بضعة فناجين صغيرة في اليوم كما تشرب القهوة<sup>(٦)</sup>.
- ١٠- تُستعمل صبغة أثمار القسطل من الداخل لمعالجة البواسير ، وذلك بأخذ(١٠) نقط من الصبغة في قليل من الماء ، أو على قطعة صغيرة من السكر يومياً ولمدة طويلة<sup>(٧)</sup>.

(١) رويحة، التداوي بالأعشاب، ص٢٤٤.

(٢) رويحة، التداوي بالأعشاب، ص٢٤٤.

(٣) رويحة، التداوي بالأعشاب، ص٢٤٤.

(٤) رويحة، التداوي بالأعشاب، ص٢٤٤.

(٥) رويحة، التداوي بالأعشاب، ص٢٤٤.

(٦) رويحة، التداوي بالأعشاب، ص٢٤٥.

(٧) رويحة، التداوي بالأعشاب، ص٢٤٥.

ونعتقد أن القسطل والبلوط واستخداماتهما يحتاج إلى دراسة مستقلة ، وما قدمناه هو للتدليل فقط على سعة استخدامات القسطل الطبية وما يعكسه من أثر ذلك على الحياة الاقتصادية للمنطقة.

ومن الثروات الطبيعية التي اشتهرت بها منطقة فريش هو الرخام ، فذكر الإدريسي أن ((حصن فريش وبه مقطع للرخام الرفيع الجليل الخطير المنسوب إليه ، والرخام الفريشي أجلّ الرخام بياضاً وأحسنه ديباجاً وأشده صلابة))<sup>(١)</sup> ، قال ابن غالب: وبها مقاطع الرخام الناصع البياض<sup>(٢)</sup> ، وقال السمعاني: فريش بلدة بالأندلس تقارب قرطبة بها الرخام الجيد<sup>(٣)</sup> ، كما ذكر ابن الخراط أن بها معدن جيد للرخام<sup>(٤)</sup> ، وأشار ياقوت إلى أن بها الرخام الأبيض الجيد<sup>(٥)</sup> ، وأشار إليه أيضاً الحميري بقوله: وفيها معدن رخام<sup>(٦)</sup>.

والرخام حجر أبيض سهل رخو<sup>(٧)</sup> ، قال عنه ابن البيطار: ((هو حجر معلوم سريع يقطع من معادنه وينشر وينجر وألوانه كثيرة والمخصوص منه باسم الرخام هو ما كان أبيض))<sup>(٨)</sup> ، وهو أيضاً له استخدامات متعددة ، فمن استخداماته الطبية غيرها:

- 
- (١) نزهة المشتاق، ٢/٥٧٤.
  - (٢) فرحة الأنفس، ص ٢١.
  - (٣) الأنساب، ١٠/٢١٢.
  - (٤) اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٠٦.
  - (٥) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٥.
  - (٦) الروض المعطار، ص ٤٤٠.
  - (٧) ابن سيده، المخصص، ٣/٦١؛ الحميري، شمس العلوم، ٤/٢٤٥٧.
  - (٨) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٢/٤٣٤.

- ١- إذا شرب منه ثلاثة أيام كل يوم مثقال مسحوق مهياً معجوناً  
بعسل نفع من الدماميل إذا كثرت في البدن<sup>(١)</sup>.
  - ٢- إذا أحرق وسحق وذرّ على الجراحات بدمها قطع دمها ومنع  
تورمها<sup>(٢)</sup>.
  - ٣- إذا طُلي مسحوق الرخام مع الزرنخ على موضع الشعر  
حلقتة<sup>(٣)</sup>.
  - ٤- أن الرخام الأبيض تغطى به أرضية الغرف والبلاطات<sup>(٤)</sup>.
  - ٥- يستخدم للنقش على القبور لاسيما الصلب منه<sup>(٥)</sup>.
  - ٦- يصنع منه الكلس وهو النورة المستخدمة في الطلاء<sup>(٦)</sup>.
  - ٧- كما تصنع منه الأساطين في المساجد والقصور<sup>(٧)</sup>.
- كما اشتهرت فريش بوفرة معدن الفضة والحديد في أرضها ،  
فذكر الإدريسي أن معدن الفضة يوجد بالمرج منها ، أما الحديد

- 
- (١) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٤٣٤/٢ ؛ الزبيدي، تاج  
العروس، ٢٣٩/٣٢ (مادة رخم).
  - (٢) الرازي، الحاوي في الطب، ٤٣٨/٦ ؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية  
والأغذية، ٤٣٤/٢ ؛ الحميري، شمس العلوم، ٦٧٩١/١٠.
  - (٣) الحميري، شمس العلوم، ٦٧٩١/١٠.
  - (٤) دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٢٠٥/٢.
  - (٥) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٤٣٤/٢ ؛ دوزي، تكملة المعاجم  
العربية، ١٧١/٦.
  - (٦) الحميري، شمس العلوم، ٦٧٩١/١٠ ؛ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية  
والأغذية، ٣٤٠/٤.
  - (٧) الزبيدي، تاج العروس، ٤١١/٨ (مادة عمد) ؛ عيسى، تاريخ البيمارستانات في  
الإسلام، ص ١٢٠.

فيوجد في قرية قسطنطينة التي أسماها قسطنطينة الحديد<sup>(١)</sup> ، ووصف ابن غالب فريش بأنها أكثر البلدان معادن الحديد<sup>(٢)</sup> ، وقال ابن الخراط إن بها معدن الحديد الجيد<sup>(٣)</sup> ، كما أشار ياقوت إلى أن بها معادن الحديد<sup>(٤)</sup> ، وإلى ذلك ذهب الحميري أيضاً<sup>(٥)</sup> ، وللحديد استخدامات لا تحصى في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية ووجوده في منطقة ما يُعد من عوامل ازدهارها الاقتصادي لما يوفره من فرص عمل لسكانها.

وأضاف شيخ الربوة أن بها معادن الزئبق<sup>(٦)</sup> والزنجر<sup>(٧)</sup> ، وللزئبق وللزئبق استخدامات متعددة منه كما قال الحميري: الزئبق ((إذا خلط بخل وتُطْلَى به نفع من الجرب والحكّة ، وهو مع الخل يقتل القمل والصيبان والقردان لإفراط حرارته ، ودخانه يورث الأسقام والعلل ، وترابه يقتل الفأر إذا ألقى لها في طعام))<sup>(٨)</sup> ، وقال الفيروزآبادي إن دخانه يقتل يهرب الحيات والعقارب من البيت وما أقام منها قتله<sup>(٩)</sup> ، ويدخل أيضاً في التصاوير ، قال ابن سلام: ((والتصاوير قد تكون به فَمَنْ ثمَّ قالوا: مزوّق أي أنه مصوّر

(١) نزهة المشتاق، ٥٧٤/٢.

(٢) فرحة الأنفس، ص ٢١.

(٣) اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٠٦.

(٤) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٥.

(٥) الروض المعطار، ص ٤٤٠.

(٦) ويلفظ الزئبق وهو مرادف له، ينظر: البستاني، المنجد الأبيدي، قاموس

عربي/فارسي، ص ٤٦٥

(٧) نخبة الدهر، ص ٣٢٢.

(٨) شمس العلوم، ٢٨٧١/٥.

(٩) القاموس المحيط، ٨٨٩/١ (مادة زئبق).

بتصاویر یخالطه الزاوق))<sup>(١)</sup> ، أما الزنجفر فهو ((حجر أحمر تنقش به الأشياء ، منه معدني يوجد بمعادن الذهب والنحاس والزئبق ، ويسمى حجر الزئبق ، وهو عزيز الوجود ، حتى قيل إنه الكبريت الأحمر المضروب به المثل في العزة ، ومنه مصنوع يتخذ من الزئبق والكبريت))<sup>(٢)</sup> وهو من المعادن النادرة التي يرغبها التجار<sup>(٣)</sup> ما يعكس أهميته الاقتصادية.

### ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة فريش

لم تشر المصادر المتوفرة بن أيدينا إلى أن مدينة فريش كانت مقر لمدينة قديمة ، وهي كما مرّ بنا عبارة عن رساتيق وقرى خصبة صالحة للزراعة ، وهذا يعني أنها تجمعات ريفية استوطنها المزارعون واستغلوا ثرواتها الطبيعية ، إلا أن الحميري ذكر أن من أعمال فريش قرية تعرف ((بقسطنطينية كانت مدينة عظيمة أولية ، وفيها آثار كنائس ويقال إنها بنيت في أيام قسطنطين ملك الروم))<sup>(٤)</sup> ، وقد ذكر قسطنطينية الإدريسي إلا أنه لم يذكر أنها قديمة واكتفى بالقول إنها حصن يوجد فيه الحديد<sup>(٥)</sup> ، وإشارة الحميري تعني أنها تعود إلى حقبة قبل الإسلام وإلى عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين

(١) غريب الحديث، ٢٤٣/٣.

(٢) ابن معصوم الحسيني، الطراز الأول، ٥٤/٨ ؛ ينظر أيضاً: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٩٨.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٣٦.

(٤) الروض المعطار، ص ٤٤٠.

(٥) نزهة المشتاق، ٥٧٤/٢.



كان فيها سنة ٧٩٣هـ/٧١١م<sup>(١)</sup> ، ويرجح الحجي أن طارقاً يمكن أن يكون دخل طليطلة في ذي القعدة من سنة ٧٩٢هـ/٧١٠م<sup>(٢)</sup> ، وهو أمر ممكن في تقديرنا ، لأن طارقاً لم يلقِ أي مقاومة بعد إستجة وقد نصحه يوليان<sup>(٣)</sup> قائلاً: ((قد فرغت من الأندلس ففرق جيوشك وسر أنت إلى طليطلة))<sup>(٤)</sup> ، وعلى هذا فإن فتح المنطقة المحصورة بين قرطبة وطلطلة ومنها فريش كان في أواخر سنة ٧٩٢هـ/٧١٠م.

كان استيطان المسلمين الأوائل (العرب والبربر) من الفاتحين قد جرى حسب رغبتهم ، ذلك أن ((العرب والبربر كلما مرّ قوم منهم بموضع استحسنوه حطّوا به ونزلوه قاطنين))<sup>(٥)</sup> ، ولا يمنع أن يكون نزولهم بما يناسب موطنهم الأول ، وفي ذلك ذكر ابن الأبار أن العرب البلديين لما ((رأوا بلاداً شبه بلادهم خصباً وتوسعة سكنوا وأغتبطوا وتمولوا))<sup>(٦)</sup> ، وهذا هو الأساس الذي سار عليه نزول الفاتحين الأوائل<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٤٥.

(٢) التاريخ الأندلسي، ص ٦٦.

(٣) يوليان، اختلفت الروايات حول يليان فذهب البعض على أنه قوطي وقيل إنه إنه رومي وبعض زعم أنه بربري من غمارة ولكنها تتفق على أنه كان صاحب سبته وطنجة وما حواليهما. ينظر التفاصيل: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٥- ١٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥/٢ - ٧ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ١١٥ - ١١٧ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٤) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٤١ - ٤٢ ؛ ينظر أيضاً: مؤلف مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩/٢ ؛ المقري، نضح الطيب، ١/٢٦٠.

(٥) المقري، نضح الطيب، ١/٢٧٦.

(٦) الحلة السيرة، ١/٦٣.

(٧) ينظر التفاصيل عن استقرار العرب والبربر في الأندلس، مؤنس، فجر =

وعلى الرغم من أن فريش تعد من المناطق الغنية الخصبة إلا أن المصادر لم تشر صراحة إلى الانتماءات القبلية فيها ، ولكن يبدو أن بعض مناطقها غلب عليها البربر ، يظهر ذلك من تسمياتها ، مثل إقليم لواتة<sup>(١)</sup> ، ولواتة هم من قبائل بربر البتر<sup>(٢)</sup> ، وإقليم موالي موسى<sup>(٣)</sup> ، وهي إشارة إلى أنهم كانوا من غير العرب ، ويبدو أن اسم البلوط قد غلب على سكان المناطق التي ينتشر فيها بكثافة وفي مقدمتها منطقتي فحص البلوط وفريش والذي أطلق عليه الإدريسي اسم إقليم البلالطة<sup>(٤)</sup> الذي يقع إلى الشمال الغربي من قرطبة والذي تركزت فيه القبائل البربرية<sup>(٥)</sup> ، وأصبح هذا الاسم محل فخر للسكان هناك ، فعندما عين الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢) سليمان بن سعيد البلوطي<sup>(٦)</sup> قاضياً في قرطبة جاءه بعض الخصوم ووضعوا قشور البلوط تحت فراشه في إشارة إلى أنه لا يصلح لهذا المنصب وأن عمله في البلوط فقط ، فلما عرف ذلك قال لهم: غيرتموني بأني بلوطي أنا أشهد على

- 
- = الأندلس، ص٤١٢ - ٤٣٤ ؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ١٣٦ - ١٣٩ .
- (١) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢١ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٥١ ؛ ابن عبد الحق، مرصد الاطلاع، ٣/١٢١٠ .
- (٢) ابن خلدون، العبر، ٦/١٥٢ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٦٦ .
- (٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢١ .
- (٤) نزهة المشتاق، ٢/٥٣٨ .
- (٥) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٦٥ .
- (٦) سليمان بن سعيد بن حبيب البلوطي ولى قضاء قرطبة بعد سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م وتوفي في حدود سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م، الخشني، قضاة قرطبة، ص٩٢ - ٩٧ .

نفسى أنى بلوطى<sup>(١)</sup>.

ومما يرجح ما ذهبنا إليه من أن معظم سكان مدينة فريش ومنطقتها كانوا من البربر أو من الموالي ، أن أغلب رجالات المنطقة الذين اشتهروا بالعلم والذين ترجمت لهم المصادر المتوفرة لا تحمل جريدة أسمائهم أي إشارة للقبائل العربية<sup>(٢)</sup>.

لم تشهد منطقة فحص البلوط أحداثاً كبيرة طيلة عصر الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ / ٧٥٥-٩٢٨م) ، والراجح أن ذلك يعود لسببين أولهما: قربها من قرطبة ما جعل قبضة الدولة قوية عليها ، وثانيهما: غنى المنطقة التي كانت تعج بثرواتها المعدنية والزراعية دفع سكانها إلى الابتعاد عن الفتن والمشكلات والحروب حفاظاً على مصالحهم الاقتصادية ، ولهذا نراها في معظم تلك المدة تسير في ركب الدولة فكانت تدفع الضرائب السنوية إليها<sup>(٣)</sup> ، كما كانت ترسل المقاتلين من أبنائها للمشاركة في العمليات العسكرية في الثغور ، فقد أشار ابن حيان إلى أن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط استنفر الناس للغزو مع ابنه الأمير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن فكان أن خرج من أهالي فريش في هذه الغزوة ٣٤٢ مقاتل اشتركوا في القتال إلى جانب جيش الإمارة في غزوة جليقية Galicia<sup>(٤)</sup>.

ومما يرجح ما ذهبنا إليه أن معظم الثوار على السلطة آنذاك الذين

(١) الخشنى، قضاة قرطبة، ص ٩٤.

(٢) ينظر ذلك في موضوع الحركة الفكرية.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٣٦.

(٤) المقتبس (للحقبة ٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٢٧٢.

التجئوا إليها لم يجدوا فيها أذناً صاغيةً ، فمثلاً في سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م خرج يوسف بن عبد الرحمن الفهري على الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٥-٧٨٨م) ومضى إلى فريش ثم فحص البلوط ثم إلى طليطلة إذ قتل هناك<sup>(١)</sup> ، وقد وصف ابن الأثير حالة يوسف الفهري بالقول: ((وبقي متردداً في البلاد))<sup>(٢)</sup> ما يعني عدم حصوله على مناصرين فيها ، وفي سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م ثار حيوة بن ملامس<sup>(٣)</sup> وتغلب على إشبيلية Sevilla<sup>(٤)</sup> واستتجى ومناطق في غرب الأندلس فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن الداخل جيشاً هزمه فر بعدها حيوة إلى فريش فلم يجد له ناصرأ اضطر بعدها إلى مراسلة الأمير عبد الرحمن طالباً العفو<sup>(٥)</sup> ، وفي سنة ١٨٥هـ / ٨٠١م ثار سليمان بن عبد الرحمن الداخل على ابن أخيه الأمير الحكم بن هشام فقاتله الأخير ففر إلى فريش فلم يحصل فيها على مأوى اضطر بعدها الفرار إلى ماردة حيث تتبعته قوات الأمير الحكم إلى هناك وأسر ثم قتل<sup>(٦)</sup> .

وفي عهد الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ / ٩٢٨-١٠٣٠م) تطلعنا بعض

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٩١.

(٢) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٩١.

(٣) حيوة بن ملامس الحضرمي زعيم اليمانية في إشبيلية، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٩٨؛ المقري، نفع الطيب، ٣/٤٨

(٤) إشبيلية، قال الحميري: (مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، وهي مدينة قديمة أزلية يذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها اشبالي معناه المدينة المنبسطة، الروض المعطار، ص ٥٨.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٥١.

(٦) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م) ص ١١٦ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٣١ - ١٣٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٧٠ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٢١٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٢٥.

الروايات عن انتظام مدينة فريش ومنطقتها في سلك الدولة ، وكانت حكومة قرطبة ترسل ولايتها إلى هناك ، فذكر ابن حيان أنه في سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م عين الخليفة الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) على فريش عبد الرحمن بن محمد بن النظام<sup>(١)</sup> وأضاف له أيضاً فحص البلوط ولقنت<sup>(٢)</sup> ومكناسة<sup>(٣)</sup> وبطرلش<sup>(٤)</sup> أي معظم مناطق شمال غرب قرطبة ، وفي سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م صرف الخليفة الناصر عبيد الله بن محمد بن حفص عن كورة فريش وفحص البلوط بمحمد بن قاسم بن لب<sup>(٥)</sup> ، وفي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م ولي الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) فريش مولاه زياد بن أفلح<sup>(٦)</sup> ، وفي السنة نفسها بعث أهل فريش وفداً من قبلهم للتهنئة

(١) ذكر له الضبي ترجمة مقتضبة وقال إنه شاعر أديب، بغية الملتبس، ص ٣٥٧.

(٢) مدينة أندلسية بينها وبين دائية سبعين ميلاً، الحميري، الروض المعطار، ص ٥١١.

(٣) مكناسة حصن بالأندلس من أعمال ماردة، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٧٣.

(٤) (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٥٦.

(٥) ابن حيان، (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٨٩، ومحمد بن القاسم بن لب ينتمي إلى أسرة بني قسي المولدين وأمراء الثغر الأعلى اشترك مع الخليفة الناصر في غزوة مونش سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م، وفي غزوة بنبلونة سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م، ينظر: ابن حيان، (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م)، ص ١٦٥، ٤٢٠.

(٦) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٦٠ - ٣٦٤هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٤م)، ص ٣١٠.

بالانتصارات التي حققها جيش الخلافة الأموية في المغرب<sup>(١)</sup> ، إن الروايات أعلاه على قلتها توضح لنا الهدوء الذي كانت تعيشه منطقة فريش ، ربما لقربها من قرطبة وقوة الدولة آنذاك وابتعاد أهلها عن الفتن حفاظاً على ثروتهم ونشاطهم الاقتصادي.

وفي عهد الطوائف(٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣٠-١٠٩١م) ويحكم موقع مدينة فريش بالقرب من قرطبة أصبحت تابعة لدولة بني جهور<sup>(٢)</sup> التي امتد نفوذها خلال تلك المدة لتشمل(رقعة متوسطة من الأندلس ، تمتد شمالاً حتى جبل الشارات(سييرا مورينا Sierra Morena) ، وشرقاً حتى منابع نهر الوادي الكبير Rio Guadalquivir ، وغرباً حتى قرب إستجة)<sup>(٣)</sup> ، وأصبحت مناطق متوسطة الأندلس في عهدهم حرماً أمناً لمعظم زعماء الطوائف وسادت فيها السكينة والأمن وانتعشت الحياة الاقتصادية بعد أن أمن التجار على أموالهم<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقب ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م)، ص ٢٠١.  
(٢) بنو جهور نسبة إلى أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغفار بن أبي عبدة الكلبي مولى بني أمية، صارت إليه رئاسة قرطبة بعد انتهاء الخلافة الأموية وكانت وفاته سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م واستمر حكمهم قرطبة وما يجاورها حتى سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م، ينظر التفاصيل عن دولة بني جهور: ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٢/٢٠٤.٢٠٣؛ ابن بسام، الذخيرة، ٢/٦٠٨.٦٠٢؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٢٩؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٣٨؛ المراكشي، المعجب، ص ٥٢.٥٢؛ ابن الأبار، الحلة السرياء، ٢/٣٤.٣٠؛ ابن سعيد، المغرب، ١/٥٦ - ٥٧؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٣/١٨٥.١٨٥؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٤٤٠.٤٣٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٤٧.١٤٠؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢٠٤؛ عنان، دول الطوائف، ٢/٣٠.٢٠.

(٣) عنان، عصر دول الطوائف، ٢/٢١.

(٤) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٢٠.

وقد اختلفت الأمور بعد وفاة أبي الحزم بن جهور فاختلف أولاده على الحكم ما فسح المجال للمأمون يحيى بن ذي النون حاكم طليطلة وكان طامعاً بضم قرطبة إلى نفوذه فقام بالزحف نحوها واستولى على حصن المدور Almodovar del Rio<sup>(١)</sup> الواقع بالقرب من فحص البلوط<sup>(٢)</sup> حتى وصل إلى أبواب قرطبة ما يعني أنه استولى على فريش ، وعندما أحس حاكم قرطبة عبد الملك بن جهور بالخطر استنجد ببني عباد حكام إشبيلية Sevilla ، فأرسل المعتمد بن عباد قوة للدفاع عن قرطبة ضد ابن ذي النون وهو ما اضطر الأخير إلى الانسحاب ، عندها انكشفت نوايا ابن عباد الذي كان يطمع أيضاً بضم قرطبة إلى نفوذه فاقترحها واستولى عليها وضمها إلى دويلته واعتقل عبد الملك بن جهور وأرسله مقيداً إلى إشبيلية منهياً بذلك حكم بني جهور لقرطبة وما جاورها وذلك سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م<sup>(٣)</sup>.

إلا أن المأمون بن ذي النون لم يستسلم فأخذ يتحين الفرص للاستيلاء على قرطبة مرة أخرى فأرسل أحد رجاله المدعو الحكم ابن عكاشة الذي استطاع فعلاً مدهامة المدينة وقتل ممثلين ابن عباد فيها ودعا إلى بيعة المأمون بن ذي النون الذي دخلها في موكب

(١) وهو أحد الحصون القريبة من قرطبة، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٨.

(٢) ينظر الخارطة.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ٢/٦١٤٠٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٦١٠٢٥٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٤٦٠١٤٥؛ عنان، عصر دول الطوائف، ٢/٢٨ - ٢٩.

عظيم سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م إلا أنه لم يهنأ طويلاً إذ توفي في السنة نفسها واستمر ابن عكاشة يحكم قرطبة وما جاورها باسم بني ذي النون<sup>(١)</sup>، إلا أن أهالي قرطبة لم يرضوا بابن عكاشة فحاطبوا ابن عباد الذي أسرع في دخولها وقتل ابن عكاشة وجعل ولده عليها وبذلك عادت قرطبة ومنتوسطة الأندلس مرة أخرى إلى نفوذ الدولة العبادية<sup>(٢)</sup>، ثم مدّ نفوذه ليشمل معظم المناطق الجنوبية من أراضي دويلة طليطلة ليصل نفوذه حتى قونكة<sup>(٣)</sup> Cuenca بسبب ضعف حاكمها القادر بن ذي النون (٤٦٧ - ٤٧٨هـ / ١٠٧٤ - ١٠٨٥م)<sup>(٤)</sup> ما يعنى دخول منطقة فريش تحت حكم الإمارة العبادية.

إلا أن الأيام العصيبة بدأت تمد ظلالها على قرطبة والأندلس الأوسط بعد سقوط طليطلة بيد الفونسو السادس (٤٥٨ - ٥٠٢هـ / ١٠٦٥ - ١١٠٨م)<sup>(٥)</sup> واحتدام الصراع بينه وبين المعتمد بن عباد<sup>(٦)</sup>، وفي

- 
- (١) ابن بسام، الذخيرة، ٢٦٨ - ٢٧٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥٥/٢.  
(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥٥/٢؛ عنان، عصر دول الطوائف، ٦١/٢.  
(٣) قونكة مدينة بالأندلس من أعمال شنتيرية، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٩.  
(٤) عنان، عصر دول الطوائف، ٧١/٢.  
(٥) ينظر التفاصيل عن سقوط طليطلة: ابن بسام، الذخيرة، ١٥٦/٤ - ١٦٩؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ٨٤ - ٨٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٩/٢ - ١٨٠؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٧/٤؛ المقري، نضح الطيب، ٤٤٧/٤ - ٤٤٨.  
(٦) أشار الحميري إلى سبب ذلك بقوله: (وكان السبب في ذلك فساد الصلح المنعقد بين الطاغية وبين المعتمد، فإن المعتمد اشتغل عن أداء الضريبة في الوقت الذي صارت عادته يؤديها فيه، بغزو ابن صمادح صاحب المريّة، واستنفاده ما في يديه بسبب ذلك، فتأخر لأجل ذلك أداء الإتاوة عن وقتها، فاستشاط الطاغية غضباً، وتشطط فطلب بعض الحصون زيادة على =

محاولة استعراض للقوة قام الفونسو السادس بحملة مدمرة من طليطلة اخترق فيها أراضي الأندلس حتى وصل إلى مدينة طريف Tarifa في الجنوب ووقف على شاطئ البحر وعمل على نهب وتخريب كل ما مرّ عليه وانتسف الزروع والمحاصيل ثم عاد ظافراً دون أن يستطع أحداً أن يعترضه<sup>(١)</sup>، ولما كانت منطقة فريش تقع إلى الجنوب من طليطلة وعلى الطريق بينها وبين قرطبة فلا يستبعد أن نالها نصيب من هذه الحملة.

بقيت قرطبة ومنطقة فريش بيد بني عباد إلى أن تطورت الأوضاع في الأندلس ما حدا بالمرابطين Almoravides, Los إلى

---

=الضريبة، وأمعن في التجنى، فسأل في دخول امرأته القمطيحة إلى جامع قرطبة لتلد فيه من حمل كان بها، حيث أشار إليه بذلك القسيسون والأساقفة، لمكان كنيسة كانت في الجانب الغربي منه، ومعظمة عندهم، عمل المسلمون عليها الجامع الأعظم؛ وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بمدينة الزهراء غربي مدينة قرطبة، تنزل بها فتختلف منها إلى الجامع المذكور، حتى تكون تلك الولادة بين طيب نسيم الزهراء، وفضيلة ذلك الموضع الموصوف من الجامع، وزعم أن الأطباء، أشاروا عليه بالولادة في الزهراء، كما أشار عليه القسيسون بالجامع، وسفر بذلك بينهما يهودي، وكان وزيراً لابن فرذند، فتكلم بين يدي المعتمد ببعض ما جاء به من عند صاحبه، فأياسه ابن عباد من جميع ذلك، فأغلظ له اليهودي في القول، وشافه بما لم يحتمله، فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه، فأنزله على رأس اليهودي، فألقى دماغه في حلقه، وأمر به فصلب منكوساً بقرطبة) الروض المعطار، ص ٢٨٨؛ ينظر أيضاً: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٢١؛ الحلل الموشية، ص ٢٥؛ المقرئ، نضج الطيب، ٤/٣٥٧؛ نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ص ٢١٦ - ٢١٧.

(١) ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٢٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٤٣.

إسقاط دول الطوائف Talfas, Los في الأندلس<sup>(١)</sup> ، وفي سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م سارت قوات مرابطية نحو قرطبة وافتتحوها واستولوا على معظم حصونها وقتلوا حاكمها الفتح بن المعتمد بن عباد وفي ذلك يقول ابن أبي زرع: (وكان فتح المرابطين لقرطبة من صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة) مارس ١٠٩١م) ثم فتح بياضة<sup>(٢)</sup> وأبذة<sup>(٣)</sup> وحصن البلاط والمدورة<sup>(٤)</sup> والصخيرة<sup>(٥)</sup> وشقورة<sup>(٦)</sup> ، ولم ينقض شهر صفر المذكور حتى لم يبق لابن عباد بلد إلا وقد ملكه المرابطون إلا قرمونة<sup>(٧)</sup> وإشبيلية<sup>(٨)</sup> ، وبذلك أصبحت فريش ومنطقتها ضمن أملاك الدولة المرابطية.

وعلى الرغم من تمكن المرابطين من السيطرة على الأندلس

- 
- ١) ينظر عن بواعث قضاء المرابطين على دول الطوائف: عنان، عصر دول الطوائف، ٢/٣٣٧ - ٣٣٩.
  - ٢) بياضة مدينة بالأندلس من أعمال جيان، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٩٤.
  - ٣) مدينة بالأندلس من كورة جيان، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣.
  - ٤) المدور حصن بالقرب من قرطبة، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٨.
  - ٥) الصخيرة حصن بالأندلس من أعمال ماردة، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٨١.
  - ٦) شقورة مدينة أندلسية تقع شمال مرسية، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٦٣.
  - ٧) قرمونة مدينة أندلسية تقع غربي قرطبة وشرقي إشبيلية، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢٥.
  - ٨) الأنيس المطرب، ص ١٥٤.

الأوسط (قرطبة وما حولها) إلا أن المنطقة الواقعة إلى الشمال من قرطبة حتى طليطلة صارت هدفاً لغارات ملك قشتالة Castilla ، وبذلك تحول شمال قرطبة إلى ثغر بعد أن كان طيلة المدة السابقة بعيداً عن مسرح العمليات العسكرية ، ففي سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م سارت قوة مرابطية نحو أراضي قشتالة وضرب الحصار على مدينة طليطلة ثم عادت ظافرة <sup>(١)</sup> ، وعلى أثر ذلك قامت القوات القشتالية بحملة كبيرة سنة ٥٠٩هـ / ١١١٥م استطاعت خلالها الوصول إلى مشارف قرطبة ونشب بين الفريقين قتال عنيف سقط خلاله العديد من قادة الجيش المرابطي ، وفي ذلك قال ابن عذاري: ((وفي سنة تسع وخمس مائة ضرب العدو على نظر قرطبة فخرج إليه محمد بن مزدلي بعسكره ونشبت الحرب وصبر المسلمون فاستشهد الأمير محمد بن مزدلي... ومات من الأمراء نحو الثمانين من وجوه المرابطين وجملة كبيرة من الحشم وأهل الأندلس... فكان مصاباً عظيماً وخطباً جسيماً ، واتصل الخبر بأمير المسلمين علي فولى قرطبة الأمير أبا بكر يحيى بن تاشفين... ولأيام من وصوله اكتسح العدو الأول صاحب الجولة فلحق بجهة بياسة <sup>(٢)</sup>... فكانت للروم أيضاً واستشهد خلق من المسلمين)) <sup>(٣)</sup> ، إن وصول الجيش القشتالي القشتالي إلى مشارف قرطبة ثم اجتياحه بياسة Baeza يعني أنه سيطر على معظم المناطق الواقعة إلى الشمال من ذلك ما يعني أن

---

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٦٢.

(٢) بياسة إحدى مدن كورة جيان التي تقع على خمسين ميلاً من قرطبة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥.

(٣) البيان المغرب، ٤/٦١.

فريش ومنطقتها كانت مسرحاً لتلك الحروب.

وفي سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م حدثت ثورة عارمة في قرطبة على الحكم المرابطي هاجم الناس خلالها مقر القصر ونهبوه وأحرقوا دور المرابطين وأخرجوهم من قرطبة<sup>(١)</sup> ، وحسبنا من أحداث هذه الثورة أنها أضعفت النفوذ المرابطي في الأندلس الأوسط إذ فقد المرابطون القاعدة الشعبية التي يمكن أن تساندهم ، فضلاً عن أن تلك الأحداث لم تكن بعيدة عن أنظار نصارى قشتالة المتواجدين إلى الشمال من قرطبة.

ففي سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م هاجمت القوات القشتالية منطقة الأندلس الأوسط ووصلت إلى شمال قرطبة فخرج إليهم المرابطون ووصلوا إلى جيان ما اضطرهم إلى الارتداد عنها<sup>(٢)</sup> ، ثم عاودوا الهجوم سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م فالتقوا مع الجيش المرابطي الذي تمكن من هزيمتهم وأسر أحد قادتهم ثم تبعوهم إلى قلعة رباح Calatrava<sup>(٣)</sup> الواقعة إلى الشمال من مدينة فريش<sup>(٤)</sup> ، وتكرر هجوم القوات القشتالية على المنطقة ففي سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٣م عبرت القوات القشتالية جبال الشارات واجتمعت إلى الشمال من قرطبة في وقت الحصاد فأمر ملك قشتالة بانتساف حقول

---

(١) ينظر التفاصيل عن ثورة أهل قرطبة على المرابطين: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٦٣ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٨٢/٣ - ٨٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٠/٤ - ٨١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٥/٤ - ٨٦.

(٤) ينظر الخارطة.

القمح والكرام والزيتون وغيرها من الزروع فساد الرعب بين المسلمين وهجروا السهول والقرى إلى الحصون والجبال واستمر الجيش القشتالي في زحفه وهو يحرق المزارع والقرى حتى وصل إلى مشارف إشبيلية ثم ارتدوا إلى طليطلة<sup>(١)</sup>.

تزامنت هذه الأحداث مع انهيارات متلاحقة أصيبت بها الدولة المرابطية في المغرب على أيدي الموحدين Almohades, Los<sup>(٢)</sup> ، وهو ما شجع العديد من القوى في الأندلس على الخروج على سلطتهم ، والذي يهمننا هو الأحداث في قرطبة وما حولها وانعكاساتها على منطقة فريش ، ففي سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م ثار أهالي قرطبة وبيعوا القاضي حمدين بن محمد بن حمدين وطاردوا المرابطين وأخرجوهم من المدينة ، وكان الوالي المرابطي يحيى بن غانية في غرب الأندلس يصارع المتغلبين فعاد أدراجه نحوها ، من جانبه كان سيف الدولة أحمد المستنصر بن هود<sup>(٣)</sup> قد تحالف مع ملك قشتالة ودخل قرطبة بدعم

---

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/ ١٤١  
(٢) ينظر التفاصيل عن تلك الأحداث، ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٧٥ - ٤٠٣ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين ، ٣/ ١٥٦ - ٣٥٤.

(٣) وهو آخر أمراء بني هود في الأندلس بعد سقوط سرقسطة ذهب إلى الفونسو السليطين ملك قشتالة وليون رأى فيه سيف الدولة حليفاً أفضل وعقد تحالفاً معه بأن يتنازل له عن حصن روطة على أن ينضوي تحت لوائه مقابل حصون في طليطلة ومناطق أخرى غرب الأندلس، بيد أن الملك النصراني لم يجد من يقبل بسيف الدولة مما اضطره للبقاء في بعض أملاكه بطليطلة ويعلق الذهب على ذلك بقوله (ويئس للظالمين بدلا )، وبقي في طليطلة=

من ملك قشتالة ، وإزاء ذلك انشق أهالي قرطبة بين القوى الثلاثة التي تريد إحكام سيطرتها عليها وهم: القاضي ابن حمدين ، وابن غانية الوالي المرابطي ، وسيف الدولة بن هود ، ولكن الأخير وبدعم من النصارى استطاع التغلب عليها ولكنه لم يستمر طويلاً إذ لم يطيقوا منظر الجند النصارى في مدينتهم فثاروا به وتغلب عليها الفريق المؤيد للقاضي ابن حمدين إلا أن ابن غانية تمكن من دخول قرطبة مرة أخرى وطرده ابن حمدين ، عندها فعل الأخير ما فعله حكام الطوائف السابقين بأن أرسل إلى ملك قشتالة يطعمه في قرطبة فأرسل قوة تمكنت من إرجاع ابن حمدين ودخل القشتاليون المدينة واستباحوا جامعتها وأسواقها ، وكان ابن غانية آنذاك يدافعهم في قصبتها ، وفي ذلك الأثناء عبر الجيش الموحدى إلى الأندلس ، وعندما علم الملك

---

=بضعة أعوام إلى قامت ثورة في قرطبة في أواخر أيام المرابطين سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م فاستدعوا سيف الدولة بن هود ليتولى إمارة قرطبة وعندما حلّ لم يمض أيام قلائل حتى ثار عليه القرطبيون ففرّ ناجياً بنفسه إلى جيان، ولم يلبث بها هي الأخرى إلا يسيراً حتى استدعاه أهل غرناطة فتوجه إليها مع ثلة من جنده بعضهم من النصارى فالتقى بالجيش المرابطي وهُزِمَ وقتل العديد من جنده ولم يُفلح في دخولها فرجع إلى قاعدته جيان، وفي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م قامت ثورة بمرسية فتوجه إليها سيف الدولة بن هود في جماد الآخرة وبقي فيها حتى هاجمها النصارى في شعبان من نفس السنة فهزم المسلمون هزيمة شنيعة قتل فيها ابن هود، ينظر التفاصيل: ابن القطان، نظم الجمان، ص ٢٢٩ - ٢٣٠. ويجعلها في سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م؛ ابن الأبار، الحلة السبراء، ٢/٢٤٨-٢٥٠؛ ابن سعيد، المغرب، ٢/٤٣٨-٤٣٩ قال قتله النصارى في معركة السلك ذوو البيوت؛ الذهبي، سير، ١٤/٤٤٨-٤٤٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٧٣-١٧٥.

القشتالي بذلك رأى أن يهادن ابن غانية ليكون سداً لبلاده وأن يحكم قرطبة تابعاً له وباسمه<sup>(١)</sup>.

وخلال مدة حكم يحيى بن غانية لقرطبة اضطره الملك القشتالي التنازل عن العديد من الحواضر الإسلامية الواقعة شمال قرطبة ، فقد تنازل له عن حصن أندوجر Andujar وبياسة وأبده Ubeda ثم طالبه ببيان ما دفع ابن غانية إلى التردد في إجابته وأخذ يفكر في التعاون مع الموحدين ضد أطماع الملك القشتالي فذهب إلى غرناطة من أجل ذلك إلا أنه توفي في سنة ١١٤٨م/٥٤٣هـ<sup>(٢)</sup>.

وأشار ابن غالب إلى أن منطقة فحص البلوط الملاصقة لمدينة فريش دخلها النصارى بعد سنة ١١٤٥م/٥٤٠هـ<sup>(٣)</sup> ، والراجح أن ذلك حدث في أيام ولاية يحيى بن غانية المرابطي لقرطبة لأن بياسة وأبده هي الأقرب إلى قرطبة من فحص البلوط وفريش.

وعلى الرغم من تمكن الموحدين من استعادة قرطبة من أيدي النصارى في سنة ١١٤٨م/٥٤٣هـ<sup>(٤)</sup> ، إلا أن فحص البلوط وفريش بقيتا فيما يبدو بيد النصارى حتى سنة ١١٥٥م/٥٥٠هـ ، فقد أشار ابن عذارى إلى أن الخليفة الموحد عبد المؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨م/١١٢٩-١١٦٢م) عين على قرطبة سنة ١١٥٥م/٥٥٠هـ أبا زيد عبد الرحمن

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٢٩ - ٢٣٠ ؛ الإحاطة، ٣٠١/٤، دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ٧٧ - ٨٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٢ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٢/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/٣٣٣.

(٣) فرجة الأنفس، ص ٢٠.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٢.

بن بجيت)) فعندما وصل إليها خرج مع الموحدين إلى حصن البطروج وما يليه من الحصون التي فيها النصارى دمرهم الله تعالى وفتح الله به عليهم بهزائم شتى وصحبه النصر على ما يراد ويتأتى وهزم القمط اللعين صاحب بطروج ثم تغلب على الحصن المذكور بعد ذلك وأخذ فيه القمط المذكور وبعث به إلى مراکش... ثم توالى غزو ابن بجيت من قرطبة لبعض الحصون ونازلها وتغلب عليها منها حصن منتور والمدور وغيرهما وخاطب الحضرة بجميع هذا الفتح))<sup>(١)</sup>.

وبذلك فقد عادت منطقة فحص البلوط وفريش مرة أخرى إلى المسلمين إلا أنها أصبحت تابعة إلى والي قرطبة الموحدى ، وقد تعزز مركز الدولة الموحدية في الأندلس الأوسط عندما نقل مركز الحكم من إشبيلية إلى قرطبة إذ أصدر الخليفة عبد المؤمن أمراً بذلك وبعث إلى ابنه السيد أبي يعقوب يوسف بالانتقال إليها فوصلها في شوال سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م ، وقد أشار ابن أبي صاحب الصلاة إلى ذلك بقوله: ((أن تكون مقراً للأمر بالأندلس كفعل بني أمية بها في قديم حقبها ، إذ هي متوسطة الأندلس ، وأن تكون أشغال الأعمال مستقرة فيها))<sup>(٢)</sup> فساد الهدوء في أرجائها بعد أن لبثت أعواماً طويلة مسرحاً للفتن وعاد إليها الكثير من أهلها<sup>(٣)</sup> ، ولعل ذلك انعكس إيجابياً على الأوضاع في المناطق القريبة منها مثل

(١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٥٤.

(٢) تاريخ المن بالإمامة، ص ١٩٧.

(٣) عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين ، ٣ / ٣٩٢.

فريش وفحص البلوط.

إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً ، ففي سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م قامت القوات القشتالية بمهاجمة متوسطة الأندلس واخترقوا الأندلس من أقصاها إلى أقصاها حتى وصلوا إلى الجزيرة الخضراء Algecira ثم إلى البحر وقتلوا وسبوا ثم انسحبوا<sup>(١)</sup> ، وقد استمرت عمليات الكر والفر بين الجانبين طيلة عصر الخليفة الموحيدي يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٥٨هـ / ١١٦٢-١١٨٤م)<sup>(٢)</sup> ، والذي يبدو أن كلاً من الجانبين لم يستطع أن يغير الخارطة على الأرض بشكل كبير فاستمر تمركز القوات الموحدية في قرطبة واستمرت الغارات القشتالية على أطرافها الشمالية ما يعني أن منطقة فريش التي ظلت طيلة الحقب السابقة بعيدة عن ساحات المعارك تحولت في هذا العهد إلى ثغر.

وفي عهد الخليفة المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٠-٥٨٠هـ / ١١٨٤-١١٩٨م) شهدت منطقة شمال قرطبة تحول مهم ذلك أن الخليفة الموحيدي قرر أن يوجه ضربة كبيرة إلى ملك قشتالة بسبب غاراته المتكررة على قرطبة ومناطقها الشمالية ، فخرج سنة ٥٩١هـ / ١١٩٤م ، وكانت قلعة رياح الواقعة إلى الجنوب الشرقي من طليطلة والشمال الشرقي من فريش هي الحد الفاصل بين المسلمين

---

(١) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٤٢٢؛ ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ١١٠.

(٢) ينظر الأحداث في الأندلس في عصر أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحيدين، ٣ / ٩٥ - ١٣٠.

وقشتالة وفي حصن الأرك Alarcos منها عسكر الملك القشتالي الفونسو الثامن (٥٥٣-٦١١هـ / ١١٥٨-١٢١٤م) ، ومن قرطبة انطلقت القوات الموحدية بقيادة الخليفة المنصور ودارت رحى معركة حامية تمكن الجيش الموحدى خلالها من تمزيق صفوف الجيش القشتالي وفرّ الملك القشتالي تحت جناح الظلام في عشرين من أصحابه إلى طليطلة<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م قاد المنصور الموحدى حملة أخرى اخترق فيها أراضي قشتالة ووصل إلى طليطلة<sup>(٢)</sup> Talavera إلى الشمال الغربى من طليطلة ثم اتجه نحو مجريط Magerit ثم إلى وادى الحجاره Guadalajara وذلك فى استعراض للقوة ثم ارتد نحو أقليش Ucles ومرّ بقرطبة وإشبيلية<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر التفاصيل عن معركة الأرك: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٨٩- ٣٩٤ ؛ المراكشى، المعجب، ص ٢٠٦- ٢٠٧ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦/٧- ٩ ؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ٢٧ ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢١٧- ٢٢٢ ؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٢٢٠- ٢٢٩ ؛ الذهبى، تاريخ الإسلام، ١٠٥٦/١٢ ؛ النويرى، نهاية الأرب، ٣٣٥- ٣٣٢/٢٤ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤/١٣ ؛ الياقعى، مرآة الجنان، ٣٦٣/٣- ٣٦٤ ؛ ابن خلدون، العبر، ٣٢٠/٦- ٣٣٠ ؛ المقري، نضح الطيب، ٤٤٣/١ ؛ السلاوى، الاستقصا، ١٨٧/٢- ١٩٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/ ١٩٧- ٢١٤.

(٢) طليطلة مدينة أندلسية من أعمال طليطلة وتقع إلى الشمال الغربى منها، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١.

(٣) ينظر التفاصيل عن غزوة المنصور الموحدى سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٩٤ ؛ المراكشى، المعجب، ص ٢٠٧ ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٢٦- ٢٢٧ ؛ عنان، دولة الإسلام=

ويشير عنان إلى أن هذه المعارك التي خاضها المنصور الموحيدي لم تسفر عن نتائج مستقرة ولم يحرز الموحدون خلالها أية أراض ذات شأن<sup>(١)</sup>، ولكننا نرى أن الحملات الموحدية أخرجت إلى حين من سقوط العديد من المدن الأندلس وعلى رأسها فحوص البلوط وفريش وبياسة وأبذه وجيان إذ أن كل المؤشرات كانت توضح أن تلك المناطق أصبحت لقمة سائغة بيد ملك قشتالة لولا ردع الموحيدين له.

إلا أن الخليفة الناصر لدين الله الموحيدي (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م) الذي خلف أباه انشغل بمجاذب وقعت بإفريقية<sup>(٢)</sup> عن شؤون الأندلس، فوجد النصاري فرصة لاستئناف غزوهم للأراضي الإسلامية لاسيما وأن الملك القشتالي الفونسو الثامن كان يتوق إلى الانتقام من هزيمته في الأرك، فأشار ابن أبي زرع إلى أنه في سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م اتصلت ((الأخبار من الأندلس أن الفونسو الثامن ملك قشتالة لعنه الله يفتك ببلاد الإسلام ويضرب على قراها وعلى حصونها يقتل الرجال ويسبي النساء والأموال فاستغاث أهلها بالناصر أمير المؤمنين))<sup>(٣)</sup>، عندها عبر الناصر الموحيدي بقوات

---

= في الأندلس، عصر المرابطين والموحيدين، ٢٢٩/٣ - ٢٣٠.

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحيدين، ٢٢٠/٣.

(٢) ينظر عن أحداث إفريقية في عهد الناصر الموحيدي: عنان، دولة الإسلام في

الأندلس، عصر المرابطين والموحيدين، ٢٥٠/٣ - ٢٥١.

(٣) الأنيس المطرب، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

كثيفة نحو قشتالة وقام بمحاصرة مدينة شلبطرة Salvatierra<sup>(١)</sup> التي كان الجيش القشتالي يهاجم منها أراضي المسلمين وتمكن من اقتحامها ولكن بعد حصار وجهد كبير وذلك سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م<sup>(٢)</sup> ، وعندها هبت النصرانية من كل حدب لنصرة ملك قشتالة في حملة اتسمت بالطابع الصليبي ، وقد أشار المراكشي إلى ذلك بقوله: ((وخرج الأدفنش - لعنه الله- إلى قاصية بلاد الروم مستنفرًا من أجابه من عظماء الروم وفرسانهم وذوي النجدة منهم ، فاجتمعت له جموع عظيمة من الجزيرة نفسها ومن السام<sup>(٣)</sup> ، حتى بلغ نفير إلى القسطنطينية ، وجاء معه صاحب بلاد أرغن المعروف بـ البرشنوني-لعنه الله-))<sup>(٤)</sup> وتمكنوا من اقتحام قلعة رباح والاستيلاء عليها<sup>(٥)</sup>.

وكرد فعل من قبل المسلمين ، خرج الخليفة الناصر الموحدى بقواته لمواجهة التحالف النصراني الذي كان بقيادة الفونسو الثامن لأخذ الثأر منهم ، وقد التقى الطرفان سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م في موضع عرف بالعقاب يقع بين مدينتي جيان وقلعة رباح ، وفيها خسر

- 
- (١) وهي أحد حصون قلعة رباح، الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٤.
  - (٢) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٦١ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٣٨ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٤.
  - (٣) يرجح محقق كتاب المعجب أن الصواب الألمان وذلك لاشتراكهم آنذاك تلك الحملة، ص٢٢٨ هامش (٥).
  - (٤) المعجب، ص٢٣٤.
  - (٥) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٣٧ - ٢٣٨.

الموحدون المعركة ، وقتل أعداداً كبيرة منهم ، وعلى إثر هذه الواقعة تغير ميزان القوى ، ولم يعد في مقدور دولة الموحدين حماية الثغور الأندلسية من هجمات النصارى<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك حاول الفونسو الثامن استثمار النصر فزحف نحو بياسة وأبذه وتمكن من الاستيلاء عليهما ونهب ما فيهما<sup>(٢)</sup> إلا أنه لم يتمكن أكثر من ذلك لامتلاء أيديهم بالغنائم وانتشار الأوبئة لكثرة وتعفن الجثث فرجع ظافراً إلى طليطلة<sup>(٣)</sup>.

كانت هزيمة الموحدين في العقاب أن دخلت دولتهم في مرحلة من الضعف والانحلال ، فشب صراع داخلي على السلطة بين أسرة بني عبد المؤمن ، وفي الأندلس تحفزت القوى المحلية للانفراد بالسلطة في مختلف المناطق والثورة على الموحدين على الصورة نفسها التي جرت في أواخر عهد المرابطين ، إلا أن أخطرها على قرطبة وما جاورها هي حركة أبي محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن الذي خلع بيعة العادل الموحدية (٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١١٢٦م) ودعا لنفسه خليفة للموحدين وأطاعه أهل جيان وأبدة وبياسة ، ولقب بالبياسي لأنه اتخذها مقراً له وتحالف مع

---

(١) مزيد من التفاصيل ينظر: المراكشي، المعجب، ص ٢٣٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤١٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٢٣٩-٢٤٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٧٠؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ص ٤٩١ وما بعدها.

(٢) المراكشي، المعجب، ص ٢٣٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٤٠.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/٣٢٤.

النصارى وذلك سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م<sup>(١)</sup>.

لبث حركة عبد الله البياسي ثلاثة أعوام كان من أهم نتائجها أنه مهد للنصارى السيطرة على العديد من المدن والحصون المهمة ، ففي سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م قام الملك القشتالي فرناندو الثالث باحتلال حصن قبالة المنيع<sup>(٢)</sup> وأخرج الناس فيه إلى حصن غافق<sup>(٣)</sup> من فحص البلوط الملاصق لفريش ، والتي يبدو أنه حتى ذلك الوقت لا تزال بأيدي المسلمين ، وفي تقديرنا أن صمود منطقة فحص البلوط وفريش بوجه هجمات النصارى على الرغم من ضراوتها يعود إلى بسالة الأهالي في الدفاع عن أرضهم ، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك عند حديثه عن حصن ومدينة غافق بقوله: ((و حصن غافق حصن حصين ومعقل جليل وفي أهله نجدة وعزم وجلادة وحزم وكثيرا ما تسرى إليهم سرايا الروم فيكتفون بهم في إخراجهم عن أرضهم وإنقاذ غنائمهم منهم والروم يعلمون بأسهم وبسالتهم فينافرون أرضهم ويتحامون عنهم))<sup>(٤)</sup>.

إلا أن جهودهم الذاتية لم تستطع مقاومة الجيوش الكبيرة للدول

---

(١) ينظر التفاصيل عن حركة البياسي: ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١ - ٢٧٣ ؛ الدرويش والعلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية سلسلة رقم (١)، ص ١٤٥ - ١٤٩ .

(٢) وهو من الحصون الواقعة شمال قرطبة، عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/ ٣٦٠ هامش (١).

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/ ٣٦٢.

(٤) نزهة المشتاق، ٢/ ٥٨٠.

النصرانية يقابلها غياب كامل لدور الموحدين في الأندلس<sup>(١)</sup>، فيما أخذت نار الفتنة في هذا الأثناء تندلع في الأندلس بسبب انحسار الدور الموحدية وظهور على الساحة شخصيتان هما محمد بن يوسف بن هود<sup>(٢)</sup> ومحمد بن يوسف بن الأحمر<sup>(٣)</sup>، وفي أول الأمر ذاع صيت ابن هود واستولى على عدد من مناطق شرق ووسط الأندلس وأعلن الخطبة العباسية، إلا أنه لم يستطع تجاهل القوة الرئيسة في الأندلس الأوسط (أي ملك قشتالة) فاضطر إلى مهادنته على أن يقره على قرطبة مقابل أن يسلمه ثلاثين حصناً<sup>(٤)</sup> وكان ذلك سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م، وفي السنة التالية (أي ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م)

- 
- (١) ينظر عن نهاية الوجود الموحدية في الأندلس: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣ / ٣٨٩ - ٣٩٨.
- (٢) وهو من سلالة بني هود حكام سرقسطة ملك مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية بعد انقراض دولة الموحدين وأعلن الخطبة العباسية، وكانت وفاته سنة ٦٣٥هـ / ١١٣٧م، ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٨٨ - ٢٨٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٤٦ - ٢٥٠، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣/٤١١ - ٤٢٧.
- (٣) محمد بن يوسف بن الأحمر النصيري من سلالة الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري ظهر في أواخر الدولة الموحدية في الأندلس وخضعت له العديد من المعاقل الجنوبية ومنها غرناطة، وأخذ سلطانه يتسع بعد وفاة ابن هود، وتمكن من تكوين مملكة له وراثية استمرت حتى نهاية الإسلام في الأندلس، وكانت وفاته سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢م، ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٩٦؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣ / ٤١٤ - ٤٣٦.
- (٤) ابن خلدون، العبر، ٤ / ٢١٩؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ٣ / ٤١٧.

تمكن ملك قشتالة فرناندو الثالث من الاستيلاء على قرطبة<sup>(١)</sup> ، وكان بسقوطها أن سقطت أيضاً جميع مدن وحصون الأندلس الأوسط ولاسيما تلك التي كانت تقع إلى الشمال منها. وعلى الرغم من عدم ورود تفاصيل عن تاريخ سقوط مدينة فريش بيد النصارى ، إلا أننا نستطيع أن نرجح أنها خرجت من أيدي المسلمين قبيل سقوط قرطبة بقليل ، وذلك لأن مدينة غافق وهي قسبة فحص البلوط الملاصقة لفريش كانت حتى سنة ٦٢٣هـ /١٢٢٦م بيد المسلمين ، كما أن ابن هود عقد مع الملك القشتالي هدنة مقابل التنازل له عن ثلاثين حصناً سنة ٦٣٢هـ /١٢٣٤م وهذه أغلبها من حصون شمال قرطبة ، وعليه فإن هذا التاريخ هو الأنسب في تقديرنا لسقوط فريش ومنطقتها بيد النصارى.

### ثالثاً: الحياة الفكرية في مدينة فريش

دام الحكم الإسلامي في منطقة فريش للمدة (٩٢-٦٣٢هـ/٧١٠-١٢٣٤م) أي أكثر من خمسة قرون ، فخلال استعراضنا لتاريخ المنطقة لم يرد في مصادرنا ما يشير إلى حدوث نزاع أو صراع بين مكونات المجتمع وهو ما يؤثر أن الصراعات التي حدثت في مناطق أخرى من الأندلس كانت مفتعلة ويقف وراءها بعض أرباب المصالح ، وكان لقرب المنطقة من قرطبة أثرها في نشاط الحركة العلمية ، فنجد أن

---

(١) ينظر عن سقوط قرطبة بيد الملك القشتالي سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٤١.

أغلب من أسهموا من أهلها في مجالات العلوم المختلة كانوا قد تلقوا علومهم هناك ، ولعل عاملاً آخر ساعد على ذلك هو غنى المنطقة ما دفع العديد منهم إلى السفر وتلقي العلوم في مراكز العلم في قرطبة ، وقد نبغ العديد في مجالات المعرفة نذكر منهم:

١- إسماعيل بن عمر من أهل فريش محدث سمع من محمد بن عمر بن لبابة<sup>(١)</sup> وأحمد بن خالد<sup>(٢)</sup> كان معتنياً بالمسائل<sup>(٣)</sup> ، وهو من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

٢- خلف بن بسيل الفريشى الأندلسي ، اشتهر بالحديث ، مذكور بالفضل وطلب العلم ، توفى بالأندلس سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م<sup>(٤)</sup>.

٣- سعيد بن حمدون من أهل فريش ، سمع محمد بن وضاح<sup>(٥)</sup>

---

(١) هو محمد بن عمر بن لبابة من أهل قرطبة، روى عن عبد الله بن خالد وعبد الأعلى بن وهب وغيرهم، كان فقيهاً مقدماً على أهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتيا، وعين مشاوراً في عهد الأمير عبد الله بن محمد، توفي سنة ٣١٤هـ/٩٢٦، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٢٠.

(٢) هو أبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم بن سليمان يُعرفُ بابن الجباب من أهل قرطبة، سمع من محمد بن وضاح، وقاسم بن محمد، وإبراهيم بن قاسم، وجماعةٍ سواهم؛ ورحلَ إلى المشرق وسمع هناك من العديد من علماء عصره ثم قدم الأندلس وكان إماماً وفتياً في الفقه والحديث، توفي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٥ - ٣٦.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٦٥.

(٤) ابن ماكولا، الأكمال، ١٩/٥؛ السمعاني، الأنساب، ١٠/٢١٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ٢٨٣؛ ابن الأثير، اللباب، ٢/٤٢٩؛

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بُزَيْخ مولى الأمير عبد الرحمن بن مُعَاوية الداخل، من أهل قرطبة، روى بالأندلس عن محمد بن عيسى الأعشى، ومحمد بن خالد الأشج، وغيرهم، ورحل إلى المشرق فسمع من=

وسعيد بن عثمان الأعنقي كان حافظاً للمسائل ، توفي سنة ٣٣٠هـ  
/٩٤١م<sup>(١)</sup>.

٤- سعيد بن عثمان الأعنقي التجيبي من أهل قرطبة انتقل إلى  
فريش وسكنها لأجل أقارب كان له بها ، الزاهد الفقيه ، سمع  
من ابن وضّاح ، ويحيى بن إبراهيم بن مزين وغيرهم ، وكان ورعاً  
زاهداً ، عالماً بالحديث ، بصيراً بعلمه ، وتوفي بفريش سنة ٣٠٥هـ قبره  
بها<sup>(٢)</sup>.

٥- شُريق لم يذكر ابن الفرضي اسمه الكامل ، وقال: من أهل  
فريش كان فقيهاً حافظاً للمسائل سمع من ابن وضّاح<sup>(٣)</sup> ، وهو  
من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

٦- شعيب بن يحيى ، من أهل فريش ، انتقل إلى قرطبة وتولى  
الإمامة في جامعها الأعظم ، واشتهر بعلم القراءات<sup>(٤)</sup>.

٧- صُهيب ، لم يذكر ابن الفرضي اسمه الكامل ، وقال: من أهل  
فريش ، محدث سمع من سعيد الأعنقي ، كان حافظاً للمسائل  
والرأي ، وصاحب الصلاة في مدينته<sup>(٥)</sup> ، وهو من أبناء القرن

---

= أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم، ورجع إلى الأندلس فصار لها دار  
حديث، وتوفي سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس،  
ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

(١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٤٣.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٤٠؛ الحميدي، جذوة المقتبس،  
ص ٢٣٠؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٣) تاريخ علماء الأندلس، ص ١٦٦.

(٤) ابن الأبار، التكملة، ٤/١٣٦؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة،  
١٢٣/٢.

(٥) تاريخ علماء الأندلس، ص ١٦٧.

## الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

٨- عفان بن عبد السلام ، من أهل فريش ، محدث سمع من أحمد بن خالد وغيره ، كان معتنياً بالمسائل <sup>(١)</sup> ، وهو من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

٩- غانم بن منتيل من أهل فريش كان موصوفاً بالزهد <sup>(٢)</sup>.

١٠- محبوب بن بريق من أهل فريش يكنى أبا الخطاب ، كان من أهل العلم والزهد والعبادة تتلمذ عليه سليمان بن ربيع <sup>(٣)</sup> الفقيه <sup>(٤)</sup>.

١١- محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير الأفرقي ، نزل فريش ، فقيه ثقة ، توفي بإفريقية سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م <sup>(٥)</sup>.

١٢- محمد بن أبي الخطاب بن بريق: من أهل فريش ، سمع من أبيه ومن غيره ، وكان حافظاً للمسائل ، صاحب فتيا بموضعه <sup>(٦)</sup>.

١٣- محمد بن عبد السلام ، من أهل فريش ، محدث سمع من سعيد الأعناتي وغيره ، كان حافظاً للمسائل ، عاقداً للوثائق ، مفتياً بمدينته فريش <sup>(٧)</sup> ، وهو من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

---

(١) تاريخ علماء الأندلس، ص٢٤٨.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٧٣.

(٣) سليمان بن ربيع ذكره ابن الفرضي من أهل قرمونة كان مفتياً بها، تاريخ علماء الأندلس، ص١٥٨.

(٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٨٨.

(٥) السخاوي، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ٨/ ١٠٤.

(٦) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٣٥.

(٧) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٣٩؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٦/ ١٦٩.

١٤- محمد بن قاسم بن هَيْكَل من أهل فَرَيْش ، محدث سمع من أبيه وغيره ، وكان مفتياً بمدينة فريش<sup>(١)</sup>.

١٥- محمد بن محمد بن أحمد الفَرَيْشي نسبة إلى فَرَيْش إحدى مدائن قرطبة ، يكنى أبا عبد الله ، اشتهر بالقراءات القرآنية ، وقرأ بالروايات على أبي القاسم بن غالب<sup>(٢)</sup> وسمع عليه وعلى أبي القاسم بن بشكوال<sup>(٣)</sup> وغيره ، وله رحله سمع خلالها بمكة ، بمصر ، وعاد إلى الأندلس ، وكان مشهوراً بالصلاح معروفاً بإجابة الدعاء ، ورعاً ثقة زاهداً فاضلاً ، رحمه الله تعالى ، وتوفي بقرطبة سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م<sup>(٤)</sup>.

١٦- مُزَيْن بن يزيد من أهل فَرَيْش ، محدث سمع من محمد بن وضَّاح وغيره من أهل العلم. وكان حافظاً للمسائل مع فضل وورع<sup>(٥)</sup> ، وهو من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

---

(١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ص ٣٤١.

(٢) هو أبو القاسم هبة الله بن علي بن سعود بن ثابت بن هاشم بن غالب الأنصاري الخزرجي، المنستيري الأصل البوصيري، سمع مع السلفي من أبي صادق مرشد بن يحيى المديني، ومحمد ابن بركات السعيدني، وجماعة غيرهم، توفي سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م، الذهبي، سير، ٢١/٢٩٠ - ٢٩٢.

(٣) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال من أهل قرطبة وأصله من شريون بشرق الأندلس بحوز بلنسية، سمع أبيه وأبا محمد بن عتاب وأبا الوليد بن رشد وغيرهم، كان حافظاً حافلاً إخبارياً ممتعاً تاريخياً مفيداً ذاكراً لأخبار الأندلس القديمة والحديثة، وألف حوالي خمسين تأليفاً في أنواع مختلفة، أشهرها كتاب الصلة جعله ذيلاً على كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، توفي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، ابن الأبار، التكملة، ١/٢٤٨ - ٢٥٠ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/٢٤٠ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٤/٣٧٩.

(٤) المقري، نضح الطيب، ٢/٦٥.

(٥) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤١١.

١٧-وهب بن مسرة ما أهل فريش ، محدث سمع من سعيد الأعناقى ، كان له حظ في علم الفرائض<sup>(١)</sup> ، وهو من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

### الغاية

تقع مدينة فريش إلى الشمال الغربي من قرطبة ، فتحها المسلمون بعد قرطبة وذلك في أواخر سنة ٩٢هـ/٧١٠م ، وأغلب سكانها المسلمون من البربر ، واشتهرت بزراعة الجبوب والفاكهة ، فضلاً عن الأشجار الصناعية كالقسطل والبلوط ذات الاستخدامات الطبية ، وكان لقرتها من قرطبة و ثروتها الزراعية والطبيعية أثر في إحكام قبضة الدولة عليها لقرون عدة ، إذ لم تشهد ثورات كبيرة فيها حتى عهد الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣٠-١٠٩١م) إذ شهدت قرطبة والمناطق المحيطة بها صراعاً مريراً بين دويلات الطوائف من أجل الاستحواذ عليها.

إلا أنها بعد سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م تحولت مدينة فريش إلى منطقة ثغرية ، فتعرضت إلى هجمات عدة من قبل النصارى وكادت تسقط في أيديهم لولا دخول المرابطين سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م الذي أنقذ الموقف ، إلا أنها بقيت طيلة العهد المرابطي

---

(١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٢١، وهو غير محمد بن عبد الله بن مسرة صاحب مذهب الاعتزال في الأندلس، ينظر عن الأخير: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٢٣.

مسرّحاً للعمليات العسكرية بين الجانبين الإسلامي والنصراني الذي توج باستيلاء النصارى عليها سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م وبقيت في أيديهم حتى سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م عندما تمكن الموحّدون من استعادتها ، إلا أنهم لم يتمكنوا من الاحتفاظ بها طويلاً إذ سرعان ما سقطت بأيدي النصارى سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م.

# مدينة أبدة Ubada الأندلسية

٩٢ - ٥٦٣٠ هـ / ٧١٠ - ١٢٣٢ م



## أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة أبذة Ubada

ورد اسم المدينة في المصادر بألفاظ مختلفة بعض الشيء ، فجاءت بلفظ (أبذة ، أو أبدة)<sup>(١)</sup> ، وأشارت المصادر إلى أنها مدينة محدثة ، وهذه اللفظة تدل على أنها أنشأت بعد الفتح الإسلامي لشبه جزيرة أيبيريا Iberia ، إذ يرجع بناؤها إلى عهد الأمير عبد الرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م)<sup>(٢)</sup> ، إذ يسمي الجغرافيون العرب المدينة التي أنشأها المسلمون بالحدثة ، أما التي كانت موجودة قبل الإسلام بالقدية أو الأزلية.

تعد مدينة أبذة من أعمال كورة جيان Jaen<sup>(٣)(٤)</sup> ، كما أنها تقع بالقرب من مدينة بياسة Baeza<sup>(٥)(٦)</sup> ، وقد أشار إلى ذلك أبو الفدا

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦١/٢ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٥ ؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٢ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦ ؛ ابن حجر، تبصير المنتبه، ص٣٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٩٠.

(٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٥ ؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٣ ؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص١٦٧ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٢٩/٥.

(٣) مدينة أندلسية تبعد عن مدينة بياسة ستون ميلاً، وبينها وبين قرطبة خمسين ميلاً، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٥ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦، والميل يساوي ٢ كم، هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٩٨.

(٤) ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٣.

(٥) مدينة أندلسية تمد من أعمال كورة جيان إذ تبعد عنها عشرون ميلاً، وهي ذات أسوار وأسواق ومتاجر، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٥ ؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٣ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦.

(٦) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٧٥/٢.

بقوله: ((...، ومن أعمال جيان مدينة أبذة، وهي مجاورة لبياسة...))<sup>(١)</sup>، إذ تبعد عن بياسة سبعة أميال<sup>(٢)</sup>، في حين أشار ياقوت الحموي إلى أن المسافة بين المدينتين فرسخان<sup>(٣)</sup>، كما تبعد مدينة أبذة عن جيان خمسين كيلو متراً<sup>(٤)</sup>.

وتحدث شيخ الربوة عن هذه المدينة عند حديثه عن كورة جيان وأعمالها بقوله: ((كورة جيان وتسمى قنسرين وقصبتها مدينة الحاضرة...، ولها من الأعمال بياسة وأبذة...))<sup>(٥)</sup>.

وقد عدّها مؤلف مجهول بأنها من مدن متوسطة الأندلس بقوله: ((وأما المدن المتوسطة مثل شريش<sup>(٦)</sup> وقرمونة<sup>(٧)</sup> وبسطة<sup>(٨)</sup> وطليلة<sup>(٩)</sup> وطليلة<sup>(٩)</sup> وأبذة وبياسة وباجة<sup>(١)</sup>...))<sup>(٢)</sup>.

- 
- (١) تقويم البلدان، ص ١٦٧.
  - (٢) الحميري، الروض المعطار، ص ٦.
  - (٣) الأندلس من معجم البلدان، ص ٩٤، والفرسخ يساوي ٦ كم، ينظر: هنتس، المكابيل والأوزان الإسلامية، ص ٩٤.
  - (٤) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٢٨؛ ينظر عن موقعها أيضاً: الخارطة في نهاية البحث.
  - (٥) نخبة الدهر، ص ٣٢١.
  - (٦) مدينة أندلسية من أعمال كورة شذونة تبعد عن إشبيلية مرحلتان، ينظر: ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٢/٢ - ٥٧٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٥٩.
  - (٧) مدينة أندلسية تقع شرق إشبيلية، وتبعد عنها عشرون ميلاً، ينظر: ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦١.
  - (٨) مدينة أندلسية تقع بالقرب من وادي آش بينها وبين جيان ثلاثة مراحل، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١١٣.
  - (٩) مدينة أندلسية كانت قاعدة ملوك القوط الغربيين، وهي حصينة لها

في حين وضع البكري مدينة أبذة في الجزء السادس استناداً إلى التقسيم الروماني القديم لشبة جزيرة أيبيريا وقاعدة هذا الجزء مدينة إشبيلية Sevilla<sup>(٣)</sup>، وأضاف إليها مدناً أخرى هي لبلبة Neibla<sup>(٤)</sup> وقرطبة Cordoba<sup>(٥)</sup> وقرمونة Carmona ومورور Moron<sup>(٦)</sup> ومرشانة Maracena<sup>(٧)</sup> والجزيرة Algeciras<sup>(٨)</sup> وتاكرنا Takoronna<sup>(٩)</sup> وريّة

- 
- أسوار عدة، وتقع على نهر تاجه، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩- ٢٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٣.
- (١) مدينة أندلسية قديمة، تقع غرب الأندلس، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٧٥.
- (٢) تاريخ الأندلس، ص ٤٥.
- (٣) مدينة أندلسية قديمة، تبعد عن قرطبة ثمانون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٧٤ - ١٧٥.
- (٤) مدينة أندلسية قديمة، تقع غرب الأندلس، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٢ - ٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٠٧.
- (٥) وهي قاعدة وعاصمة الأندلس لحقبة طويلة، وتقع على نهر الوادي الكبير، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦ - ٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦ - ٤٥٩.
- (٦) مدينة أندلسية تتصل بأحواز مدينة قرمونة كما تتصل بأحواز كورة شدونة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ٢٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٦٤.
- (٧) مدينة أندلسية تبعد عن المرية ثمانية عشر ميلاً، ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٢/ ٢٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٤٢.
- (٨) وهي الجزيرة الخضراء في أقصى جنوب الأندلس قرب جبل طارق كانت محطة استراحة المقاتلين المسلمين العابرين من الغرب إلى الأندلس، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٢٢٣؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٧٢، ١٧٣.
- (٩) مدينة أندلسية تقع بالقرب من مدينة أستجة وهي قديمة البناء، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٢٩.

Ryya<sup>(١)</sup> وأشونة Osuna<sup>(٢)</sup> وأستجة Ecija<sup>(٣)</sup> وقبرة Cabra<sup>(٤)</sup> وأعمالها إلى بجاية Pechina<sup>(٥)</sup> واللبيرة Elvia<sup>(٦)</sup> وجيان ومنتيتة Montesa<sup>(٧)</sup> وياكرته<sup>(٨)</sup> وأبدة وياسة<sup>(٩)</sup>.

ومما زاد في أهمية موقعها مرور بعض الأنهار بأراضيها ، ومنها نهر قرطبة المسمى بالوادي الكبير Rio Guafalquivir ، إذ يقع بالقرب منها ، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله: ((...)) ، وهي مدينة صغيرة على مقربة من النهر الكبير ،...))<sup>(١٠)</sup> ، ووصف الإدريسي جريان هذا

- 
- ١) وهي كورة كبيرة متصلة بالجزيرة الخضراء، وهي قبلي قرطبة، ولها حصون عدة، ينظر: ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٣٤ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.
  - ٢) مدينة أندلسية من أعمال مدينة أستجة، ولها حصون عدة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠.
  - ٣) مدينة أندلسية قديمة، تقع بين القبلة والغرب من قرطبة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣.
  - ٤) مدينة أندلسية بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣.
  - ٥) مدينة أندلسية تعد من أعمال كورة البيرة، بينها وبين المرية فرسخان، وبينها وبين غرناطة مائة ميل، ينظر: ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٤.
  - ٦) كورة بالأندلس تقع بالقرب من قرطبة وتتصل بأحواز قبرة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٤ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢.
  - ٧) وهي تحريف لمدينة منتيشة، وهي مدينة صغيرة تقع بالقرب من جيان، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ٣٧٨/٢.
  - ٨) مدينة أندلسية تقع بالقرب من جيان، ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٤٢.
  - ٩) البكري، المسالك والممالك، ٨٩٣/٢.
  - ١٠) نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢ ؛ وينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ٦.

النهر ومروره بمدينة أبذة ومدن أخرى بالقول: إن ((نهر قرطبة المسمى بالنهر الكبير...، وأن هذا النهر الذي يمر بقرطبة يخرج من هذا الجبل من مجتمع مياه كالغدير ظاهر في نفس الجبل ثم يغوص تحت الجبل ويخرج من مكان في أسفل الجبل فيتصل جريه غرباً إلى جبل نجدة إلى غادرة إلى قرب مدينة أبذة إلى أسفل مدينة بياسة إلى حصن اندوجر<sup>(١)</sup> إلى القصير<sup>(٢)</sup> إلى قنطرة اشتشان<sup>(٣)</sup> إلى قرطبة قرطبة إلى حصن المدور<sup>(٤)</sup> إلى حصن الجرف<sup>(٥)</sup> إلى حصن لورة<sup>(٦)</sup> إلى حصن القليعة<sup>(٧)</sup>...))<sup>(٨)</sup>.

إن وفرة مياه المدينة ساعدها على قيام الزراعة في أراضيها ، إذ يعد حوض نهر الوادي الكبير في الأندلس من المناطق المهمة فيها ،

- 
- (١) وهو حصن يبعد عن مدينة المرية مرحلة، وهو حصن على تل تراب أحمر، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٤٩ وأسماء مندوجر.
  - (٢) موضع من أعمال مدينة قرطبة، ينظر: أرسلان، التحلل السندسية، ٢٠٥/١.
  - (٣) تقع هذه القنطرة بالقرب من مدينة قرطبة، ينظر: أرسلان، التحلل السندسية، ١١٦/١ - ١١٧.
  - (٤) وهو حصن يقع بالقرب من قرطبة وله عدة قرى، ينظر: ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٨٧.
  - (٥) وهو حصن يقع على الطريق بين إشبيلية وقرطبة، ينظر: أرسلان، التحلل السندسية، ١٣٥/١.
  - (٦) وهو حصن يقع بين مدينتي إشبيلية وقرطبة، ينظر: أرسلان، التحلل السندسية، ١٣٤/١.
  - (٧) يقع هذا الحصن على ضفة نهر الوادي الكبير، وهو يتوسط مدينتي قطنياتة ولوزة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦١/٢.
  - (٨) نزهة المشتاق، ٥٦١/٢.

فعلى ضفافه قامت أشهر المراكز الحضارية مثل أبذة وشقورة Segura<sup>(١)</sup> وبياسة وجيان وقرطبة وإشبيلية وقادس Cadiz<sup>(٢)</sup> ، وقد وصف المقرئ جانباً من النشاط الاقتصادي له بقوله: ((... وليس في الأرض أتم حسناً من هذا النهر ، يضاهاي دجلة والفرات والنيل ، تسير القوارب فيه للنزهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار ، وتغريد الأطيّار ، أربعة وعشرين ميلاً ، ويتعاطى الناس السّرج من جانبه عشرة فراسخ في عمارة متصلة ومنازل مرتفعة وأبراج مشيدة ، وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى ،...))<sup>(٣)</sup>.

وبسبب وفرة المياه ، فقد اشتهرت مدينة وبذة بإنتاج الحبوب ، لاسيما القمح والشعير ، إذ أشار إلى ذلك الإدريسي بقوله: ((... ، ولها مزارع وغلّات ، قمح وشعير كثيرة جداً...))<sup>(٤)</sup> ، كما تكثرت فيها بساتين الفاكهة لاسيما الكروم ، وقد وصفه ابن حزم بالقول: ((... في أبدة من الكروم التي كاد العنب كما يباع فيها ولا يشتري كثرة...))<sup>(٥)</sup> ، وقال مؤلف مجهول عنها: ((... ، وهي مدينة زرع وضرع

---

(١) مدينة أندلسية تقع شمال مدينة مرسية، وتعد من أعمال جيان، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٦٣.

(٢) وهي جزيرة أندلسية تعد من كورة شنونة، وهناك من يعدها من أعمال إشبيلية، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٥ ؛ ياقوت، الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٠٧ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٤٨.

(٣) نضح الطيب، ٢٠٨/١.

(٤) نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢.

(٥) رسالة في فضل الأندلس، ص٥٦.

وضرع وكرم وزيتون))<sup>(١)</sup> ، فضلاً عن أن المنطقة التي تقع بين مدينتي أبذة وبياسة تعد من المناطق الخصبة الصالحة للزراعة ، إذ وصف مؤلف مجهول هذه المنطقة الواقعة بين المدينتين بقوله: ((... ، جناتها متصلة بعضها ببعض ، ومحارثهما ومراعيهما كذلك...))<sup>(٢)</sup> ، كما علق عنان على ذلك عند حديثه عن المدينتين بالقول: وهذه المنطقة التي تقع في وسطها المدينتان الأندلسيتان ، يغلب عليها السهل المنبسط ، وتمتد سهولها إلى مسافات بعيدة ، ثم تظللها التلال في النهاية ، ومعظم رقاها خضراء منزوعة ، وتتصل من الشمال بولاية (لامنشا) التي تكثر في سهولها الكروم الأرضية ، فإذا ما تركت سهول لامنشا ونفذت إلى ولاية جيان ، تغيرت الطبيعة ، وظهرت الوهاد والهضاب ، وإن لم تكن وعرة ، ثم تبدأ غابات الزيتون ، وحقول القمح الخضراء ، وتمتد هذه الرقاع الخصبة إلى مسافات بعيدة<sup>(٣)</sup>.

ويُزرع الزعفران<sup>(٤)</sup> في مدينة أبذة ، وقد تحدث ابن سعيد عن ذلك بقوله: ((... ، ولها عين عظيمة تسقي الزعفران وغيره ، وهي كثيرة الخصب...))<sup>(٥)</sup> ، كما أشار أبو الفدا إلى ذلك بقوله: ((... ، ولأبذة عين تسقي الزعفران...))<sup>(٦)</sup> ، كذلك يوجد في جبل أبذة القسط

(١) تاريخ الأندلس، ص ٩١.

(٢) تاريخ الأندلس، ص ٥٣.

(٣) الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٢٨.

(٤) وهو نبات عشبي معمر يعطي أزهار ذات رائحة عطرية يستخدم في صنع العطور والأدوية، ينظر: ابن سيده، المخصص، ٣/٢٧٤.

(٥) المغرب في حلى المغرب، ٢/٧٥.

(٦) تقويم البلدان ، ص ١٦٧ ؛ ينظر أيضاً: القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٢٩.

الطيب المذاق<sup>(١)</sup> ، والقسط هو عود يتداوى به ، ويتبخر به ، وهو عود هندي وعربي ، والهندي غليظ أسود مرّ المذاق ، والعربي أبيض خفيف قوي الرائحة<sup>(٢)</sup>.

كما توجد المعادن في مدينة أبدة ، ومنها المرقشيتا وهي من المعادن الكبريتية<sup>(٣)</sup> ، وقد أشار مؤلف مجهول إلى ذلك بقوله: ((المرقشيتا الذهبية التي لا مثل لها توجد بجبل أبدة...))<sup>(٤)</sup>.

وقد وصف ابن الخطيب جانباً من نشاطها الاقتصادي والعمراني بقوله: ((... ، مدينة أبدة ، دار العمران المستبحر ، والربض الحري الخصر ، والمباني الشم الأنوف ، وعقاييل المصانع الجمّة الحلّى والشنوف ، والغاب الأنوف ، وبلد التّجر...))<sup>(٥)</sup> ، كما تحدث القلقشندي عن أسوار وربض وشوارع مدينة أبدة وازدهار الحياة الاقتصادية فيها بالقول: ((... ، مدينة أبدة وهي ثانية الجناحين ، وكبرى الأختين ، ومساهمة جيّان في حين الحين ، مدينة أخذت عرض الفضاء الأخرق ، وتمثّت فيه أرباضها تمثّي الكتابة الجامحة في المهرق ، المشتملة على المتاجر والمكاسب ، والوضع المتناسب ، والفلج المعى ريعه عمل الحاسب ، وكوارة الدبر اللّاسب ، المتعدّدة يعاسب...))<sup>(٦)</sup>.

---

(١) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٥١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ٣٧٩/٧ (مادة قسط)؛ المقري، نصح الطيب، ١٤١/١.

(٣) المقري، نصح الطيب، ١٤٢/١.

(٤) تاريخ الأندلس، ص ٥٣.

(٥) ريحانة الكتاب، ٧٦/١.

(٦) صبح الأعشى، ٥٥٢/٦.

وحدثاً تميزت مدينة أبذة بشوارعها الطويلة الواسعة ، إذ تجتمع صاعدة إلى الربوة الوسطى التي يحتلها وسط المدينة ، ومنها تنساب الشوارع منخفضة إلى أطرافها ، وتجمع خططها ومبانيها بين القديم والحديث<sup>(١)</sup>.

أما طبيعة سطحها ، فالمدينة تقع على ارتفاع كبير عن سطح البحر ، جنوبي سلسلة من الجبال الواقعة على ضفة نهر الوادي الكبير ، ما جعلها عرضة لهبوب الرياح الباردة ، فهي في الشتاء أبرد مدينة أندلسية<sup>(٢)</sup>.

كما توجد في مدينة أبذة مجموعة من الآثار القديمة تحدث عنها عنان عند زيارته لها ، ذكر منها الآثار الأندلسية التي تتمثل في بقية من أسوارها ، وعقدين من أبوابها القديمة ، وتقع بقايا الأسوار الأندلسية على مقربة من الكنيسة العظمى في نهاية المدينة ، وهي بقية كبيرة يبلغ طولها نحو ثمانين متراً ، وارتفاعها خمسة عشر أو أكثر في بعض أجزائها ، وفي وسطها عضادة قوية عليه ، وفي طرفها الأيمن عقد يسمى (باب غرناطة Granada) ، وقد كان فيما يبدو نهاية المدينة الأندلسية ، ويقع من وراء هذه الأسوار عدد من الدروب الصخرية الصلدة ، وأما باب غرناطة فهو عقد عتيق منخفض نوعاً يبلغ ارتفاعه نحو ستة أمتار وعرضه نحو أربعة وعمقه كذلك أربعة أمتار ، وإلى يمينه توجد بقية صغيرة أخرى من الأسوار<sup>(٣)</sup>.

(١) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٣٠.

(٢) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٣٠.

(٣) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٣٠.

ومن آثار مدينة أبذة التي تحدث عنها عنان عقد روسال Puerta del Rosal ، ويقع هذا العقد في الناحية الجنوبية من المدينة ، وتوجد في جانبيه وفوقه بقية أسوار أندلسية منيعة ، وهو عقد مزدوج بين مدخله وعقده الداخلي نحو مترين ونصف ، وهو يفضي إلى درب صاعد ضيق يبلغ ارتفاعه نحو ثمانية أمتار ، واتساعه أربعة أمتار ، وفي منتصف كل من ناحيته عضادة تقوم على عمود رفيع ، وفي أعلى مدخله عقد معلق يبدو عليه القدم والمنعة ، ويقع هذا الطلل كله فوق مرتفع صغير يسمى (مرتفع الرحمة) ، ومن وراء هذا العقد تقوم قطعة كبيرة من الأسوار عمل في أسفلها هيكل صغير ، وتمتد من يسار العقد بضعة أزقة صغيرة تنحدر إلى واد صغير يقع في شرق المدينة ، وتقوم في طرفها الآخر ربوة عالية بنيت فوقها بعض المساكن<sup>(١)</sup>.

ومن الآثار الأخرى هي الكنيسة العظمى وتسمى كنيسة (سانتا ماريّا)<sup>(٢)</sup> ، وهي تقع في نهاية المدينة على مقربة من الأسوار فوق ربوة صغيرة ، وأمامها ميدان كبير ، وهي قديمة ثم جددت ، وفي داخلها يقوم دير قوطي ، ويبدو أن هذه كانت تحتل موقع المسجد الجامع القديم ، وإلى مقربة منها تقوم بقية الأسوار العربية التي مر ذكرها أعلاه<sup>(٣)</sup> ، ومن الكنائس الأخرى في مدينة أبذة كنيسة (سان بابلو) ، وعدة صروح أثرية نصرانية<sup>(٤)</sup>.

(١) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٣٠ - ٢٣٢ .

(٢) أرسلان، التحلل السندسية، ٣٠٩/١ .

(٣) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٣٢ .

(٤) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ٢٣٢ .

## المبحث الثاني: التاريخ السياسي لمدينة أبدة

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة مباشرة إلى تاريخ وكيفية فتح منطقتها ، وربما ذلك يعود إلى أنها مدينة تابعة إلى كورة جيان ، أضف إلى ذلك أن الفاتحين الأوائل ركزوا على المدن الكبيرة ، ولم يولوا اهتماماً كبيراً بتابعها باعتبار أنها تفتح بفتح أمهاتها ، فبعد انتصار المسلمين بقيادة طارق بن زياد على لوذريق ملك القوط الغربيين Visigoths في معركة وادي لكعة Rio Guadalete في شوال من سنة ٧١٠/٥٩٢م ، سار طارق إلى مدينة إشبيلية وتمكن من فتحها ، ثم اتجه إلى مدينة أستجة التي كانت مركزاً لتجمع فلول الجيش القوطي بعد هزيمتهم ، وتمكن من الانتصار عليهم ، وعلى إثرها قرر التوجه مباشرة إلى مدينة طليطلة Toledo عاصمة القوط الغربيين لغرض فتحها ، وقبل الشروع بذلك ، قرر إرسال فرقاً من قواته لفتح بعض المناطق التي تجمع فيها القوط وهي قرطبة والبيرة ومالقة Malaga<sup>(١)</sup> وتدمير Tudmir<sup>(٢)(٣)</sup> ، وتمكن المسلمون من فتح هذه المدن بأكملها<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) مدينة أندلسية تقع على شاطئ البحر وتعد من كبار حواضر الأندلس، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٧.
  - (٢) وهي بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان، وتقع شرقي قرطبة، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥-١٦.
  - (٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١/٢.
  - (٤) للمزيد من التفاصيل عن هذه الفتوحات، ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩-٢٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٤٧ وما بعدها؛ =

أما كورة جيان الواقعة إلى الشرق من قرطبة والتي يمر بها الطريق الروماني القديم والذي يدعى هانيبال ، فإن طارقاً بعد أن عبر نهر الوادي الكبير تقدم شمالاً باتجاه طليطة سالكاً ذلك الطريق ، وقد أشار إلى ذلك المقرئ قائلاً: إن طارقاً بعد بعثه بعضاً من جيوشه إلى مناطق شرق الأندلس ((سار هو في معظم الناس إلى كورة جيان يريد طليطة))<sup>(١)</sup> ، وهذا يعني أن كورة جيان وتوابعها بما فيها مدينة أبذة قد فتحت على يد طارق بن زياد وهو في طريقه إلى طليطة.

ومن خلال ذلك يبدو أن مدينة أبذة فتحت في أواخر سنة ٩٢هـ/٧١٠م ، لأن معركة وادي لكة التي انهزم فيها القوط الغربيين كانت كما قال المقرئ ((يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، فانصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعد تتمه ثمانية أيام))<sup>(٢)</sup> ، وكان فتح قرطبة في شوال من السنة نفسها<sup>(٣)</sup> ، ووصل إلى مدينة طليطة في أوائل سنة ٩٣هـ/٧١١م<sup>(٤)</sup> ، فهذا يعني أن دخول جيان ومنها مدينة أبذة تحت سيطرة المسلمين قبل هذا التاريخ ، أي خلال المدة بين شوال وذي الحجة من سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م.

لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى معلومات كافية عن القبائل العربية أو البربرية التي سكنت منطقة مدينة أبذة بعد الفتح

---

= ابن عسار، البيان المغرب، ١١/٢؛ المقرئ، نضح الطيب، ١/٢٦٤ - ٢٦٥.

(١) نضح الطيب، ٢/٢٦١.

(٢) نضح الطيب، ١/٢٥٩.

(٣) المقرئ، نضح الطيب، ٣/١٢.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٤.

الإسلامي ، إلا فيما يخص بني يعمر العربية التي سكنت مدينة أبذة ، وتعود عشيرة يعمر بأصلها إلى قبيلة ربيعة ، وهي تنتمي إلى بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار ، وبيروي أحد أفراد هذه العشيرة عن نزول أسلافه في أبذة بالقول: ((أما أصلنا فمن منبج<sup>(١)</sup> الشام وخرج سلفنا غزاة في طالعة بلج<sup>(٢)</sup> ، واستوطنوا أبذة جيان ، ويقال إنها شبيهة ببلدهم في خصبها واتساع خيرها ، كذا رأيتهم وسمعتهم يتلفظون بها بالذال المعجمة ، وفي أخبارها ما يدل على أن العرب إذ ذاك تكلموا فيها بالذال المهملة ، يقال إن بلجاً مرّ بها أو غيره فشبها بمنبج ، فقال: ما اسم هذه البلدة؟ قالوا: أبده ، قال: أبدوها على يعمر ، فنزلتها يعمر وبقوا بها إلى غلبة الروم عليها ، ومن لم يكن يعمرياً فهو طارئ عليها ،...))<sup>(٣)</sup> ، وقيل: إن أفراد هذه العشيرة قد استقروا بناءً على تنظيمات أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي<sup>(٤)</sup> في منطقة أبذة ، وقد أسماهم ابن حزم الأبيديون(نسبة إلى

(١) وهي مدينة كبيرة بينها وبين الفرات مرحلة، وتعد من توابع قنسرين، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٥٤٧.

(٢) بلج بن بشر القشيري ابن عمّ كلثوم بن عياض القشيري تولى الأندلس سنة ١٢٤هـ/٧٤١م ولمدة أحد عشر شهراً ، ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٧٧ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص٨٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١/٥٤.

(٧٧) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٢/٦٥٩.

(٤) هو أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سليمان الكلبي ولي الأندلس بعد مقتل الوالي عبد الملك بن قطن، وكانت توليته من قبل والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م، ثم قتل في الحرب التي جرت بين القيسية=

مدينة أبدة) بالأندلس وقال: بنو يعمر بن مالك بن بهثة بن حرب ابن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة الفرس بن نزار ابن معد بن عدنان، ومنهم: الأبديون بالأندلس<sup>(١)</sup>، وقد ظلت هذه المنطقة موطناً لعشيرة بني يعمر حتى سقوطها بيد النصارى<sup>(٢)</sup>.

كما سكنت بعض مجموعات من قبائل عربية أخرى في مدينة أبدة، إذ استقر فيها بعض أفراد من عشيرة عبس في هذه المدينة<sup>(٣)</sup>، ولا يستبعد بأن أغلب القبائل العربية التي سكنت كورة جيان<sup>(٤)</sup> قد انتقل بعضاً منها إلى مدينة أبدة وعاشوا فيها، وهذا يؤشر أيضاً أن أغلب سكان مدينة أبدة كانوا من العرب، وما يدل على ذلك أن بعض المصادر قد أطلق على هذه المدينة اسم أبدة العرب<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أن التركيبة السكانية في كورة جيان قد أثر على أوضاعها السياسية، إذ كان معظم سكانها من العرب، وهذا بدوره قد شكل

---

=واليمانية في موقعة شقندة سنة ١١٣٠هـ / ٧٤٧م، ينظر: الحميدي، جذوة

المقتبس، ص ١٩٧- ١٩٨؛ ابن الأبار، الحلة السراء، ٢/ ٦١- ٦٢.

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩٣.

(٢) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٢/ ٦٥٣؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٦١.

(٣) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٣٨.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن القبائل العربية التي سكنت جيان، ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٩٢، ٢٤٦، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٢، ٤١٩، ٤٥٠، ٤٥٥؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ١٧٣، ٢١٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩.

(٥) ابن غالب، فرحة الأندلس، ص ١٥؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣.

قطب الرحى في الصراع القبلي الذي نشب بين القبائل القيسية واليمانية بحكم أن زعيم القبائل القيسية في كورة جيان هو الصميل بن حاتم<sup>(١)</sup> ، فبجهود عرب جيان من جند قنسرين تمكنت القيسية من إلحاق هزيمة باليمانية بالقرب من مدينة قرطبة سنة ١٢٤هـ/٧٤١م<sup>(٢)</sup> ، كما لعب موالي بني أمية دوراً مهماً في التمهيد لدخول عبد الرحمن بن معاوية (الأول) إلى الأندلس ، بعدها انهزم الصميل بن حاتم من قرطبة على أثر دخول عبد الرحمن الأول إلى الأندلس واتجه إلى جيان يستصرخ سكانها ومن قبيها من القبائل القيسية<sup>(٣)</sup>.

ظهر اهتمام المسلمين بمدينة أبذة منذ عهد عبد الرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) ، الذي بدأ ببناء هذه المدينة ، وبعده ابنه محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) الذي عمل على استكمال ما بدأ به أبوه ، وقد أشار إلى ذلك ابن غالب بقوله: ((... ، ولها مدينة أبذة معروفة بأبذة العرب ، وهي من بنيان عبد الرحمن بن الحكم ، ابنه محمد بن عبد الرحمن زاد فيها ،...))<sup>(٤)</sup> ،

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن الصراع بين القبائل القيسية واليمانية، ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢١٠ وما بعدها ؛ أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ٥٨- ٦٢ ؛ العبودي، الأحوال السياسية والعلمية في مدينة البيرة، ص ٥٧- ٦٢.

(٢) لمزيد من التفاصيل، ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٤- ٤٩ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦٦ وما بعدها ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢١٣ وما بعدها.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٨٥.

(٤) فرحة الأنفس، ص ١٥.

كما أشار إلى ذلك أبو الفدا بقوله: ((... ، وأبدا إسلامية أحدثت في دولة الأمويين بالأندلس...))<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن اهتمام الأمير محمد بن عبد الرحمن بمدينة أبدا كان عسكرياً على أثر الأوضاع المتردية في مدينة طليطلة ومدى تأثيرها على الأوضاع العامة في مدينة أبدا ، ذلك أن أهل طليطلة ثاروا على الأمير محمد سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م وتمكنوا من توسيع نفوذهم جنوباً باتجاه مدينة قرطبة وهزموا جيش الإمارة ، لذلك شرع ببناء حصن أبدا سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م وشحنه بالمقاتلة وذلك لحماية جيان والمناطق الشمالية من قرطبة من احتمال وصول ثوار طليطلة إليها ، وهذا ما أشار إليه ابن حيان بقوله: ((... ، خرجت عليها مكامن أهل طليطلة المرصدين ، فوعدت الحرب واشتدت ،... ، وأصيب العسكر ، وكانت وقية أندوش<sup>(٢)</sup> هذه يوم السبت لسبع بقين من شوال من هذه السنة ، وافترق أثر هذه الوقعة أهل حاضرة جيان عنها لفرط مخافتهم على أنفسهم ، فتفرقوا عنها وزالوا عن الجبل ، ولهذا السبب بنى الأمير محمد حصن أبدا بكورة جيان ، وضم إليه العرب المقيمين على الطاعة فسميت أبدا العرب بذلك...))<sup>(٣)</sup>.

ومن أجل استكمال الاحتياطات اللازمة لحماية جيان وأعمالها ، فقد عين الأمير محمد وزيره هاشم بن عبد العزيز<sup>(٤)</sup>

---

(١) تقويم البلدان، ص ١٦٧.

(٢) مدينة من أعمال جيان، تقع على نهر الوادي الكبير، وهي تبعد بنو أربعين كم إلى الشمال الغربي من جيان، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/ ٥٦١.

(٣) المقتبس (للحقبية ٢٣٢ - ٢٦٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ٢٩٣ - ٢٩٤

(٤) كان وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني، وهو أديباً وكاتباً وبلغياً،

الذي يرجع إليه الدور الكبير في بناء المدينة ، وقد أشار إلى ذلك ابن حيان بقوله: ((وكان أول ولاية أحظته بالأمير محمد فبان فيها استقلاله خطة الخيل التي قلده إياها ، فبلا بها منه خلالاً من العدل والنصح ، ثم رقاها إلى خطة الوزارة ، وولاه كورة جيان ، فعلى يده بُنيت أبدة وأكثر معاقلها المنيعة))<sup>(١)</sup>.

وبعد ذلك حدثت عدة ثورات في الأندلس ، منها ثورة عمر بن حفصون<sup>(٢)</sup> والتي امتدت من سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م إلى سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م<sup>(٣)</sup> ، وتمكن من ضم العديد من المناطق الأندلسية إلى نفوذه لاسيما البيرة وجيان سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م بعد أن تحالف مع أهالي تلك المناطق<sup>(٤)</sup> ، إلا أن هذا التحالف سرعان ما تبدد بخروج هؤلاء على سلطة ابن حفصون بعد أن اختلفوا معه ، وتمكنوا من ضم العديد من الشخصيات إلى جانبهم ضد ابن حفصون منهم عامل مدينة

=قتله الأمير المنذر بن محمد سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م لأشياء كانت بينهما في حياة أبيه، ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٤٩؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٣٧/١ - ١٤٢.

(١) المقتبس (للحقبه ٢٣٢ - ٢٦٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠م) ص ١٦٠؛ ينظر أيضاً: ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٣٧/١.

(٢) أحد المولدين الثائرين في قلعة ببشتر منذ أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن واستمرت ثورته حتى عهد عبد الرحمن الناصر، ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ٧٢ - ١١٢؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/ ١٣١ - ١٣٣.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن ثورة عمر بن حفصون، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ٧٢ - ١١٢؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/ ١٣١ - ١٣٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٣١ - ٣٤.

(٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ١٢٩.

أبذة عروة بن إسحاق ، وقد أشار ابن حيان إلى هذه الأحداث بقوله: ((... ، اختلفوا على ابن حفصون وتخربوا على أصحابه واستمدوا عليه بعروة بن إسحاق وكان يومئذ مسجلاً له على أبذة واستكثروا من غيره من أهل الطاعة ثم وثبوا على من عندهم من أصحاب عمر فحاربوهم حتى أخرجوهم من الحاضرة وملكوها لأنفسهم))<sup>(١)</sup> ، وهذا يعني أن أهالي مدينة أبذة قد رفضوا سيطرة ابن حفصون وعملوا على مقاومته.

إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً ، إذ تمكن ابن حفصون من إعادة سيطرته على جيان وأعمالها مرة أخرى وذلك بسبب ضعف حكومة قرطبة آنذاك وعدم تمكنها من تقديم العون للأهالي ، وقد علق ابن حيان على ذلك بقوله: ((ثم إن المارق عمر بن حفصون قصد بريح الفتح له على العرب في جمعه وعدته إلى حاضرة جيان بعد ملكه لها ، وإغرامه أهلها ، فتغلب عليها وضبط قصبته فأدخل فيها عدداً من فرسانه وحصنها وشيدها وخلف فيها المعروف بابن حيدر من أصحابه وقتل إلى ببشتر<sup>(٢)</sup> حاضرتة وقد صارت كورتا البيرة وجيان في قبضته واتسع سلطانه))<sup>(٣)</sup> ، كما أشار ابن الخطيب إلى هذه الأحداث بقوله: ((وتملك بعدها بياسة وأبذة في أخبار تطول ،... ، وقصد ابن حفصون حاضرة البيرة وحصونها))<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) المقتبس (للقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ١٢٩.
  - (٢) وهي مدينة وحصن منيع، تبعد عن قرطبة ثمانون ميلاً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٠/٢ ؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٣.
  - (٣) المقتبس (للقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ١٣٠.
  - (٤) الإحاطة، ٢٧/٤.

وقد استمرت كورة جيان وأعمالها تحت سيطرة ابن حفصون حتى سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١م ، عندما تمكن الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) من افتتاحها<sup>(١)</sup> ، أما مدينة بياسة التي تعد من أعمالها فقد تمكنت قوات الإمارة الأندلسية من فتحها سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن مدينة أبذة استمرت تحت سيطرة عمر بن حفصون حتى بداية عهد الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) ، فبعد أن تولى الأخير بدأ بعملياته العسكرية ضد المناطق الخاضعة للمتمردين على سلطته ، ولاسيما ابن حفصون ، ففي سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م قاد حملة عسكرية كبيرة إلى مدينة أبذة ، وتمكنت قواته من افتتاحها وولى محمد بن فروة حاكماً عليها<sup>(٣)</sup>.

وفي السنة نفسها (أي ٣٠٠هـ/٩١٢م) ، قاد الأمير عبد الرحمن حملة عسكرية أخرى للقضاء على ابن حفصون ، وكانت مشاركة أهالي مدينة أبذة كبيرة بقيادة حاكمها محمد بن فروة ، فبعد خروج الأمير من قرطبة توجه إلى كورة جيان ، وقد إلتحقت به قوات مدينة أبذة لمحاربة ابن حفصون وملاحقته ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((برز الناصر لدين الله من قصر قرطبة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثلاث مائة ، ففصل عازماً

(١) ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ١٦٢.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ١٦٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ١٤٥.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٦٣.

إلى كورة جيان يوم السبت لسبع خلون من شهر رمضان بعد بروزه بثلاثة وعشرين يوماً... ، وقد كان فرغ إليه قبل فصوله محمد بن فروة صاحب أبذة في جملة فرسانه ، فتقبلهم أحسن قبول وأنزلهم أحسن تنزيل ، وصاروا في جملة رجاله ومن يضمه عسكريه وصار لوجهه ، فلما احتل بحصن مارتش من عمل جيان وورده الخبر بمسير الخبيث عمر بن حفصون إلى مدينة مالقة ، قسبة كورة رية ، ومضايقته لأهلها ، وأن تخاذلهم أطعمه في انتهاز فرصتها ، فأنفذ من ليلته لتدارك أهلها سعيد بن عبد الوارث<sup>(١)</sup> في قطع من الجند ، وأمره أن يغذ السير ويطوي المراحل حتى يدخل إلى مالقة فيشدها ويقطع بن حفصون عما أطمع نفسه به فيها ، فتوصل بن عبد الوارث فيمن معه إليها فضبطها وحملها إلى الجبهة عن ابن حفصون<sup>(٢)</sup>.

وقد نجحت سياسة الأمير عبد الرحمن الثالث العسكرية فأرغم ابن حفصون على عقد الصلح بينهما سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م سلم ابن حفصون بموجبها مائة واثنين وستين حصناً مقابل عهد أمان له<sup>(٣)</sup> ، وقد التزم ابن حفصون بها ، ومما يدل على ذلك وقوف الأخير إلى جانب الأمير عبد الرحمن الثالث ضد ابنه سليمان عندما نكث عهد أبيه واستولى على مدينة أبذة الخاضعة إلى حكومة قرطبة ، بعد أن غدر بعاملها يحيى بن بقي المعروف ببشطان سنة ٣٠٤هـ/

(١) ذكر ابن حيان أن سعيد بن عبد الوارث تولى للناصر على بلنسية ثم على مدينة الفرج، المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م) ص ٢٣١، ٢٧٧، ٤٧١.  
(٢) المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م) ص ٦٥.  
(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م) ص ١١٤ - ١١٥.

٩١٦م الذي كان قد أقره عليها الأمير عبد الرحمن الثالث<sup>(١)</sup>. وكان سليمان بن عمر بن حفصون يحكم حصن اشتبين Eateban<sup>(٢)</sup> وهو من حصون والده عمر التي صالحه عليها الأمير عبد الرحمن الثالث ، وكان هذا الحصن يجاور مدينة أبذة<sup>(٣)</sup> ، إلا أن سليمان على ما يبدو طمع في حصن أبذة وحاول ضمه إلى ملكه ، فأخذ بمهاجمته ليلاً والاستيلاء عليه بعد أن قتل عامله بشطان دون علم أبيه عمر ، وقد تحدث ابن حيان عن ذلك بقوله: ((كان يحيى بن بقي المعروف ببشطان المنتزي بمدينة أبذة ، قد انحاش إلى طاعة الناصر لدين الله ، وأسجل له ، فاحتال عليه جاره سليمان بن عمر بن حفصون هذا الجريء المقدم مع بعض نصارى أهلها ، وأدخلوه فيها على يحيى سحراً ، فملكه وضبط المدينة ، وبغى المسلمين عليها ، واستخلص النصارى على رأي والده ، وحاز المدينة لنفسه ، وجمع إليها أصحابه ، وأغار ما أصاب فيها ، وحبس يحيى بن بقي حتى استصفاه ، ثم قتله بسيفه الذي كان تفاخر به ، فأخذه سليمان عدته لما أحمده ، فكان يشاهد به الحروب ، وكان في بأسه علمه يتحامى الأبطال مقارعتة له ،...))<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن حيان، المقتبس (للقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ١١٥ ، ١٣٠ .  
(٢) ذكر ابن حيان أنه من حصون عمر بن حفصون التي صالحه عليها السلطان، المقتبس (للقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٣١ ، وذكره ياقوت الحموي بلفظ أشتون، وقال: إنه حصن من أعمال جيان، الأندلس من معجم البلدان، ص ٣٢ .

(٣) ابن حيان، المقتبس (للقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٣١ .

(٤) ابن حيان، المقتبس (للقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٣٣ .

عندها اتهم الأمير عبد الرحمن أباه عمر بالتواطيء معه فأنكر ذلك وبادر بنفسه لقتال ابنه واثبات حسن نيته ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((... ، فاتهم الناصر لدين الله أباه عمر بتدسيسه إياه لذلك وقدّر انتقاضه ، فأشخص الناصر لدين الله إليه في محنة ذلك يحيى بن إسحاق<sup>(١)</sup> السفير بينهما ، فأظهر عمر تبرئه من ذلك وإنكاره على ولده سليمان ما أتاه عنه وابتدأه الخروج بنفسه إليه وجده به في الخروج عن أبذة وإسراعه إلى منازلته فيها ، ما أراح التهمة عنه ووقف الثقة عليه ، وجرّد السلطان عنده الجيش إلى سليمان لحربه والجد به مع يونس بن سعيد<sup>(٢)</sup> ، فلم يرمّ عمر ابن حفصون عم باب أبذة محاصراً لولده إلى أن نزل به يونس بن سعيد في عسكر السلطان ، فاجتمعا على حرب سليمان وجدّ به والده حتى ظفر به ، فأخرجه عن أبذة وحمله مع نفسه مقيداً إلى بيشتر حضرته ، فحبسه عنده شهوراً وأسلم مدينة أبذة إلى السلطان ، فولى عليها السلطان عريفاً من العجم يعرف بابن بزنت ، أقام بأبذة من قبله مدة ، ثم إن عمر بن حفصون أطلق ولده سليمان من حبسه ، وردّه إلى حصن أشتين...))<sup>(٣)</sup>.

عاود سليمان بن عمر بن حفصون مرة أخرى بمهاجمة مدينة أبذة

(١) يحيى بن إسحاق ذكر ابن حيان أنه كان طبيب الناصر لدين الله، المقتبس

(للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٠٢

(٢) ثم نجد له ترجمه، ولعله أحد المقربين من الأمير عبد الرحمن الناصر آنذاك.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٣١.

سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م وإخراج عاملها ابن بزنت عنها ، وقد ألقى الأمير عبد الرحمن الثالث اللوم على أبيه عمر ، ما دعا الأخير إلى مهاجمة ابنه سليمان ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((... ، فلم يلبث أن افترض ابن بنزت ، عامل السلطان بأبذة ، فأخرجه عنها وملكها تارة أخرى ، فرجع السلطان بجزيرته على والده عمر ، فعاود عمر قصده مرة أخرى وجهد في استنزاله بكل جده فنفر عنه ، ولم تمكنه منه جبله ، فأخذ في حربه وبنى عليه حصن مرية<sup>(١)</sup> ، وكان ذلك صدر محرم سنة خمس وثلاث مائة التي فيها هلك عمر))<sup>(٢)</sup>.

وقبل وفاة عمر بن حفصون في السنة نفسها ، كتب إلى الأمير عبد الرحمن الثالث بضرورة إخراج الجيش لمواجهة ابنه سليمان والقضاء عليه ، كما أنه اعتذر من الأمير بعدم إمكانيته الخروج معهم لمرضه الذي أصابه ، وقد علق ابن حيان على ذلك بقوله: ((وكتب عمر إلى الناصر لدين الله يصدق عن سليمان ويشير بالجد به وإخراج الجيش إليه لملازمته ، ويصف علته التي تزعجه عن المقام عليه وترده إلى حصن بيشتر ، فجرد إليه الناصر لدين الله عبد الوهاب بن محمد الأشونى<sup>(٣)</sup> في جيش كثيف ، دخل حصن مرية المبتنى على سليمان ، وأخذ في حربه ومضايقته فخلاه عمر واله

---

(١) وهو أحد حصون كورة رية التابعة لابن حفصون، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٢١٨، ٢٤٣.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٣١ - ١٣٢.

(٣) عبد الوهاب بن محمد الأشونى وصفه ابن حيان بأنه أحد قادة السلطان، ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٣٢.

عند ذلك وقفل إلى بيشر حضرته ، وهو يومئذ واهي القوة ظاهر الضعف ، فلم تطل مدته بعد هذه الحركة إلى أن مات في شعبان سنة خمس وثلاث مائة<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن القوة التي أرسلها الأمير عبد الرحمن الثالث قد أتت ثمارها على سليمان بن عمر بن حفصون وأجبرته على الخضوع لحكومة قرطبة وطلب الأمان منها<sup>(٢)</sup> ، وهذا الذي أوضحه ابن حيان بقوله: ((وضايق عبد الوهاب بن محمد ومن تلاه من قواد السلطان سليمان بن عمر ، وشدوا حصره بعد مهلك والده عمر ، حتى لاذ بالطاعة وسأل الأمان ، فأجاب الناصر لدين الله وعقد الأمان عنده ، وأخرج إليه يحيى بن إسحاق ومحمد بن طملس<sup>(٣)</sup> ، فقبله سليمان وخرج إليهما بأصحابه ، وجمع ما كان له ، فلحق بيباب سدة السلطان ، فوفى له السلطان بأمانه وكرم مثواه ، وأجزل عطاءه وصيره في مصافه برزق واسع ،...))<sup>(٤)</sup>.

وقد تحدث ابن حيان برواية ابن حزم عن بسالة سليمان بن عمر بن حفصون بالقول: ((سليمان بن عمر بن حفصون المشهور بالبسالة ثار على أبيه عمر بن حفصون المنتزي على خلفاء بني أمية بكورة ريّة من أرض الأندلس ، فخالفه وامتنع عليه ، ثم عاد لمثل

---

(١) المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٣٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧١/٢.

(٣) محمد بن طملس ذكر ابن حيان بأنه أحد قادة السلطان، ابن حيان،

المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٣٢.

(٤) المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٣٢.

ذلك فامتنع بمدينة أبذة وحارب أباه عمر وصمد له في القتال  
مواجهاً فصب عليه سيفه وجرحه ، فأعجب منه ذلك منه عمر  
أباه ، إمام الفساق ، وفخر به<sup>(١)</sup>.

هدأت الأوضاع كثيراً خلال القرن الرابع الهجري/العاشر  
الميلادي في مدينة أبذة والمناطق المحيطة بقرطبة عامة ، وربما يعود  
السبب في ذلك إلى قوة السلطة في قرطبة وتوجهها نحو الغزو  
والجهاد لقتال النصارى في الشمال فانشغل الناس بذلك إلى حد  
كبير ، فلم تشهد المنطقة أحداثاً كبيرة تجعلها تستحق الذكر في  
المصادر التي بين أيدينا.

وبعد سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م قام الخليفة المستعين  
على إعطاء كورة جيان وأعمالها بما فيها مدينة أبذة إلى بني يفرن<sup>(٢)</sup> ،  
وبعدها استولى عليها محمد بن عبد الملك المظفر<sup>(٣)</sup> ، وكان ذلك سنة  
٤١٢هـ/١٠٢١م ، وبقيت ضمن نفوذه حتى سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م<sup>(٤)</sup> .  
وبعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م<sup>(٥)</sup> ،

- 
- ١) ابن حيان، المقتبس (للحقب ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ١٣٢ .
  - ٢) وهي أسرة مغربية يرجع أصلها إلى قبيلة زناتة البربرية وأول من دخل الأندلس  
منهم محمد بن يدر بن محمد اليفرني الذي اختلف مع ابن عم له فعبر إلى  
الأندلس في خلافة هشام المؤيد وخدم المنصور بن أبي عامر ولما حدثت الفتنة  
تسلموا كورة جيان ثم سكنوا تاكرنا وقلعتها رندة، ينظر: ابن عذاري، البيان  
المغرب، ١١٣/٣، ٢٧٠ - ٢٧٣ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٤/٧ وما بعدها .
  - ٣) هو محمد بن عبد الملك المظفر بن محمد بن أبي عامر لم تتأثر مكانته  
أيام الفتنة بسبب أمه الذلاء التي تعاونت مع الثوار، ينظر: ابن عذاري،  
البيان المغرب، ١٣٣/٣ .
  - ٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٣/٣ .
  - ٥) ينظر التفاصيل عن سقوط الخلافة الأموية في الأندلس: ابن الوردي=

تمزقت البلاد إلى طوائف ودويلات حيث تناثرت أشلائؤها ، وتعددت  
الرياسات في أنحاءها ، لا تربطها رابطة ، ولا تجمع كلمتها مصلحة  
مشتركة ، ولكن تفرق بينها منافسات وأطماع شخصية وضيعة ،  
وتضطرم بينهما حروب أهلية صغيرة ، والأندلس خلال ذلك كله  
تفقد مواردها وقواعدها القديمة تبعاً ويحرق بها خطر الفناء من كل  
صوب<sup>(١)</sup> ، وكان مدينة أبدة أول الأمر ضمن حدود دولة بني  
جهور<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup> ، ويبدو أنها لم تدم طويلاً تحت نفوذهم ، إذ قامت في  
مدينة المرية Almeria<sup>(٤)</sup> دويلة على يد الفتيان العامريين<sup>(٥)</sup> الذين

=تاريخ ابن الوردي، ١/٣١٧ - ٣٢١؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب،  
ص٢٠٩ - ٢١٧.

(١) عنان، دول الطوائف، ص١٤.

(٢) بنو جهور نسبة أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبید الله بن محمد بن  
الغمر بن يحيى بن عبد الغفار بن أبي عبدة الكلبي مولى بني أمية، صارت إليه  
رئاسة قرطبة بعد انتهاء الخلافة الأموية وكانت وفاته سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م،  
واستمر بنو جهور في حكم قرطبة وما يجاورها من ٤٢٢هـ/١٠٣٠م حتى سنة  
٤٦٢هـ/١٠٦٩م، ينظر التفاصيل عن دولة بني جهور: ابن حزم، رسائل ابن حزم،  
٢/٢٠٣ - ٢٠٤؛ ابن بسام، الذخيرة، ٢/٦٠٢ - ٦٠٨؛ الحميدي، جذوة المقتبس،  
ص٢٩؛ الضبي، بغية الملتبس، ص٣٨؛ المراكشي، المعجب، ص٥٢ - ٥٣؛ ابن  
الأبار، الحلة السیراء، ٢/٣٠ - ٣٤؛ ابن سعيد، المغرب، ١/٥٦ - ٥٧؛ ابن عذارى،  
البيان المغرب، ٣/١٨٥ - ١٨٧؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٤٣٩ - ٤٤٠؛ ابن  
الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٤٠ - ١٤٧؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢٠٤؛ عنان، دولة  
الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص٢٠ - ٣٠.

(٣) عنان، دول الطوائف، ص٢١.

(٤) وهي مدينة أندلسية من أمال كورة البيرة تقع على ساحل البحر، ينظر:  
ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٦٧.

(٥) لما وقعت الفتنة بالأندلس كان على المرية أحد الفتيان العامريين يدعى  
أفلح الصقلبي وكان كبير السن فهاجمه خيران العامري سنة=

عملوا على توسيع حدود دولتهم حتى شملت مناطق عدة في عهد زهير العامري<sup>(١)</sup> ، وقد أشار إلى ذلك ابن عذاري بقوله: ((وأما زهير الفتى...، فكانت قد امتدت أطنا بملكته من المرية إلى شاطبة<sup>(٢)</sup> وما يليها إلى بياسة وما وراءها إلى الفج من أول عمل طليطلة...))<sup>(٣)</sup> ، وعليه فإن مدينة أبذة ضمن هذه المناطق التي خضعت إلى نفوذه.

ويبدو أن زهير العامري طمع في أكثر من ذلك ، إذ دفعه طموحه إلى ضم مدينة غرناطة<sup>(٤)</sup> إلى نفوذه فاصطدم بباديس بن حبوس الصنهاجي<sup>(٥)</sup> أمير غرناطة ، فدارت بين الطرفين معركة

---

=٤٠٥هـ/١٠١٤م واتخذها قاعدة له في شرق الأندلس وعمل على تحصينها وضبطها وبناء أسوارها، وبعد وفاته سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م خلفه عليها زهير العامري واستمر حتى مقتله على يد حبوس بن باديس الصنهاجي سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ٥٥ - ٦٠ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٧٨/٢ - ٩٠ ؛ ابن سعيد، المغرب، ١٩٤/٢ وما بعدها ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ١٣٠ وما بعدها ؛ عنان، دول الطوائف، ص ١٥٨ - ١٧٣ .

(١) زهير العامري من موالي المنصور بن أبي عامر فرأى شرق الأندلس أيام الفتنة وحكم مدينة المرية وما جاورها مدة عشر سنوات ثم قتل في غرناطة سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م أثناء محاولته السيطرة عليها من بني مناد، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) مدينة أندلسية تبعد عن دائية خمسة وعشرون ميلاً، وعن بلنسية اثنتان وثلاثون ميلاً، وهي من مدن شرق الأندلس، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٦/٢ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٨ - ١٩ .

(٣) البيان المغرب، ١٦٨/٣ - ١٦٩ .

(٤) مدينة أندلسية تعد من أقدم مدن كورة البيرة إذ المسافة بينهما ستة أميال، ويشق مديتها نهر يقال له حدارة، وتعرف بمدينة اليهود، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٤ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٧ ؛ ابن الخراط، اختصار إقتباس الأنوار، ص ١٧٤ .

(٥) هو باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد حكم مدينة غرناطة=

شديدة خارج غرناطة سقط فيها زهير العامري قتيلاً وذلك سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م<sup>(١)</sup>.

وعلى إثر ذلك استولى باديس على القسم الغربي من أملاك مدينة المرية ومن ضمنها جيان وأعمالها بما فيها مدينة أبذة<sup>(٢)</sup>، واستمرت جيان وأعمالها تدار من قبل بني زيري حتى أواخر عهد باديس، عندما وقع التفكك في دولته، وفقد العديد من مناطقه، ومنها بعض أعمال كورة جيان لصالح المعتصم بن صمادح<sup>(٣)</sup> حاكم المرية<sup>(٤)</sup>، ولما توفي باديس سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م خلفه حفيده عبد الله بن بلقين<sup>(٥)</sup>، وكان ضعيفاً فطمع المعتمد بن عباد<sup>(٦)</sup> في توسيع نفوذه

- 
- =بعد أبيه واستمر حتى سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ٢٣٠ - ٢٣٣؛ عنان، دول الطوائف، ١٢٦ - ١٣٧.
- (١) ابن بلقين، التبيان، ص٣٤ - ٣٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٦٦/٣ - ١٦٧.
- (٢) عنان، دول الطوائف، ص١٣٠ - ١٣١.
- (٣) حكم مدينة المرية سنة ٤٣٣هـ/١٠٥١م، ودخل في الفتن والمواجهات العسكرية مع أمراء الطوائف، ولكنه تمكن من المحافظة على مدينته حتى وفاته قبيل دخول المرابطين المرية سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، ينظر: المراكشي، المعجب، ص٥٦، ٩٦ - ٩٧؛ ابن الأثير، الحلة السيرة، ٧٨/٢ - ٩٠؛ ابن سعيد، المغرب، ١٩٥/٢ - ٢٠٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٩٠ - ١٩١.
- (٤) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص٢٨٥؛ عنان، دول الطوائف، ١٦٤ - ١٦٩.
- (٥) تولى حكم مدينة غرناطة سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م واستمر حتى دخول المرابطين إليها سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، وتوفي سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، ينظر: ابن سعيد، المغرب، ١٠٨/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦١/٣ - ٢٦٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٣٣ - ٢٣٦.
- (٦) هو أبو القاسم محمد الملقب بالمعتمد بن المعتضد بالله بن الظاهر المؤيد بالله محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي حكم دولة إشبيلية من سنة =

على حساب مدينة غرناطة فاستولى على مدينة بياسة<sup>(١)</sup> بعد أن أخذ قرطبة<sup>(٢)</sup> وربما استولى على مدينة أبذة القريبة منهما. ويبدو أن مدينتي بياسة وأبذة بقيتا تحت حكم بني عباد حتى سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م ، بعدها تمكن المرابطون Almoravides, Los بعد دخولهم قرطبة من الاستيلاء على بياسة وأبذة وشقورة ، إذ دخلها المرابطون بقيادة القائد المرابطي سير بن أبي بكر ، فخضعت هذه المدن للحكم المرابطي ، وقد علق ابن أبي زرع على ذلك بقوله: ((... ، وكان فتح المرابطين لقرطبة يوم الأربعاء الثالث من صفر سنة أربع وثمانين وأربعمئة ، ثم فتح بياسة وأبذة وحصن البلاط<sup>(٣)</sup> والمدور والصخيرة<sup>(٤)</sup> وشقورة ، ولم ينقض شهر صفر المذكور حتى لم يبق لابن عباد بلد إلا وقد ملكه المرابطون ما عدا قرمونة وإشبيلية...))<sup>(٥)</sup>. ويبدو أن جيان وأعمالها اتسمت بالهدوء في بداية العهد

---

٤٦١هـ / ١٠٦٨م حتى دخول المرابطين إليها واعتقاله سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م، وكانت وفاته بأغمات من بلاد المغرب سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ص٤ - ٢٧ ؛ العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ٢/٢٥ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٥٢ - ٦٨ .

(١) ابن بلقين، التبيان، ص٩٦ .

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٥٩ .

(٣) يقع هذا الحصن في شمال شرق الأندلس، إذ يبعد عن قلعة رباح مرحلتين، ينظر: ارسلان، الحلل السندسية، ١/١٠٠ .

(٤) وردت الصخيرة كموضع عند العذري في منطقة شمال شرق الأندلس، وعند ابن الخطيب في بلنسية، ينظر: ترصيع الأخبار، ص٢٤ ؛ الإحاطة، ٤/٣٧٢ .

(٥) الأنيس المطرب، ص١٥٤ .

المرابطي ، ولعل السبب في ذلك يعود لرجل سياسي وعسكري محنك تمثل بأميرهم يوسف بن تاشفين ، إذ نقل خط المواجهة العسكرية مع النصارى إلى منطقة الثغر الأوسط الأندلسي إلى الشمال من قرطبة ، إلا أن الأمور اختلفت بعد وفاته سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م<sup>(١)</sup> ، فتشجع النصارى على زيادة هجماتهم على مناطق المسلمين ، ففي سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م هاجم النصارى المتمثلين بمملكة قشتالة Castella مدينتي أبذة وبياسة ، وحاولوا عبود نهر الوادي الكبير ، إلا أن هطول الأمطار وارتفاع مياه النهر ومقاومة أهالي جيان حال دون ذلك فاضطروا إلى الانسحاب ، وقد علق على ذلك بن القطان بقوله: ((وخرج العدو دمره الله تعالى إلى بلد المسلمين في جيش عرمرم ، فأجازت جملة منهم الوادي الكبير في أعلاه بمقربة من بياسة وأبذة ،... ، وأوقعت بالمسلمين نكاية صغرت في جانب ما وقى الله بتوالي نزول المطر وإكبابه مدة من عشرين يوماً ، فمد النهر ، ولم تقدر الخيل المغيرة على عبوره إلى محلتهم ، وصنعوا معادي للجواز ، فانقطع بعضها وغرق من كان فيها ، وتبعهم قائد جيان ، فأصاب منهم فوارس ، وانصرف العدو "دمره الله تعالى" بعد أن قاتل حصن شبيوطه من عمل أبذة فأعجزه...))<sup>(٢)</sup>.

وفي نهاية العهد المرابطي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م ، ومستهل عهد الموحيدين Almohadea, Los<sup>(٣)</sup> ، وعلى إثر اضطراب الأوضاع العامة

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٣٧.

(٢) نظم الجمان، ٢٥٦/٦ ؛ وينظر: عنان، عصر المرابطين والموحيدين، ق ١، ص ٥٠٤.

(٣) كانت بداية الموحيدين حركة دينية ظهرت في بلاد المغرب، تزعمها محمد بن عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدي، الذي ينتمي إلى قبيلة مصمودة=

في الأندلس ، فقد استغل النصارى هذه الأوضاع من أجل السيطرة على مدينتي أبذة وبياسة ، وكانت هذه المدن تحت سيطرة الأمير المرابطي يحيى بن غانية<sup>(١)</sup> ، وقد رأى نصارى مملكة قشتالة أنه من الحكمة مهادنة يحيى بن غانية في قرطبة ليكون سداً بينهم وبين الموحدين على أن يكون تابعاً لهم ، ويؤدي الجزية وذلك في أوائل سنة ١١٤٦م/٥٤١هـ<sup>(٢)</sup> ، وبعد أن أدرك ملك قشتالة الفونسو السابع (السليطين) Alfonso Raimudez (٥٢٠-٥٥٢م/١١٢٦-١١٥٧م) بتوسع نفوذ الموحدين اشتد في مطالبة ابن غانية وأخذ يضيق عليه ، إذ طالبه بالتنازل عن أبذة وبياسة لقاء الاستمرار في محالفته ، ثم طالبه بالتخلي عن كورة جيان بأكملها أو يقوم بمضاعفة الجزية<sup>(٣)</sup> ، فتم له

- 
- = البربرية، وقد سعى الموحدون إلى إنهاء حكم المرابطين في المغرب والأندلس، وفعلاً تمكنوا من ذلك إذ دخلوا عاصمتهم مراكش سنة ١١٤٦م/٥٤١هـ، وأحكموا سيطرتهم عليها ثم عبروا إلى الأندلس، لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٣٠ وما بعدها؛ المراكشي، المعجب، ص ١٤٣- ١٤٩؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٧٢ وما بعدها.
- (١) هو يحيى بن علي بن غانية من قبيلة مسوفة البربرية، وغانية أمه، كان عارفاً بالفقه والحديث، كما كان فارساً شجاعاً، أرسله الأمير علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وتمكن من توطيد الأمور فيها، وعين والياً على مدينة بلنسية ثم على قرطبة وكانت وفاته سنة ١١٤٧م/٥٤٢هـ، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ١٨٩- ١٩٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٠- ٤١.
- (٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٥٣- ٢٥٤؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٣٣٢.
- (٣) الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠١/٤؛ السلاوي، الاستقصا، ١١٨/٢؛ عنان عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٣٣٢.

ما أراد ، وكان سيطرتهم على أبذة وبياسة وجيان كلها في جماد الأولى سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م<sup>(١)</sup>.

وجعل ابن أبي زرع سيطرة النصارى على هذه المدن في سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م بقوله: (( وفيها أعطا يحيا بن غانية مدينة أبذة وبياسة وما والاهما من الحصون إلى النصارا فملكوها ))<sup>(٢)</sup>.

إلا أن هذه المدن لم تبق طويلاً في يد الفونسو السابع ، إذ سرعان ما قام المسلمون باسترجاعها سنة ٥٤٦هـ / ١١٥١م<sup>(٣)</sup> ، وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك بقوله: (( ... ، ثم استعادها المسلمون بعد ذلك منهم ... ))<sup>(٤)</sup> ، كما علق ابن أبي زرع بالقول: (( ... ، فحصر السلطين السلطين على أبذة وبياسة وكان قد ملكهما فأخلاههما من النصارا... ))<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أن اضطراب الأوضاع في منطقة شرق الأندلس قد خدمت بعض الشخصيات ومنهم محمد بن سعد بن مردنيش<sup>(٦)</sup> الذي ثار في

---

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٤؛ النويري، نهاية الأرب، ٤١٣/٢٢؛ عنان عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٢) الأنيس المطرب، ص ٢٦٣.

(٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٩٣؛ السلاوي، الاستقصا، ١٢٢/٢.

(٤) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٤.

(٥) الأنيس المطرب، ص ١٩٣.

(٦) وهو أحد الثوار في شرق الأندلس بعد ضعف المرابطين في نهاية دولتهم، إذ امتد سلطانه إلى غرناطة ثم اصطدم بالموحدين وحدثت مواجهات عدة بين الطرفين انتصر في بعض منها وخسر البعض الآخر إلى أن تولى سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م وكان موصوفاً بكثرة الجوارى والقيان، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ١٧٦ - ١٧٧؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٢٢/٢ - ١٢٧.

هذه المنطقة على الحكم الموحدى ، وتحالف مع النصارى وأخذ يوسع نفوذه على حساب المسلمين وتمكن من السيطرة على جيان وأبذة وبياسة سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م<sup>(١)</sup> ، وقد أشار إلى ذلك بن الخطيب بقوله: ((وتحرك محمد بن مردنيش إلى بلاد الموحدين ، فتغلب على جيان وأبذة ، وطاعت له بياسة ، ونازل قرطبة ، ثم إشبيلية عام ٥٥٤ هـ...))<sup>(٢)</sup>.

ولى محمد بن سعد بن مردنيش على جيان وأعمالها صهره إبراهيم بن همشك<sup>(٣)(٤)</sup> ، وكان ابن همشك فارساً شجاعاً ، إذ اتفق هو وابن مردنيش على ضم مدينة غرناطة واستطاعوا من هزيمة الموحدين فيها ، إلا أن الموحدين سرعان ما أرسلوا قوة كبيرة لمواجهتهم ، وتمكنت من هزيمة الخلفين ، وعلى إثر ذلك انسحب إبراهيم بن همشك إلى جيان<sup>(٥)</sup> ، وقد لاقى أهل أبذة من ابن

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٢٦/٢.

(٢) أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٦١؛ وينظر أيضاً: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك أسلم جده على يد أحد ملوك بني هود، وعندما اضطرت الأحوال في أواخر عهد المرابطين اتصل بأمير شرق الأندلس محمد بن مردنيش وصاهره على ابنته، وقاد الجيوش معه وكان شجاعاً شديداً حاد البأس، وفي سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م دخل غرناطة وهزم الموحدين في معركة مرج الرقاد ومثل بهم، ثم إن علاقته ساءت بابن مردنيش بعد أن طلق ابنته انضم ابن همشك إلى الموحدين نكاية بصهره واستمر في ولائه لهم حتى وفاته بعد سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ٢٥٩ - ٢٦٢؛ الإحاطة، ٢٩٦/١ - ٣٠٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٧٤.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، التاريخ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٧٤ - ٧٧.

همشك الأذى بسبب ظلمة ، وفي رواية إنهم تحركوا ضده فعمل على نفي بعض وجهائها من عشيرة بني يعمر وحبس البعض الآخر مما اضطر بعضهم إلى النزوح إلى إشبيلية خوفاً من بطشه وكان ذلك في حدود سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م<sup>(١)</sup>.

إلا أن إبراهيم بن همشك لم يستمر طويلاً في ولائه لابن مردنيش ، إذ انشق عنه ، وانضم إلى الموحدين سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م ، وأخذ ابن مردنيش بهاجمة مناطق نفوذ ابن همشك الذي استنجد بالموحدين وكونوا جميعهم قوة عسكرية كبيرة ، وتوجهوا إلى قرطبة ومنها إلى مدينة قيطاجة Quesada<sup>(٢)</sup> الواقعة شرق جيان<sup>(٣)</sup> وتمكنوا من الاستيلاء عليها ، وقد ولي عليها الخليفة الموحد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م) ابن همشك وذلك سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م وبقي فيها حتى سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م<sup>(٤)</sup> ، وبذلك فإن مدينة أبذة أصبحت تحت الحكم الموحد.

ويبدو أن مدينة أبذة عاشت هادئة بعيدة عن التوترات الداخلية والخارجية المتمثلة بالنصارى حتى بداية القرن السابع الهجري/

- 
- (١) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٢/٦٦٠.
  - (٢) وتلفظ أيضاً قيجاطة، وهي مدينة أندلسية من أعمال جيان، الحميري، الروض المعطار، ص٤٨٨.
  - (٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٤١٣ وما بعدها؛ المراكشي، المعجب، ص١٧٦ وما بعدها، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٦٢-٢٦٣؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٨-٥١؛ جابر، بنو مردنيش، ص١٤٧-١٤٨.
  - (٤) ابن الخطيب، الإحاطة، ١/١٢٦-١٢٧.

الثالث عشر الميلادي ، وبالتحديد سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م ، ففي هذه السنة أخذ النصارى الأسباب بزيادة هجماتهم على المدن الأندلسية ولاسيما الثغر الأوسط ، إذ قام ملك قشتالة الفونسو الثامن (٥٥٣- ٦١١هـ/ ١١٥٨-١٢١٤م) بشن الهجمات على مناطق شمال قرطبة ، فسار باتجاه كورة جيان ، وانتسف زروعها وخرب أراضيها ، وتكرر ذلك أيضاً سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م<sup>(١)</sup>.

وعلى إثر ذلك جهز الخليفة الناصر الموحدى (٥٩٥- ٦١٠هـ/ ١١٩٨- ١٢١٣م) حملة عسكرية كبيرة ، وخرج بقواته من مدينة إشبيلية فأبذة وبياسة ، ثم سار شمالاً ، وكان اللقاء بينه وبين النصارى في موضع يعرف بالعقاب<sup>(٢)</sup> سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م ، وكانت نتيجة المعركة هزيمة الجيش الموحدى وقتل أعداد كبيرة منهم ، وعلى إثر هذه المعركة تغير ميزان القوى ، ولم يعد في مقدور دولة الموحدين حماية الثغور الأندلسية من هجمات النصارى<sup>(٣)</sup>.

وبعد ذلك سار ملك قشتالة الفونسو الثامن لاستثمار النصر إلى مدينتي أبذة وبياسة القريبتين من موقع المعركة ، فبدأ بمدينة بياسة وقتل معظم من وجد بها وأحرق دورها وخرب مسجدها الجامع ، بعدها نزل على مدينة أبذة ، وقد اجتمع فيها عدد كبير من

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٨٤؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ٦٠٧/٢.

(٢) وهو مكان يقع بين مدينتي جيان وقلعة رياح، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦.

(٣) للمزيد من التفاصيل حول معركة العقاب ينظر، المراكشي، المعجب، ص٢٣٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤١٦- ٤١٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٧٠؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص٤٩١ وما بعدها.

المسلمين الفارين بالإضافة إلى أهالي بياسة وأبذة ، فحاصرها ثلاثة عشر يوماً ، ثم دخلها عنوة فقتل وسبى وغنم ، وأخذ ملك قشتالة من النساء والصبيان أعداداً كبيرة ، فكانت هذه أشد على المسلمين من الهزيمة<sup>(١)</sup> ، وقد قدر أشباخ عدد قتلى المسلمين في مدينة أبذة بستين ألفاً<sup>(٢)</sup> ، أما عنان فذكر أن من قتل وسبى من أهل أبذة نقلاً عن الرواية النصرانية بمائة ألف<sup>(٣)</sup>.

وقد علق ابن أبي زرع على الأعمال الوحشية التي مارسها ملك قشتالة الفونسو الثامن في مدينة أبذة بالقول: ((ولما فرغ الفونسو الثامن لعنه الله من وقعة العقاب سار إلى مدينة أبذة فدخلها على المسلمين بالسيف عنوة فلن يحيي فيها ذكراً كبيراً ولا صغيراً ، ومن بعدها لم يزل يملك بلاد الأندلس بلداً بعد بلد حتى استولا على جميع قواعدها ولم يبق بأيدي المسلمين منها إلا النزر اليسير ، ولم يوقفهم على أخذ تلك البقعة إلا حماية الله عز وجل لها ،... ، ويقال أنه لم يبق من ملوك الروم الذين حضروا وقعة العقاب ودخول أبذة إلا مات في تلك السنة بعينها))<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن الجيش القشتالي لم يبق في المناطق التي فتحها ، بل انسحب منها فوراً إلى مدينة طليطلة وذلك لأسباب عدة ذكرها عنان بقوله: ولكن مصاعب التموين كانت تتفاقم ، وقد سادت

---

(١) المراكشي، المعجب، ص ٢٣٠ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص ٣٢٣.

(٢) تاريخ الأندلس، ١٢٣/٢ - ١٢٤ .

(٣) عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص ٣٢٣.

(٤) الأنيس المطرب، ص ٢٤٠.

الفوضى بين جنود الجيش الظافر، الذين امتلأت أيديهم بالغنائم، ثم كانت الطامة بانتشار الوباء بينهم من جراء اشتداد الحرارة، وتعفن الجثث التي غصت بها تلك الوديان، فارتد الملوك النصارى في قواتهم نحو الشمال، ودخلوا طليطلة عاصمة قشتالة في موكب ملوكي ضخمة، وأقيمت صلوات الشكر ابتهاجاً بالنصر، وتقرر أن يغدو يوم ١٦ يولييه، وهو اليوم الذي تحقق فيه النصر، عيداً قومياً يحتفل به في طليطلة وسائر أنحاء قشتالة، ويسمى عيد ظفر الصليب<sup>(١)</sup>.

وبعد موقعة العقاب توفي الخليفة الناصر الموحد سنة ٦١٠هـ / ١٢١٣م، فتولى بعده ابنه يوسف المنتصر بالله واستمر في الحكم حتى سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م، فبايع أهل مراكش عبد الواحد بن يوسف ابن عبد المؤمن (٦٢٠-٦٢١هـ / ١٢٢٣-١٢٢٤م) فعارض بيعته ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور الذي كان والياً على مدينة مرسية<sup>(٢)</sup>، وقد دعا الأخير أشياخ الموحدين إلى بيعته فتم له ذلك سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م، وتلقب بالعدل (٦٢١-٦٢٤هـ / ١٢٢٤-١٢٢٦م)، وسار إلى مدينة إشبيلية وأخذ في تدبير حكمه، فأصبح للدولة الموحدية خليفتين أحدهما في مراكش والآخر في إشبيلية، إلا أن الأمور لم تنتهي إلى هذا الحد، ذلك أن ابن عمّ العدل أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن خلع بيعة العدل ودعا لنفسه خليفة للموحدين، ومما عزز ذلك طاعة أهل جيان وأبذة وبياسة له، ولقب بالبياسي لأنه اتخذها مقراً له وراسل ملك قشتالة

---

(١) عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص ٣٢٣؛ وينظر أيضاً: أشباخ، تاريخ الأندلس، ١٢٤/٢.

(٢) وهي أحد مدن شرق الأندلس، ومن مدن كورة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن الثاني واتخذها داراً للعمال، الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٩.

فرناندو الثالث (Fernando III) (٦١٤ - ٦٥٠هـ / ١٢١٧ - ١٢٥٢م) يطلب الخضوع والطاعة له مقابل مساعدته في التصدي للقوات الموحدية ، وفعلاً هاجم الجيش الموحدية مدينة يباسة وتمكن البياسي بمساعدة النصارى من هزيمتهم<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن البياسي أخذ يطمع بضم مناطق أخرى إلى نفوذه ، لهذا أرسل قواته بمساعدة قوات قشتالة باتجاه مدينة قيجاطة في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م ، وتمكنوا من السيطرة عليها ، بعدها تمكن البياسي بمساعدة حلفائه النصارى من إخضاع معظم الحصون الواقعة بين مدينتي إشبيلية وقرطبة<sup>(٢)</sup>.

وعلى إثر ذلك طلب ملك قشتالة من البياسي أن يسلمه بعض المناطق والحصون ، فوافق البياسي وأعطاه كل من يباسة وقيجاطة ، وقد أشار ابن أبي زرع إلى ذلك بقوله: ((...)) ، وفيها أعطا البياسي يباسة وقيجاطة للنصارى<sup>(٣)</sup> ، أما الحميري فقد جعل ذلك في سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م بقوله: ((وفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة ملك الروم يباسة في يوم عرفة من ذي حجتها...))<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٣٥٢. ٣٥٣ ؛ الدرويش والعلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية (لاردة - يباسة - أستورقة)، ص ١٤٥ - ١٤٩.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص ١٢٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١ ؛ ابن أبي زرع الأنيس المطرب، ص ٢٧٣.

(٣) الأنيس المطرب، ص ٢٧٣.

(٤) الروض المعطار، ص ١٢١ ؛ ينظر أيضاً عن سقوط يباسة: الدرويش والعلياوي، دراسات في تاريخ المدن الأندلسية (لاردة - يباسة - أستورقة)، ص ١٤٩ - ١٥٠.

أما مدينة أبذة فإنها ظلت تحت الحكم الإسلامي فيما يبدو لبعض الوقت ، ولعلها حُكمت من قبل أسرة بني مردنيش<sup>(١)</sup> بعد اضمحلال سلطة الموحدين خلال هذه المدة ، وهذا ما يمكن أن نستشفه من نص ابن الخطيب إذ قال: ((... ، بادر الرئيس أبو جميل<sup>(٢)</sup> ببلنسية<sup>(٣)</sup> من مستقرة يومئذ بمدينة أبذة ، فدخلها يوم الاثنين السادس والعشرين لصفر سنة ٦٢٦هـ ، وسكن القصر وأخذ البيعة لنفسه أول ربيع الأول من السنة ،...))<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن تأخر سقوط مدينة أبذة بيد النصارى لبعض الوقت هو

---

(١) اختلفت الآراء في بيان نسب بني مردنيش وأصولهم، وهل هي عربية أم نصرانية، وقد عد بعضهم بني مردنيش عرباً، ونسبهم إلى قبيلة جذام أو قبيلة تجيب العربيتين اليمينيتين، بينما ذهبت المراجع الحديثة إلى أن بني مردنيش هم من أصول نصرانية، وأنهم أسلموا بعد فتح الأندلس كما هو حال الكثير من سكان تلك البلاد، ينظر: ابن الأبار، الحلة السیراء، ٢٣٢، ٣١٠، ٣١٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/١٢٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٧٠/٢؛ أرسلان، الحلل السندسية، ٣/٥٣٣؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ص ٥٣٤؛ جابر، بنو مردنيش، ص ٤١ وما بعدها.

(٢) هو أبو جميل زيان بن أبي الحملات مدفع بن أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش كان قائداً لأعنة الخيل ببلنسية، ثم ثار في سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م واستولى عليها وهرب حاكمها الموحد أبي زيد، وبقي حاكماً على بلنسية حتى سقوطها بيد النصارى سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م، وتوفي سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م، ينظر: ابن الأبار، الحلة السیراء، ٢/٢٦٢، ٣١٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٧٢- ٢٧٣.

(٣) وهي إحدى قواعد شرق الأندلس المهمة، سهلية كثيرة الخيرات، ينظر: ابن غالب، فرحة الأَنْفُس، ص ١٦؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٨٥.

(٤) أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٧٢.

بسبب المنافسة بين ملوك اسبانيا على اقتسام مناطق النفوذ في الأندلس ، فقد كان خايمي الأول (٦١٠-٦٧٥ هـ / ١٢١٣-١٢٧٦م) ملك أراجون Aragon ، وفرناندو الثالث ملك قشتالة ، وألفونسو التاسع ملك ليون Leon ، يسيطر كل منهم ، على مصاير منطقة من شبه الجزيرة ، فملك أراغون يسيطر على مصايرها من ناحية الشرق ، وملك قشتالة يسيطر على مصايرها من ناحية الوسط ، وملك ليون يسيطر على مصايرها من ناحية الغرب ، وكل منهم يرقب الفرص الموازية للانقضاض على الفريسة (الأندلس) التي مزقتها الفتنة ، وفقدت وسائل الدفاع الحقيقية ، وأضحت معظم قواعدها تحت رحمة العدو القوي المتحفز<sup>(١)</sup>.

ولما كانت أبذة قد وقعت تحت نفوذ أبي جميل زيان أمير بلنسية Valencia في شرق الأندلس لذلك لم يقدم ملك قشتالة على مهاجمتها لأن شرق الأندلس ضمن حصة مملكة أراغون ، وكان ملك أراغون في هذا الوقت (أي في ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م) مشغولاً بحملة عسكرية كبيرة أرسلها للاستيلاء على جزيرة ميورقة Mallorca<sup>(٢)(٣)</sup>.

إلا أن مدينة أبذة لم تستمر طويلاً بيد أبي جميل زيان فقد ظهر منافس آخر له في شرق الأندلس وهو محمد بن يوسف بن

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين ق٢، ص٣٩٩.

(٢) وهي جزيرة في شرق الأندلس بينها وبين بر الأندلس سبعون ميلاً، ينظر: ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٨٢.

(٣) ينظر التفاصيل عن حملة ملك أراغون خايمي الأول على جزيرة ميورقة: الدرويش والعلياوي، برشلونة بين الإسلام والنصرانية، ص٩٣-٩٧.

هود الجذامي الذي استولى على مرسية Murcia سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م<sup>(١)</sup> وأخذ يوسع نفوذه على حساب جاره أبي جميل زيان صاحب بلنسية واشتعلت نار الحرب بينهما ، وحاصر ابن هود في بلنسية ثم ارتد عنها<sup>(٢)</sup> ، توجه بعدها إلى أبذة ، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: ((... ، سنة ست وعشرين عندما بويع ابن هود بمرسية ، وخرج إلى أبذة...))<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن توسع ابن هود باتجاه مناطق تعدها قشتالة من حصتها دفعها للإسراع بمهاجمة مدينة أبذة لاسيما وأن خايي الأول ملك أراغون كان معظم اهتمامه منصباً للحصول على بلنسية<sup>(٤)</sup> مما جعله يغض النظر عن أبذة ، ففي سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م سار ملك قشتالي فرناندو الثالث بقواته من أجل السيطرة عليها ، وكانت أبذة من أمنع مدن جيان وأوفرها سكاناً وأقواها حامية ، لذلك قام فرناندو في البداية بحصارها من أجل إضعافها ، كي يرغم أهلها على التسليم ، واستمر حصاره لها من يناير حتى يولييه سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ، فلما عدت القوات ، ولم تصل أي نجدة أو إمدادات لها ، اضطرت

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧٦ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٤٧.

(٢) ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٤.

(٣) العبر، ٤/١٧٢.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/١٢٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٤٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٤ - ٢١٥.

المدينة إلى التسليم مقابل أن يؤمن سكانها على أنفسهم ، وأن يسمح لهم بأن ينقلوا من أموالهم ما يستطيعون حمله معهم وأن تضمن سلامتهم حتى يصلوا إلى مناطق نفوذ المسلمين<sup>(١)</sup>.

وقد أشار ابن عذاري إلى سقوط المدينة بيد النصارى الأسباب بقوله: (( وفيها أخذ العدو قسبة مدينة أبذة أعادها الله للإسلام ))<sup>(٢)</sup> ، ويبدو أن ابن هود لم يستطع إنقاذ المدينة أو الدفاع عنها أو حتى إرسال نجدة إليها فتركها تواجه مصيرها بنفسها وذلك لأنه كان منشغلاً بقتال منافسه المسلم الآخر الذي ظهر على الساحة الأندلسية وهو محمد بن يوسف بن الأحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) ، ثم ذهب أكثر من ذلك بأن عقد معاهدة مع الملك القشتالي شرط عليه فيها الأخير أن يؤدي له جزية مقدارها ألف دينار عن كل يوم كي يتفرغ لمحاربة ابن الأحمر ، وقد أشار ابن أبي زرع إلى ذلك بقوله: ((عقد ابن هود الصلح مع العدو لانشغاله بقتال ابن الأحمر... فصالحه بألف دينار في كل يوم))<sup>(٣)</sup>.

ويسقط مدينة أبذة نهائياً بيد النصارى ، توالى سقوط العديد من المدن الأندلسية الأخرى بعد مدة وجيزة ، إذ سقطت مدينة قرطبة بيد ملك قشتالة فرناندو الثالث نفسه سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م<sup>(٤)</sup> ،

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٠٢.

(٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٠٢.

(٣) الأنيس المطرب، ص٢٧٥ ؛ وينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٠٣.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٩ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٧٦ ؛

كما سقطت مدينة بلنسية سنة ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م بيد حاكم أراغون  
وبرشلونة Barcelona خايمي الأول<sup>(١)</sup>.

إلا أن هناك محاولات عدة بُذلت بعد ذلك من قبل بعض  
الحكام المسلمين لاستعادة مدينة أبذة والمدن الأخرى القريبة منها إلا  
أنها كانت عبارة هجمات استعراضية لم تأتي بنتيجة ملموسة على  
الأرض ، ففي عهد السلطان الغرناطي محمد الثاني بن يوسف  
الأحمر (٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٢-١٣٠١م) استنجد بالمرينيين<sup>(٢)</sup> ضد تعديت  
مملكة قشتالة فلبى السلطان المريني أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق  
الملقب بالمنصور (٦٦٨-٦٨٥هـ) هذا الطلب ، وخرج من مدينة  
فاس<sup>(٣)</sup> ، ونزل بساحل طريف Tarifa<sup>(٤)</sup> ، ومن ثم إلى الجزيرة  
الخضراء وكان ذلك سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م ، وبعدها سار إلى قرطبة  
وأبذة وبياسة ، ودخلت قواته في مواجهة عسكرية كبيرة مع النصارى

---

ابن خلدون، العبر، ١٧٦/٤.

(١) ابن الأبار، الحلة السبيرة، ١٢٧/٢ ؛ ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، ٣٠٣/٢ ؛  
ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٩ ؛ الدرويش والعلياوي،  
برشلونة بين الإسلام والنصرانية، ص ١٧٨ - ١٨٠.

(٢) بنو مرين أحد بطون قبيلة زناتة البربرية استغلوا هزيمة الموحدين  
بالأندلس وضعفهم بالغرب فقاموا بمنازلتهم وبعد حروب عدة جرت بينهم  
تمكنوا من هزيمة الموحدين وقتل آخر خلفائهم أبي دبوس الواثق بالله  
ودخول مراكش سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م، ينظر: ابن خلدون، العبر، ٢٢١/٧ وما  
بعدها ؛ السلاوي، الاستقصا، ٣/٣ وما بعدا.

(٣) وهي قاعدة بلاد المغرب أسسها الأدارسة سنة ١٩٢هـ / ٨٠٧م ، ينظر: الحميري،  
الروض المعطار، ص ٤٣٤.

(٤) وهي جزيرة على ساحل البحر المجاز المسمى بالزقاق بين براعدوة وير  
الأندلس، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٢.

تكللت بالانتصار عليهم ، وقتل أعداداً كبيرة منهم ، وقد أشار ابن أبي زرع إلى تفاصيل هذه الحملة بالقول: ((وكان جوازه رحمه الله في ضحوة يوم الخميس الحادي والعشرين لصفر من أربع وسبعين وستمئة فصلا الظهر بطريف وانصرف إلى الجزيرة الخضراء من حينه ، فوجد بها الأمير ابن الأحمر وابن أشقيلولة<sup>(١)</sup> سلطاني الأندلس بعساكرهما وحشودهما ينتظرانه بها ، فالتقا بهما وسلما عليه ، وكان بين ابن الأحمر وابن أشقيلولة منافسة وشحناء ، فأزالها وأصلح بينهما واجتمعت الكلمة وتألقت القلوب بحلول الله وتفاضوا فيما يصلح المسلمين وكيف يكون العمل في جهاد المشركين ، ثم ودعه ابن الأحمر وابن أشقيلولة وانصرفا إلى بلادهما ، فسار ابن الأحمر إلى غرناطة ، وابن أشقيلولة إلى مالقة ، وارتحل أمير المسلمين يعقوب بجميع جيوش المجاهدين قاصداً إلى غزو الكافرين لم يقعد ولم يتلبث ،... ، حتى وصل إلى الوادي الكبير مخافة أن يشعر الروم بقدمه أو ينذرهم به نذير ، فعقد هناك لولده الأمير يوسف على مقدمته وقدمه بين يديه في جيش من خمسة آلاف فارس ، وأعطاه طبولاً وبنوداً ، فانتشرت الجيوش في أرض الوادي الكبير كأنها السيل العر الغزير أو الجراد المنتشر ، وسار حتى بلغ حصن المدور من أحواز قرطبة يقتل ويسبي ويحرق الزروع ، ويحرب القرا والربوع ، حتى هتك جميع أحواز قرطبة وأبذة

(١) هو محمد بن عبد الله بن أبي الحسن علي بن أشقيلولة، وأسرته من موالي الأندلس ساندت بني الأحمر أول أمرها، وكان على مالقة أيام بني الأحمر، توفى سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، ينظر: ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص ١٦٤؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٢٥٤ - ٢٥٥.

وبياسة ونواحيها ، وقتل فيها من الروم ألوفاً لا تحصى وسبا نساءهم  
وذريتهم ،... ، وامتلأت أيدي بني مريين بالغنائم ، فأمر أمير  
المسلمين بجمع المغنم ، فجمع البقر والغنم والخيول والدواب والعلوج  
والروميات والذراري والثياب والعدد فتألف منها ما ملأ السهل  
الوعر... ، ثم ارتحل أمير المسلمين والغنائم تسوق أمامه وتقاد الروم  
بين يديه في الأصفاد مقرنين ،...))<sup>(١)</sup>.

ثم تكررت حملات بني مريين على الأندلس ، ولاسيما المناطق  
الخاضعة لنفوذ النصارى والتي تشكل تهديداً كبيراً على المسلمين  
المتواجدين في الجنوب الأندلسي ومصدر قلق لسلطنة غرناطة ، فقد قاد  
الأمير المريني يعقوب المنصور حملة عسكرية إلى مدينة أبذة والمناطق  
القريبة منها سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م ووصل في حملته إلى جنوب طليطلة ،  
وكان قفوله على مدينة أبذة وجرح فيها أثناء مهاجمتها مما اضطره إلى  
الانسحاب إلى بياسة ومنها إلى الجنوب الأندلسي<sup>(٢)</sup>.

وفي سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م ، قاد السلطان الغرناطي محمد بن يوسف  
المعروف بالغني بالله (٧٥٥-٧٩٣هـ / ١٣٥٤-١٣٩٠م) حملة عسكرية على  
مدينة أبذة ، وتمكنت قواته من دخولها عنوة وتلمير صروحها  
وأسوارها ، وتركها خراباً ، ثم عاد إلى غرناطة مكللاً بالنصر<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الأنييس المطرب، ص ٣١٥- ٣١٦ ؛ ولزيد من التفاصيل ينظر أيضاً: ابن أبي  
زرع، الذخيرة السنوية، ص ١٤٥- ١٤٨ ؛ عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب  
المتنصرين، ص ٩٩- ١٠٠.

(٢) ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، ص ٣٣٩ ؛

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ٨٤/٢ ؛ السلاوي، الاستقصا، ١٣٢/٢ ؛ عنان، نهاية  
الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ص ١٤٩.

ويلاحظ أن جميع الحملات على مدينة أبذة والتي تلت سقوطها بيد النصارى سنة ١٢٣٠هـ/١٢٣٢م أنها كانت حملات لاستعراض القوة وجمع الغنائم ولم تحقق أي نتيجة تذكر على الأرض.

### ثالثاً: الحركة الفكرية في مدينة أبذة

حكم المسلمون مدينة أبذة أكثر من خمسة قرون (٩٢-٦٣٠هـ/ ٧١٠-١٢٣٢م) ، وقد سكنتها العديد من القبائل العربية إلى جانب سكانها الأصليين الذين دخل بعضهم للإسلام فكان منهم المولدين ، وقد أسهموا جميعاً في رقد الحركة الفكرية في أبذة والأندلس عامة ، ويرع العديد منهم في مجالات العلوم المختلفة ، نذكر منهم:

- إبراهيم بن عبد الله بن خير بن عبد الملك بن صفوان الكلبي من أهل أبذة ، محدث روى عن ابن وضاح<sup>(١)</sup> وغيره<sup>(٢)</sup>.
- أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري من أهل أبذة ثم سكن إشبيلية ، اشتهر بعلم القراءات والحديث والعربية ، توفي سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م<sup>(٣)</sup>.
- أحمد بن عمر بن معقل ، محدث من أهل شوذر عمل جيان وسكن أبذة يكنى أبا جعفر رحل حاجا وسمع بالإسكندرية

---

(١) هو محمد بن وضاح بن بزيغ مولى الأمير عبد الرحمن الداخل كان عابدا زاهدا له رحلة إلى المشرق روى عن عبد الملك بن حبيب تويج سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ١/١١٥

(٣) ابن الأبار، التكملة، ١/٩٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٤/٣٨٩ - ٣٩٠.

من عدد من علمائها ثم رجع إلى الأندلس سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م وحدث بشوذر وأبذة وولي الصلاة والخطبة في أبذة<sup>(١)</sup>.

- أحمد بن مالك بن غالب بن سعيد بن عبد الرحمن التجيبي ، يكنى أبا جعفر ، من أهل أبذة ، اشتهر بعلم القراءات ، وطاف مدن الأندلس يعلم القراءات ، وكان له مركزاً للإقراء والإسماع والتعليم في مدينته أبذة ، وكان من أهل الصلاح ، ولما تغلب النصارى على أبذة خرج منها إلى غرناطة واستوطنها ، وتوفي بعد ٦٣٠هـ/١٢٣٢م<sup>(٢)</sup>.

- إسماعيل بن محمد بن يوسف بن عبد الله الأنصاري الأبيدي ، محدث ، له رحلة ، سمع بدمشق ومكة والقدس ، وله شعر ، وتوفي ببيت المقدس سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م<sup>(٣)</sup>.

- حنون بن إبراهيم بن عباس بن إسحاق اليعمري ، يكنى أبا الحسن ، من أهل أبذة ، كان عالماً بالفرائض وعلم الحساب ، وعمل ملاماً لها في بلده ، وله كتاب كبير في المعاملات ، توفي في حدود سنة ٥٥٠هـ/١١٠٦م<sup>(٤)</sup>.

- حنون بن الحكم بن حنون اليعمري يكنى أبا الحسن ، من أهل أبذة ، اشتهر بعلم العربية والآداب ، وكان حسن الخط روى

---

(١) ابن الأبار، التكملة، ١/٥٢ ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٥٢٦/١.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ١٠٦/١.

(٣) القيسي الدمشقي، توضيح المشتبه، ١/١٢٦.

(٤) ابن الأبار، التكملة، ١/٢٣٢ - ٢٣٣ ؛ كحالة، معجم المؤلفين، ٤/٨٧.

عن أبي محمد البطليوسي<sup>(١)</sup> ، وهو من أبناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي<sup>(٢)</sup> .

عبدالله بن مالك الأبيدي ، ذكره أبو طاهر السلفي (ت ٥٧٦هـ /١١٨٠م) قال: ولي القضاء بها وكان من الفقهاء المشاورين<sup>(٣)</sup> ، فهو من أبناء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

- عثمان بن عابدة ، يكنى أبا سعيد ، من أهل أبدة ، كان شاعراً ظريفاً ، ذكره ابن سعيد ، قال: كتب إلى صاحب له:

يا أسخف الناس من عرب ومن عجم

سبقا لألأم من يمشي على قدم

سبقاً إلى كأسٍ راحٍ لنا هُنَيْتَ بِهَا

وَنُغْبَةِ هِيَ لَذَاتُ كُلِّ فَمٍ

وَعِنْدَنَا أَمْرٌ قَدْ جَاءَ مُحْتَسِباً

لِنَدْوِي الْأَدَابَ وَالْفَهْمَ

مُصَنَّفٌ بِعِذَارٍ كَالْعِذَارِ لَهُ

وَرُبَّمَا فِيهِ حَاجَاتُ لِنَدْوِي قَطْمَ

كن حياً سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م<sup>(٤)</sup> .

(١) هو عبد الله بن عثمان بن مروان العمري البطليوسي، يكنى أبا محمد، نحوي فقيه شاعر، توفي قريباً من سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ص ٢٦٦ .

(٢) ابن الأبار، التكملة، ١/٢٣٣ .

(٣) معجم السفر، ص ١٦٢ .

(٤) المغرب في حلى المغرب، ٢/٧٣ - ٧٤ .

- علي بن أحمد بن سعد الله بن مالك اليعمري ، يكنى أبا الحسن ، من أهل أبذة ، كان عالماً بالعربية وآدابها ، شاعراً مجيداً ، توفي سنة ٥٠٩هـ / ١١١٥م<sup>(١)</sup> .

- علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشني المعروف بالأبدي ، من أهل أبذة ، كان إماماً في اللغة والنحو والشعر ، له إملاء على كتاب سيبويه ، وعلى الإيضاح والجمال ، ومشكل الأشعار الستة الجاهلية ، والجزولية ، وكان فقيراً ، توفي سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م<sup>(٢)</sup> .

- محمد بن الخشاب ، يكنى أبا عبد الله ، شاعر من أهل أبذة ، وكان شيخها وعميدها في وقته ، وكان صاحب مال ، وقع وفي الأسر عند اقتحام النصارى أبذة سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ، ومن شعره لأحد أبناء بني عبد المؤمن:

مَوْلَايَ قَدْ أَفْسَدَ مَا بَيْنَنَا

إِمَائَةَ السَّمْعِ لِقَوْلِ الْحَسُودِ

مَاذَا تُرَاهُ قَائِلًا بَعْدَ مَا

أَبْصَرْتَنِي بِالرُّغْمِ مِنْهُ أُسُودُ<sup>(٣)</sup>

- محمد بن محمد بن عبد الحميد بن حارث اليعمري ، يكنى أبا بكر ، من أهل أبذة ، كان شاعراً وأديباً ، ولي القضاء في

---

(١) ابن الأبار، التكملة، ٣/ ١٨١ ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة،

١٥٨/١ ؛ القيسي الدمشقي، توضيح المشتبه، ١/ ١٢٦ .

(٢) الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص ٢١٨ .

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٢/ ٧٥ .

مدينة أبذة ، كان معاصراً لإبراهيم بن همشك فهجاه قائلاً:

همشكٌ ضُمَّ من حريِّ

ن من همٍّ ومن شكٍّ

فعمين الدين والدنيا

لامرئيه أسى تبكي<sup>(١)</sup>

توفي سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م<sup>(٢)</sup>.

- يزيد بن بكر العمري الأبيدي ، ذكره أبو طاهر السلفي (ت ٥٧٦هـ /١١٨٠م) قال: ولي القضاء بها وكان من الفقهاء المشاورين ، فهو من أبناء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ابن الأبار، تحفة القادم، ص ١٠٧.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٦٧/٢.

(٣) السلفي، معجم السفر، ص ١٦٢.

## الغائمة

تأتي أهمية دراسة المدن الأندلسية من كون أن كل مدينة بالأندلس لها قصة تبدأ بفتحها واستقرار المسلمين بها وازدهار الحضارة الإسلامية بها ثم سقوطها بيد النصارى ، فقد فتح المسلمون مدينة أبذة سنة ٩٢هـ/٧١٠م وسكنها عشيرة بني يعمر العربية الشامية واستمروا سادة المدينة ووجهائها حتى سقوطها بيد النصارى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م.

دام الحكم الإسلامي لمدينة أبذة أكثر من خمسة قرون شهدت خلالها أحداثاً مهمة منها ثورة ابن حفصون فكانت المدينة مسرحاً لأحداثها حوالي ثلاثين عاماً ، ومنذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي تحولت منطقتها إلى حدود ثغرية فتعرضت للعديد من الهجمات التي قام بها النصارى ، ومما مهد السبيل لاستيلائهم عليها حدوث العديد من الثورات فيها مثل ثورة بني مردنيش وصهرهم ابن همشك وأخيراً حركة البياسي الموحد الذي ضمها إلى نفوذه ، وهو ما أضعف قوة المسلمين بها ومهد لسقوطها بعد أن أبادوا أهلها.



مدينة شقورة Seguar الأندلسية

٩٤ - ٥٦٦٥ هـ / ٧١٢ - ١٢٦٦ م



## أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة شقورة Seguar

تقع مدينة شقورة شمالي مدينة مرسية Murcia<sup>(١)</sup>، إذ تبعد عنها أربعة مراحل<sup>(٢)</sup> كما تبعد عن مدينة أقليش Ucles<sup>(٤)</sup> ثلاث مراحل، ومن شقورة إلى مدينة سرتة<sup>(٥)</sup> مرحلتان<sup>(٦)</sup>. تعد مدينة شقورة من أعمال كورة جيان Jaen<sup>(٧)</sup>، وتحدث شيخ الربوة عن هذه المدينة الأخيرة وأعمالها بقوله: ((كورة جيان وتسمى قنسرين وقصبتها مدينة الحاضرة،...، ولها من الأعمال

- 
- ١) وهي أحد مدن شرق الأندلس، ومن مدن كورة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن الثاني واتخذها داراً للعمال، الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٩.
  - ٢) ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٦٣.
  - ٣) المرحلة تساوي مسيرة ٣٧ كم في حالة السير الاعتيادي، ينظر: كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٩٧٣.
  - ٤) تقع مدينة أقليش في الثغر الأوسط الأندلسي، إلى الشمال الشرقي، وهي قاعدة كورة شنتبرية، وتبعد عن مدينة وبذة ثمانية عشر ميلاً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢، والميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكابيل والأوزان الإسلامية، ص ٩٨.
  - ٥) مدينة أندلسية تعد من أعمال شنتبرية، تقع إلى الشرق من قرطبة منحرفة نحو الجوف بينها وبين طليطلة عشرون فرسخاً، ينظر: ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٤٢، والفرسخ يساوي ٦ كم، ينظر: هنتس، المكابيل والأوزان الإسلامية، ص ٩٤.
  - ٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢.
  - ٧) مدينة أندلسية تبعد عن مدينة بياسة ستون ميلاً، وبينها وبين قرطبة خمسين ميلاً، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦.
  - ٨) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٢٢/٥.

بياسة<sup>(١)</sup> وأبذة<sup>(٢)</sup>، ... ، وشقورة ...))<sup>(٣)</sup>.

في حين عدّ الإدريسي مدينة شقورة من ضمن كورة قونكة Cuenca<sup>(٤)</sup> بقوله (... ، ويتصل بكورة قونكه وفيها أوربولة<sup>(٥)</sup> وألش<sup>(٦)</sup> وألش<sup>(٦)</sup> ولقنت<sup>(٧)</sup> وكونكة وشقورة...))<sup>(٨)</sup> ، ومن ملاحظة الخارطة نرى أنها تقع على طرف ثلاث كور وهي تدمير Tudmir<sup>(٩)</sup> وكونكة وجيان ، وهو ما سبب ذلك الاختلاف.

اشتهرت مدينة شقورة بجبالها وأنهارها ، إذ ينبع من جبل شقورة

- 
- ١) مدينة أندلسية تعد من أعمال كورة جيان إذ تبعد عنها عشرون ميلاً، وهي ذات أسوار وأسواق ومتاجر، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥ ؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦.
  - ٢) مدينة أندلسية تعد من أعمال كورة جيان، وتقع بالقرب من بياسة إذ تبعد عنها سبعة أميال، ينظر: ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦.
  - ٣) نخبة الدهر، ص ٣٢١.
  - ٤) تعرف بعدة تسميات منها قونكة وقونقة وكونكا، وهي مدينة أندلسية من أعمال شنتبرية تقع بالقرب من مدينة طليطلة شرقاً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢ ؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.
  - ٥) مدينة أندلسية، تعد قاعدة كورة تدمير، لها بساتين وفواكه، ينظر الحميري، الروض المعطار، ص ٦٧.
  - ٦) مدينة بالأندلس تعد من كورة تدمير بينها وبين لقنت خمسة عشر ميلاً، ينظر: القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٠.
  - ٧) مدينة تقع شرق الأندلس تابعة إلى كورة تدمير، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢، ٥٥٨ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١١.
  - ٨) نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢ ؛ وينظر أيضاً: أرسلان، التحلل السندسية، ٧٦/١.
  - ٩) كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان، ينظر: ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٠١.

نهران ، الأول نهر قرطبة Cordoba<sup>(١)</sup> المسمى بالنهر الكبير Rio Gnadalquivir ، والثاني هو النهر الأبيض الذي يمر بمدينة مرسية ، وقد أشار الإدريسي إلى منبع هذه الأنهر وجريانها بالقول: ((... ، ويخرج من أسفله نهران أحدهما نهر قرطبة المسمى بالنهر الكبير والثاني هو النهر الأبيض الذي يمر بمرسية ، وذلك أن النهر الذي يمر بقرطبة يخرج من هذا الجبل من مجتمع مياه كالغدير ظاهر في نفس الجبل ثم يغوص تحت الجبل ويخرج من مكان في أسفل الجبل فيتصل جريه غربا إلى جبل نجدة إلى غادرة إلى قرب مدينة ابدة إلى أسفل مدينة بياسة إلى حصن اندوجر<sup>(٢)</sup> إلى القصير إلى قنطرة أشتشان<sup>(٣)</sup> إلى قرطبة إلى حصن المدور<sup>(٤)</sup> إلى حصن الجرف<sup>(٥)</sup> إلى حصن لورة<sup>(٦)</sup> إلى حصن

---

(١) وهي قاعدة وعاصمة الأندلس لحقبة طويلة، وتقع على نهر الوادي الكبير، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦- ٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦- ٤٥٩.

(٢) وهو حصن يبعد عن مدينة المرية مرحلة، وهو حصن على تل تراب أحمر، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٤٩ وأسماء مندوجر.

(٣) تقع هذه القنطرة بالقرب من مدينة قرطبة، ينظر: أرسلان، التحلل السندسية، ١١٦/١- ١١٧.

(٤) وهو حصن يقع بالقرب من قرطبة وله عدة قرى، ينظر: ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٨؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٨٧.

(٥) وهو حصن يقع على الطريق بين إشبيلية وقرطبة، ينظر: أرسلان، التحلل السندسية، ١٣٥/١.

(٦) وهو حصن يقع بين مدينتي إشبيلية وقرطبة، ينظر: أرسلان، التحلل السندسية، ١٣٤/١.

القلعة<sup>(١)</sup> إلى حصن قطنيانة<sup>(٢)</sup> إلى الزرادة إلى اشبيلية<sup>(٣)</sup> إلى قبطل إلى قبتور إلى طرشانة إلى المساجد إلى قانس<sup>(٤)</sup> ثم إلى بحر الظلمات<sup>(٥)</sup>، وأما النهر الأبيض الذي هو نهر مرسية فإنه يخرج من أصل الجبل ويحكي أن أصلهما واحد أعني نهر قرطبة ونهر مرسية ثم يمر نهر مرسية في عين الجنوب إلى حصن أفرد<sup>(٦)</sup> ثم إلى حصن مولة<sup>(٧)</sup> ثم إلى مدينة مرسية ثم إلى اوربولة إلى المدور إلى البحر...<sup>(٨)</sup>.

وقد أشار أحد الباحثين حول مصب هذه الأنهار بالقول: وعلى الرغم من أن منبع نهر قرطبة(نهر الوادي الكبير) والنهر الأبيض (نهر مرسية) من مكان واحد وهو جبل شقورة، إلا أن مصبهما يختلف، حيث يكون مصب نهر قرطبة في المحيط الأطلسي، بينما

- 
- ١) يقع هذا الحصن على ضفة نهر الوادي الكبير، وهو يتوسط مدينتي قطنيانة ولوزة، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦١/٢.
  - ٢) وهو حصن يقع في الطريق بين إشبيلية وقرطبة، ينظر: أرسلان، التحلل السندسية، ١٣٥/١.
  - ٣) مدينة أندلسية قديمة، تبعد عن قرطبة ثمانون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٧٤ - ١٧٥.
  - ٤) وهي جزيرة أندلسية تعد من كورة شنونة، وهناك من يعدها من أعمال إشبيلية، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٤٨.
  - ٥) المقصود به المحيط الأطلسي.
  - ٦) وهو حصن يقع بالقرب من مدينة مرسية، ينظر: أرسلان، التحلل السندسية، السندسية، ١١٧/١.
  - ٧) وهو حصن ومدينة تابعة إلى كورة تدمير، غربي مرسية، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٣٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٣٠/٥.
  - ٨) نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢؛ وينظر أيضاً: المراكشي، المعجب، ص ٢٧٢.

يكون مصب النهر الأبيض في البحر المتوسط <sup>(١)</sup>.  
ويبدو أن وفرة مياه الأنهار في جبل شقورة قد جعل هذه المنطقة من  
أخصب المناطق الصالحة للزراعة ، إذ تميزت بكثرة الأشجار والنباتات  
الموجودة فيها ، وقد أشار الزهري إلى ذلك بقوله: ((... المسمى بجبل  
شقورة وهو جبل عظيم كثير الخصب والماشية والأشجار والثمار ،  
متصل العمارة والسكنى فيه ...)) <sup>(٢)</sup> ، كما أكد الحميري هذا بقوله:  
((... ، وجبل شقورة ينبت الورد الذكي العطر ، والسنبل الرومي  
الطيب ...)) <sup>(٣)</sup> ، في حين تحدث مؤلف مجهول عن ذلك بالقول:  
((وفي جبل شقورة الورد الطيب المضاعف على غاية من الحسن وطيب  
الرائحة والماء ، وبه أيضاً السنبل الرومي الطيب)) <sup>(٤)</sup>.  
كما تحدثت بعض المصادر عن بعض الظواهر الغريبة وعدتها من  
عجائب وفرائد وغرائب بلاد الأندلس ، منها أن في جبل شقورة  
شجرة الطخش <sup>(٥)</sup> ، فإذا ماتت عندهم دابة درس من ورق تلك  
الشجرة ، واعتصر ماؤه ، وتشك تلك الدابة بالرماح ، ويصب في  
تلك المواضع ذلك الماء المعصر ، فكل سيع أو ذئب أو طائر أكل  
من تلك البهيمة مات في الحين ولم يلبث أصلاً <sup>(٦)</sup>.

- 
- ١) المياح، أوربا في كتب البلدانيين العرب المسلمين، ص ١٦٩ - ١٧٠.
  - ٢) كتاب الجغرافية، ص ٩٨.
  - ٣) الروض المعطار، ص ٣٤٩.
  - ٤) تاريخ الأندلس، ص ٦٨.
  - ٥) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٩.
  - ٦) تاريخ الأندلس، ص ٦٦.

كما تكثر في مدينة شقورة العيون ، إذ أشار إلى ذلك الحميري بقوله: ((وفي تلك الناحية عين ماء صغيرة في حجر قدر ما تدخل الدابة رأسها فيه فتشرب ، ويتتابع على ذلك العدد الكثير من الدواب فتصدر رواء ، فإذا استقي في إناء لم يكدر يروي الرجل))<sup>(١)</sup>.

والى نفس المعنى أشار مؤلف مجهول بقوله: ((ومنها بناحية شقورة عين من ماء في حجر صلد على قدر ما تدخل الدابة رأسها فيه ، فيستوي عليها العدد الكثير من الدواب والبهائم ، فيشربون منها فترويهم الجميع وتقوم بهم ، ولا ينقص من شربهم شيئاً ، ولا يزيد إذ ترك منه الشرب ، وإذا أخذ في أنية لم يكن فيه ما يملأ دلواً واحداً))<sup>(٢)</sup>.

وتوجد عين في جبل شقورة ، تأخذ ماؤها بالجريان في الأنهار ، لاسيما نهري قرطبة ومرسية ، ومن عجائبها ما ذكره مؤلف مجهول بقوله إن عين: ((... ، تخرج في جبل شقورة يقال لها المفجر ، فينقسم بصخرة عظيمة أنشأها الله تعالى في منبث العين ، فيأخذ نصف الماء إلى الغرب ، ويأخذ النصف الثاني إلى المشرق ، وهو نهر مرسية))<sup>(٣)</sup>.

ومن عجائب جبل شقورة أن من دخله كثر عليه الاحتلام ، منهم من يجري عليه المنى من غير احتلام ولا إرادة ولا تذكر ، ويقال إن ذلك من ماء عين هناك<sup>(٤)</sup> ، وقد أوضح الحميري ذلك بالقول: ((... ، وفي غيران شنت مرتين من جبل شقورة أشقال كبير

(١) الروض المعطار، ص٣٤٩.

(٢) تاريخ الأندلس، ص٦٧.

(٣) تاريخ الأندلس، ص١٣٦.

(٤) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٦٨.

قوي الفعل يفوق غيره ، وإذا نزل بتلك الغيران أحد كثر منه الاحتلام ، وربما نزل المنى منه بغير إرادة ولا تذكر ، ويقال: إن في قرية هنالك عين ماء يفعل مثل ذلك))<sup>(١)</sup>.

كما يوجد في جبل شقورة الكثير من المعازل والقرى والحصون المنيعة ذكرها الزهري عند حديثه عن جبل شقورة بالقول: ((... ، فيه من القرى والمعازل والحصون المانعة ثلاثمائة قرية وثلاث وثلاثون حصناً ، وفي رأس هذا الجبل مدينة شقورة وهي من أمنع مدائن الأندلس))<sup>(٢)</sup> ، وقد وصف ابن سعيد حصانها بقوله: ((هي إحدى معازل الأندلس التي يتعب البصر في استقصاء سمكها ويرتد حسيراً عن آفاق ملكها لا يأخذها قتال ولا يبالي من اعتصم بها إلا بالأجال ،...))<sup>(٣)</sup>.

ومن هذه الحصون حصن شقورة الذي وصفه الإدريسي بالقول: ((.... وحصن شقورة كالمدينة عامر بأهله وهو في رأس جبل عظيم متصل منبع الجهة حسن البنية))<sup>(٤)</sup> ، وقال فيه الشاعر ابن عمار<sup>(٥)</sup> يصفه:

---

(١) الروض المعطار، ص ٣٤٩.

(٢) كتاب الجغرافية، ص ٩٨.

(٣) المغرب في حلى المغرب، ٦٥/٢.

(٤) نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢.

(٥) هو أبو بكر بن عمار بن حسين المهري من شلب، كان واحداً من كبار شعراء الأندلس طاف على ملوك الطوائف ثم اختص بالاعتماد بن عباد الذي استوزره ثم تقلبت به الأحوال فغضب عليه وقتله سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م، ابن بسام، الذخيرة، ٢٧٨/٢ - ٣٢٦؛ المراكشي، المعجب، ص ٨٥ - ٩٧؛ ابن الأبار، الحلة السُّبْرَاء، ١٣١/٢ - ١٦٥.

وحش تناكرت الوجوه به  
حتى استربت بصفحة البدر  
متجبر سال الوقار على  
عظفيه من كبر ومن كبر  
عال كان الجن إذ مردت

جعلته مرقاة إلى السر<sup>(١)</sup>

وبسبب موقعها الحصين تميزت مدينة شقورة باستحكاماتها الدفاعية التي عرفت باسم الصخور والصخيرات ، وهي حصون جبلية مسورة بطبيعتها الجغرافية من غير تعديل ، ويصعب الوصول إليها مثل حصن الصخيرات على نهر شقورة في شمال غرب مرسية<sup>(٢)</sup>.

وجدير بالذكر هنا أن شقورة اسم أطلق على المدينة والجبل وهي منطقة واسعة ضمت العديد من النواحي والأعمال أشارت المصادر إلى بعضها منها:

- ١- شقوش ، ذكرها ابن الأبار ، وقال: هي من أعمال شقورة<sup>(٣)</sup> ، وقال ابن الخطيب إن شقوش من حصون شقورة<sup>(٤)</sup>.
- ٢- فرتش ، ذكرها ابن الأبار ، وقال: هي من أعمال شقورة<sup>(٥)</sup>.

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ٤٠٢/٣.

(٢) العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص ٢٢.

(٣) التكملة، ٢٩٤/٢.

(٤) الإحاطة، ١٥٢/١.

(٥) التكملة، ١٨٣/٤.

٣- فرغلط ، قال ياقوت: ((بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وغين معجمة مضمومة ، ولام مكسورة ، وياء ساكنة ، وطاء مهملة: قرية من نواحي شقورة بالأندلس...))<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة شقورة

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة مباشرة إلى تاريخ وكيفية فتح منطقتها ، وربما ذلك يعود إلى أنها مدينة تابعة إلى كورة جيان ، أضف إلى ذلك أن الفاتحين الأوائل ركزوا على المدن الكبيرة ، ولم يولوا اهتماماً كبيراً بتابعها باعتبار أنها تفتح بفتح أمهاتها ، فبعد انتصار المسلمين بقيادة طارق بن زياد على لوزريق ملك القوط الغربيين Visigoths في معركة وادي لكة Rio Guadalete في شوال من سنة ٩٢هـ / ٧١٠م ، سار طارق إلى مدينة إشبيلية Seilla وتمكن من فتحها ، ثم اتجه إلى مدينة أستجة Ecija التي كانت مركزاً لتجمع فلول الجيش القوطي بعد هزيمتهم ، وتمكن من الانتصار عليهم ، وعلى إثرها قرر التوجه مباشرة إلى مدينة طليطلة Tiledo عاصمة القوط الغربيين لغرض فتحها ، وقبل الشروع بذلك ، قرر إرسال فرقاً من قواته لفتح بعض المناطق التي تجمع فيها القوط مثل قرطبة والمناطق القريبة منها وتمكن المسلمون من فتحها بأكملها<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٣ ؛ وينظر أيضاً: ابن بسام، الذخيرة، ٦١٣/٦ ؛ السمعاني، الأنساب، ٣/٤٥٥ ؛ ابن الأبار، التكملة، ٣/٢١٣ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ص/٢٦٩.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن هذه الفتوحات، ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩- ٢٢ ؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٤٧ وما بعدها ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١١ ؛ المقري، نفع الطيب، ١/٢٦٤- ٢٦٥.

أما كورة جيان الواقعة إلى الشرق من قرطبة والتي يمر بها الطريق الروماني القديم والذي يدعى هانيبال ، فإن طارقاً بعد أن عبر نهر الوادي الكبير تقدم شمالاً باتجاه طليطلة سالكاً ذلك الطريق ، وقد أشار إلى ذلك المقرئ قائلاً: إن طارقاً بعد بعثه بعضاً من جيوشه إلى مناطق شرق الأندلس ((سار هو في معظم الناس إلى كورة جيان يريد طليطلة))<sup>(١)</sup> ، وهذا يعني أن كورة جيان وتوابعها فتحت على يد طارق بن زياد وهو في طريقه إلى طليطلة.

ولكن يبدو أن هذا لا ينطبق على مدينة شقورة التابعة لكورة جيان ، إذ أنها في موقعها أقرب إلى تدمير منها إلى جيان<sup>(٢)</sup> إذ تقع شمال مرسية<sup>(٣)</sup> وبينهما أربعة مراحل<sup>(٤)</sup> ، بينما تبلغ المسافة من مرسية إلى قرطبة (القريبة من جيان) عشرة مراحل<sup>(٥)</sup> ، كما أنها بموقعها هذا تكون بعيدة عن الطريق الروماني القديم الذي سلكه طارق بن زياد والذي يمر بمدينة جيان نحو طليطلة.

ولهذا نرجح أن فتح شقورة لم يكن من قبل طارق بن زياد وإنما من قبل عبد العزيز بن موسى<sup>(٦)</sup> وذلك بعد أن أرسل موسى بن

---

(١) نضح الطيب، ٢/٢٦١.

(٢) ينظر الخارطة آخر البحث.

(٣) ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٦٣.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٦٠.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٦٠.

(٦) عبد العزيز بن موسى بن نصير اصطحب أبوه في الدخول إلى الأندلس تدمير، وولي الأندلس بعد أبيه سنة ٧٩٥هـ/٧١٣م وقتل على يد بعض قاداته سنة ٩٧هـ/٧١٥م، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٣٣٤ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٣٣ - ٣٤.

نصير ابنه عبد العزيز وعبد الأعلى إلى جنوب وجنوب شرق شبه الجزيرة الأيبيرية Iberia واتجه موسى نفسه إلى الغرب ، وتمكن عبد الأعلى من فتح كل من مدينة مالقة Malaga ومدينة البيرة Elvira ، ولا يستبعد أن يكون ذلك بمساعدة أخيه عبد العزيز<sup>(١)</sup> ، بعد ذلك توجه الأخير إلى المنطقة الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة الأيبيرية ، إذ التقى قرب مدينة أوريولة Orihuela<sup>(٢)</sup> - الواقعة على النهر الأبيض الممتد إلى جبل شقورة<sup>(٣)</sup> - بالدوق تدمير Thwodemir حاكم هذه المقاطعة ، وقد قاوم تدمير هجوم المسلمين لبعض الوقت ، ولكنه توصل بعد ذلك إلى عقد معاهدة صلح معهم في رجب سنة ٩٤هـ/ نيسان ٧١٢م عاد بعدها إلى إشبيلية بعد استقرت الأمور في المنطقة الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة الأيبيرية<sup>(٤)</sup>.

وعليه فالراجح أن مدينة شقورة فتحت من قبل عبد العزيز بن موسى بن نصير عند فتحه كورة تدمير سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م.

أما بالنسبة للاستقرار الإسلامي فيها ، فإن شقورة كانت تقع على طرقي جيان وتدمير في الشرق فلعلها خضعت أول الأمر إلى معاهدة الصلح التي عقدها عبد العزيز بن موسى مع تدمير حاكم المنطقة المسماة باسمه والتي أقر فيها المسلمون سكان البلاد

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٠١/١ ؛ اللوحة البدرية، ص ١٦ ؛ المقري، نضح الطيب، ٢٧٥/١ .

(٢) وهي مدينة بشرقي الأندلس من ناحية تدمير، ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٨ .

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٧/٢ .

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٢ - ١٣ .

الأصليين على أرضهم وممتلكاتهم<sup>(١)</sup> ، ولكن مع ازدياد عدد الفاتحين المسلمين ثم المهاجرين إليها اضطر عدد من الولاة إلى إسكانهم المنطقة ، ومن ذلك إجراءات الوالي أبو الخطار<sup>(٢)</sup> الذي أنزل العديد من الشاميين في كورتي جيان وتدمير<sup>(٣)</sup>.

تأتي قبيلة غافق<sup>(٤)</sup> في مقدمة القبائل التي سكنت في مدينة شقورة ، فذكر المقري أن أغلب جهات شقورة ينتسبون إلى غافق<sup>(٥)</sup> ، وهي من القبائل اليمانية التي اشتركت بأعداد كبيرة في فتح الشمال الإفريقي ثم الأندلس حيث عبر قسم منهم مع موسى بن نصير وتفرقوا في مناطق عدة من بلاد الأندلس<sup>(٦)</sup> ، وكان منهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي<sup>(٧)</sup> والي الأندلس (١١٢-١١٤هـ/٧٣٠-

---

(١) ينظر عن معاهدة عبد العزيز وتدير: العذري، ترصيع الأخبار، ص٤- ٥ ؛

الحميري، الروض المعطار، ص١٣٢ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص١٧٩- ١٨٠ .

(٢) هو أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ولي الأندلس بعد قتل عبد الملك بن قطن ومبايعة أهلها ثعلبة بن سلامة، وكانت توليته من قبل والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م وعزل سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م، ثم قتل في الحرب التي جرت بين القيسية واليمانية في موقعة شقندة سنة ١٣٠هـ. /٧٤٧م، ينظر ترجمته: الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٧٨، ١٧٧ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١/٦٦٦.

(٣) طه، الفتح والاستقرار، ص١٨٥ .

(٤) نسبة إلى غافق بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأزد بن الغوث، ينظر: ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ٢/٣٧٣ .

(٥) نفع الطيب، ١/٢٩٤ .

(٦) ينظر عن منازل غافق في الأندلس: طه، الفتح والاستقرار، ص١٩٢- ١٩٥ .

(٧) عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي العكي، ولي الأندلس من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب إفريقية، وهو من التابعين روى عن عبد الله بن عمر، وروى عنه عبد الله بن عياض، استشهد في قتال الروم بالأندلس سنة=

٧٣٢م) ، ومن خلال استعراض تاريخ مدينة شقورة تبين أن عدداً من الغافقين استمروا فيها حتى وقت متأخر قبيل سقوطها بيد النصارى ، كما أن ناحية فرغليط من أعمال شقورة تعد من أهم مناطقهم<sup>(١)</sup> .  
 ونزل بعض أفراد من قبيلة الأزد في مدينة شقورة<sup>(٢)</sup> ، وهم من القبائل اليمنية ، وذكر ابن حزم أن بعضهم سكن شرق قرطبة<sup>(٣)</sup> ، ما يعني انتشارهم شرق الأندلس ، ولعل وجودهم في شقورة كانوا ضمن مجموعة الأنصار الذين ينتسبون أيضاً إلى الأزد<sup>(٤)</sup> ، فمن بعض الإشارات في المصادر التي بين أيدينا فإن عدداً من الأنصار سكنوا مدينة شقورة<sup>(٥)</sup> ، وهم من القبائل اليمنية (الأوس والخزرج من الأزد) التي سكنت مدينة يثرب قبل الإسلام وعندما دخلوا في الإسلام وهاجر إليهم الرسول ﷺ أطلق عليهم اسم الأنصار<sup>(٦)</sup> .

---

= ١١٤هـ / ٧٣٢م ، وكان رجلاً صالحاً جميل السيرة في ولايته ، كثير الغزو ، عدل القسمة في الغنائم ، ذكر أنه غزا إفرنجه ، فغنم غنائم كثيرة ، وظهر بهم ، وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزبرجد ، فأمر بها فكسرت ، ثم أخرج الخمس وقسم سائر ذلك في المسلمين الذين كانوا معه ، فبلغ ذلك عبدة بن عبد الرحمن القيسي الذي هو من قبله فغضب غضباً شديداً ، وكتب إليه كتاباً يتواعده فيه ، فكتب إليه عبد الرحمن : إن السموات والأرض لو كانتا رتقا لجعل الرحمن للمتقين منها مخرجاً . ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٢١٠ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٢٤٢ - ٢٤٣ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٨/٢ ؛ المقرئ ، نضح الطيب ، ٢٣٦/١ .

(١) ابن الأبار ، التكملة ، ٣/٧٥ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٢/٢٦٩ .

(٢) ابن الأبار ، التكملة ، ١/٦٦ ؛

(٣) جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٦٦

(٤) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٩ .

(٥) ابن الأبار ، الحلة السیراء ، ٢/٢٩٩ ؛ التكملة ، ٢/٣٣ ؛

(٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/٤٤١ .

ومن القبائل العربية التي سكن عدد من أفرادها مدينة شقورة قبيلة لحم<sup>(١)</sup> ، وكان منهم بشر بن قيس اللخمي أحد القادة الذين وقعوا معاهدة الصلح مع تدمير سنة ٥٩٤هـ/٧١٢م<sup>(٢)</sup> عند فتح شرق الأندلس ، ويبدو أن عدداً من أفراد هذه القبيلة سكنوا المنطقة منذ ذلك الحين ، إذ أشارت بعض المصادر إلى أن عدداً من التجيبين استوطنوا في شقورة<sup>(٣)</sup>.

كما سكن شقورة بعض أفراد من قبيلة تجيب العربية<sup>(٤)</sup> ، وتجب من القبائل العربية المهمة التي ساهمت في فتح الأندلس واستوطنوا في مناطق عدة منها<sup>(٥)</sup> ، ولعل نزول بعض أفرادها في مدينة شقورة يعود إلى أحد قادتهم اشترك في فتح شرق الأندلس وهو سليمان بن قيس التجيبي الذي كان من الموقعين على معاهدة الصلح مع تدمير سنة ٥٩٤هـ/٧١٢م<sup>(٦)</sup> ، إذ أشارت بعض المصادر إلى أن عدداً منهم نزل مدينة شقورة<sup>(٧)</sup>.

- 
- (١) وهم نسبة إلى لحم بن مالك بن عدي بن الحارث بن مرة ابن أدد بن زيد بن يشجب، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٢.
  - (٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥.
  - (٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٧٢/٣٨ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٣٦/٣.
  - (٤) هم بنو تجيب بن اشرس بن شبيب بن السكوت، وتجب أمهم نسبوا إليها، ينظر ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٩.
  - (٥) ينظر عن مناطق انتشار قبيلة تجيب العربية في الأندلس: طه، الفتح والاستقرار، ص ١٩٩ - ٢٠١.
  - (٦) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥.
  - (٧) التكملة، ١٥١/٢، ٢١٣/٢، ٢٣/٤.

ويبدو فيما بعد أن مدينة شقورة عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث الكبيرة التي عانت منها الأندلس في عصر الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٨م) ، ومن ثم عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٨-١٠٣٠م) إذ لم يظهر حسب المصادر التي بين أيدينا-أي دور سياسي وعسكري خلال تلك المدة ، وربما ذلك راجع إلى انضوائها تحت كورة جيان جعلت أحداث الأخيرة تطغى عليها ، فضلاً عن أنه خلال تلك المدة كانت المدينة تعد من المناطق الداخلية في الأندلس وبعيدة عن مناطق الصراع في الثغور مع النصارى ، بالإضافة إلى أن الحكومة في قرطبة خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي كانت قبضتها على الكثير من المناطق قوية لاسيما القريبة من قرطبة.

وفي عهد دويلات الطوائف Taifas, Los (٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣٠-١٠٩١م) خضعت مدينة شقورة في البداية لحكم أسرة مجاهد العامري<sup>(١)</sup> وأبناؤه ، إذ تولى حكم هذه المدينة سراج الدولة بن علي بن مجاهد العامري ، إلا أن الأخير دخل في صراع مع بني هود<sup>(٢)</sup> الذين

---

(١) مجاهد العامري من فتيان المنصور بن أبي عامر وقد استقل بدانية بعد سقوط الدولة العامرية وكان ذا نباهة ورياسة ومحباً للعلم والأدب، تولى سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، الحميدي، جنوة المقتبس، ص ٣٢٠؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٠١/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٥٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٩/٤٣٤-٤٣٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٠٤.

(٢) ترجع هذه الأسرة إلى سليمان بن هود الذي أسس دولة في سرقسطة سنة ٤٣١هـ/١٠٩٣م واستمرت في أعقابه حتى سقوطها بيد المرابطين سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ١٧٠-١٧٦.

انتزعوا عرش أبيه وطلب مساعدة أمير برشلونة Barcelona<sup>(١)</sup> رامون برنجير الأول (الكبير) Ramon Berenguer (٤٢٧-٤٦٩هـ/١٠٤٥-١٠٧٦م)، فاستجاب له بشروط، وأمدّه ببعض قواته، وتمكن فعلاً من استرداد بعض الحصون، ولكن أمير سرقسطة Saragosa<sup>(٢)</sup> المقتدر بن هود (٤٣٨-٤٧٤هـ / ١٠٤٦-١٠٨١م)<sup>(٣)</sup> كان له بالمرصاد، إذ استطاع دسّ من اغتاله بالسّم سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م<sup>(٤)</sup>.

وبعد وفاة سراج الدولة تولى حكم مدينة شقورة إبراهيم وعبد الجبار ابني سهيل<sup>(٥)</sup> أحد عبيد علي بن مجاهد العامري<sup>(٦)</sup>، وقد

---

(١) تقع مدينة برشلونة في الشمال الشرقي من الأندلس على البحر المتوسط وصنفت ضمن إقليم البرتات الذي يضم طرطوشة وطركونة وبرشلونة، وهو أحد الأقاليم الجغرافية التي تتكون منها منطقة الثغر الأعلى الأندلسي، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٣١؛ الدرويش والعلياوي، برشلونة بين الإسلام والنصرانية، ص ١٣-١٦.

(٢) وهي من مدن الثغر الأعلى الأندلس إلى الشرق من قرطبة، وتسمى المدينة البيضاء لكثرة جصها وجيارها، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٨-١٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٧.

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن سليمان بن هود الملقب بالمقتدر، تولى حكم سرقسطة بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م واستمر إلى وفاته سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م، وقبيل وفاته قسم مملكته بين ولديه يوسف المؤتمن والمنذر، وخص الأول سرقسطة وأعمالها والثاني لاردة وطرطوشة ودانية، وجر هذا التقسيم إلى قيام الحرب الأهلية بين الأخوين، ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٦ وما بعدها.

(٤) ابن خلدون، العبر، ١٦٩/٤؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٥١؛ الدرويش والعلياوي، برشلونة بين الإسلام والنصرانية، ص ١٢٩-١٣٠.

(٥) السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٤٧؛ وقد عرف حاكم المدينة عند المراكشي باسم ابن مبارك، ينظر: المعجب، ص ٨٧.

(٦) حكم علي بن مجاهد العامري دانية وبعض مناطق شرق الأندلس من سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م حتى سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م عندما استولى عليها ابن هود، =

تحدث ابن الأبار عن ما حدث في مدينة شقورة بعد وفاة علي بن مجاهد بقوله: ((وكان إقبال الدولة علي بن مجاهد صاحب دانية،...، قد استعمل ابنه سراج الدولة على معقل شقورة، فلما استولى المقتدر على دانية واحتمل أباه إلى سرقسطة، انفرد هو بشقورة وضبطها، ثم مات حتف أنفه وخلف على حرمه وولده في قببتها عبدین، أبوهما عبد لأبيه من سبي سردانية، هما إبراهيم وعبد الجبار ابنا سهيل،...))<sup>(١)</sup>.

كان شرق الأندلس آنذاك محل أطماع العديد من دول الطوائف الخيطة به، وقد أدرك ابنا سهيل أنهما لا يستطيعان الانفراد بحكم شقورة دون الاستناد إلى القوة المجاورة في شرق الأندلس وعلى رأسها بني هود، وقد عبر ابن الأبار عن قلقهما هذا بقوله: ((...، فرأيا أنهما لا يستقلان بضبط المعقل فجعلوا يساومان به الرؤساء المحيطين بهما حتى وصلت إشارتهما إلى المؤمن بن هود...))<sup>(٢)</sup>، إلا أن اضطراب الأوضاع في مرسية قد خلط الأوراق على ابن هود، ذلك أن مدينة مرسية كانت تُحكم من قبل أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر (٤٥٥-٤٧١هـ / ١٠٦٣-١٠٧٨م)<sup>(٣)</sup>، فثارت فتنة في المدينة لم يوفق

---

= ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(١) الرحلة السيرة، ٢/١٤٩.

(٢) الرحلة السيرة، ٢/١٤٩.

(٣) هو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر القيسي من أهل مرسية تغلب عليها مدة ثم نازعه عليها ابن عباد فأخرجه منها فلجأ إلى بلنسية وتوفي بها سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م وكان من أهل العلم والأدب والبلغة والبيان، ينظر: الضبي، بغية الملتبس، ص ٥٠؛ ابن الأبار، الرحلة=

في إخمادها ، لذا طلب أعيان المدينة من أمير إشبيلية المعتمد بن عباد<sup>(١)</sup> تخليصهم والإسراع في فتح المدينة ، وقد شرحوا للمعتمد بن عباد ضعف ابن طاهر وقلّة إمكانياته الدفاعية ، وعلى إثر ذلك جهز المعتمد قوة عسكرية بقيادة وزيره ابن عمار<sup>(٢)</sup> للإسراع في تخليص المدينة ، لذلك عقد الأخير مع الكونت رامون برنجير الأول أمير برشلونة اتفاق تضمن أن يساعده على فتح مرسية مقابل عشرة آلاف مثقال من الذهب تدفع إليه ، ولضمان هذا الاتفاق قدم كل منهما رهينة إلى الآخر ، إذ قدم المعتمد بن عباد ولده الرشيد<sup>(٣)</sup> ،

---

=السيراء، ١١٦/٢ - ١٢٧ ؛ التكملة، ٤٧/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق، ٢، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(١) يرجع أصل أسرته إلى المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة، ودخل جدهم عطاف بن نعيم مع طالعة بلج بن بشر القشيري، وكان كبير أسرته أيام الفتنة التي تلت سقوط الخلافة إسماعيل بن عباد الذي تمكن من السيطرة على مدينة إشبيلية وضبط أمورها وورث أولاده الحكم من بعده، فحكم المعتمد بن عباد من سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م حتى دخول المرابطين إليها واعتقاله سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، وكانت وفاته ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٥٢/٢ - ٦٨ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق، ٢، ص ١٥٤ - ١٦٢.

(٢) هو أبو بكر بن عمار بن حسين المهري من شلب، كان واحداً من كبار شعراء الأندلس طاف على أمراء الطوائف ثم اختص بالمعتمد بن عباد الذي استوزره ثم تقلبت به الأحوال فغضب عليه وقتله سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م أو سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م، ابن بسام، الذخيرة، ٢/٢٧٨ - ٣٢٦ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٣١/٢ - ١٦٥ ؛ المراكشي، المعجب، ص ٨٥ - ٩٧.

(٣) عبید الله الرشيد بن محمد بن عباد المعتمد ولده أبوه عهد كما قلده قضاء إشبيلية، وكان دمثاً رقيق حاشية الطبع، له أدب وشعر، وعندما سقطت دولة بني عباد نقل الرشيد إلى المغرب في قلعة مهدي وتوفي هناك في حدود سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م، ابن الأبار، الحلة السيراء، ٦٨/٢ ؛ المقرئ، نضح=

وقدم أمير برشلونة ابن أخيه<sup>(١)</sup>.

بعدها تقدمت القوات المتحالفة والمكونة من قوات المعتمد بن عباد وقوات أمير برشلونة ، وتمكنت من محاصرة مدينة مرسية ، وبسبب تأخر المعتمد بن عباد في أداء المال الذي عليه إلى أمير برشلونة جعل الأخير يشكك في أن ابن عباد قد غدر به ، فقام بالقبض على ابن عمار والرشيد بن المعتمد ، وارتد بقواته عن مدينة مرسية ، وعندما علم ابن عباد بذلك ، وكان موجوداً في ذلك الوقت على رأس قواته على ضفاف نهر الوادي الكبير على مقربة من مدينة شقورة ، بادر بأداء المال ، ومن أجل بيان حسن نيته ، فقد بعث إليه ابن أخيه الرهينة في الاتفاق الذي جرى بينهما سابقاً ، وفي مقابل ذلك أفرج كونت برشلونة عن الرشيد وابن عمار ، وأخفقت حملة المعتمد في فتح مرسية<sup>(٢)</sup>.

بعد ذلك حصل خلاف بين المعتمد بن عباد ووزيره ابن عمار ، الأمر الذي دعا الأخير أن يلتجأ إلى سرقسطة عند أميرها المقتدر بن هود الذي استخدمه في بلاطه ، وبعد وفاة المقتدر سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م

=الطيب، ٢٧١/٤ - ٢٧٢.

(١) المراكشي، المعجب، ص ٨٥ - ٨٦ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١١٩/٢ - ١٢١ ؛ التواتي، مأساة انهيار الوجود العربي، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ؛ دوزي، ملوك الطوائف، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ الدرويش والعلياوي، برشلونة بين الإسلام والنصرانية، ص ١٣٠ - ١٣٣

(٢) المراكشي، المعجب، ص ٨٦ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٢١/٢ وما بعدها ؛ عنان، دول الطوائف، ٦٤ - ٦٥ ؛ أدهم، المعتمد بن عباد، ص ١٥٣ - ١٥٤ ؛ الدرويش والعلياوي، برشلونة بين الإسلام والنصرانية، ص ١٣٢.

انحاز ابن عمار إلى خدمة المؤتمن بن هود<sup>(١)</sup> (أمير سرقسطة وغربي الإمارة)(٤٧٣-٤٧٧هـ/١٠٨٠-١٠٨٤م) وتسلم زمام الوزارة ، وهناك بدأت أطماعه في السيطرة والإمارة أثناء تواجده في سرقسطة في خدمة أميرها المؤتمن ، فسولت له نفسه التوجه إلى مدينة شقورة ، وهناك عدة روايات حول الأسباب التي دعتة الالتجاء إلى شقورة ، فرواية ابن بلقين تضمنت أنه ((كانت شقورة قد أخلها المعتمد ، وبنى صاحبها- بد من عبيد سراج الدولة- أن يضعها في يديه ، فلما صار ابن عمار إلى سرقسطة ، نهض إلى العبد المذكور ، عساه يرجع إلى طاعة ابن هود ، فثقفه وأرسل به إلى المعتمد ...))<sup>(٢)</sup> ، وحسب هذه الرواية ، إن الذي كان يحكم مدينة شقورة هم أحد عبيد علي بن مجاهد العامري ، هم إبراهيم وعبد الجبار ابني سهيل -الذين سبق ذكرهم- وأنهم متقلبي الأهواء بين ابن عباد وابن هود ، وأن مجيء ابن عمار إليهم من أجل كسبهم إلى جانب ابن هود.

أما رواية المراكشي فأشار إلى أن الذي كان على مدينة شقورة شخص يدعى ابن مبارك ، ولخصت التجاء ابن عمار إليها بالقول: ((ولم تزل البلاد تتقاذفه ، وملوكها تشنأه ، إلى أن وقع في حصن من حصون الأندلس في غاية المنعة يدعى شقورة ، كان المتغلب عليه رجل يقال له: ابن مبارك ، فأكرم وفادته وأحسن نزله ، ثم بدا

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٧١- ١٧٢ ؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص٧٤.  
(٢) التبيين، ص٨١.

له بعد أيام فقبض عليه وقيده وجعله في سجنه...))<sup>(١)</sup> ، وحسب هذه هذه الرواية فإن ابن عمار كان يبحث عن ملجأ يجتمي به.

وتحدث ابن سعيد عن تفاصيل أخرى لم ترد في الروايات السابقة ، تضمنت أن ابن عمار ذهب إلى مدينة شقورة من أجل السيطرة على حصنها ، وليس الاحتماء بها وبدافع من المؤتمن بن هود ، كما أن الشخص الذي كان على مدينة شقورة حسب هذه الرواية يعرف بعناد الدولة ، ونص الرواية أنه(أي ابن عمار)...))<sup>(٢)</sup> ، عدلَ إلى المؤتمن بن هود ، ورغبه في أن يوجه معه جيشاً ليأخذ له شقورة من يد عتاد الدولة ، فخذعه عتاد الدولة حتى حصل في سجنه...))<sup>(٣)</sup>.

أما رواية ابن الخطيب ، فيبدو أنها الأقرب إلى رواية ابن سعيد ، وهي كالآتي: ((وبقي ابن عمار عند المؤتمن بن هود على شأنه عند المعتمد من سلطانه ، إلى أن أغراه بحصن شقورة ، ووعد من نفسه بفتحه ، وتوجه إليه ، فلما نزل بساحته كاده صاحب الحصن ، وسهل عليه الأمر ، وجعل البلد في يده باللسان ، وطلب منه الصعود بنفسه لمباشرة قصبته ، فأسرع لذلك في طائفة يسيرة من مماليكه ورجاله ، وقد أعمى عينه الحرص والغرور ، وتهوره المشهور ، فلما تحصل في قسبة صاحب الحصن ، وثب به وأكبله وأودعه المطبق))<sup>(٣)</sup>.

وبخصوص الاختلاف في اسم من كان يتولى شقورة إثناء لجوء

(١) المعجب، ص ٨٧.

(٢) المغرب في حلى المغرب، ١/٣٩٠.

(٣) أعمال الأعلام، ق ٢، ص ١٦٠.

ابن عمار إليها ، فرواية ابن سعيد هي الراجحة ، إذ قال إنه يدعى عتاد الدولة أبو محمد عبد الله بن سهيل وهو الذي ملك شقورة في عهد الطوائف وحصل عنده ابن عمار أسيراً<sup>(١)</sup>.

وبعد أن تمكن حاكم مدينة شقورة من إلقاء القبض على ابن عمار ووضعه في السجن ، طلب أمير إشبيلية المعتمد بن عباد منه بضرورة تسليم ابن عمار إليه كونه تمرد عليه وخرج عن سلطته<sup>(٢)</sup> ، هذا الأمر جعل ابن عمار بعد سماعه نبأ هذا الخبر أن يطلب من حاكم مدينة شقورة بأن يعرضه على أمراء الطوائف بدلاً من تسليمه إلى المعتمد بن عباد ، إذ كان يعتقد أن أمراء الطوائف سيرحبون به كونه من الشعراء المعروفين آنذاك ، وقد تحدث المراكشي عن ذلك بالقول: ((... ، فلما رأى ابن عمار ذلك منه قال له: لا عليك أن تكتب إلى ملوك الأندلس بكوني عندك وتعرضني عليهم ، فما منهم إلا من يرغب فيّ ، فمن كان أشدهم رغبة جعل لك مالاً ووجهت بي إليه ففعل ابن مبارك ذلك ، فما عرضه على أحد من ملوك الأندلس إلاّ رغب فيه ،...))<sup>(٣)</sup>.

وفي ذلك أنشد ابن عمار قائلاً:

أصبحتُ في السوق يُنادى على

رأسي بأنواع من المالِ

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ٦٥/٢.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٦٠ - ١٦١.

(٣) المعجب، ص٨٧.

تالله لا جار على مائه

من ضمنني بالثمن الغالي<sup>(١)</sup>

كما أنه قام بهجاء مدينة شقورة بقوله:

بؤسى شقورة عندي

أرى على كل بوسى

فقدت هارون<sup>(٢)</sup> فيها

فطلت أطلب موسى<sup>(٣)</sup>

ويبدو أن حاكم شقورة قد خضع إلى ضغوط من قبل المعتمد ابن عباد بضرورة تسليم ابن عمار إليه ، ولعله خشي أن يأخذه منه بالقوة إن لم يسلمه طوعاً لاسيما وأن نفوذ المعتمد قد اتسع في هذا الوقت ، وقد وصفه ابن الأثير بقوله: ((... ، فاتسع ملكه ، وشمخ سلطانه ، وملك كثيراً من الأندلس ، وملك قرطبة أيضاً...))<sup>(٤)</sup> ، فضلاً عن ذلك أن أحداً من أمراء الطوائف لم يجرأ على إجارة ابن عمار ربما لخشيتهم من الدخول في مواجهة مع المعتمد بن عباد ، كما أن حاكم شقورة ربما ينظر لنفسه الحلقة الأضعف بين أمراء الطوائف ، وقد عبّر ابن الأبار عن هذه الخشية على لسان

---

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١/٣٩٠؛ ينظر أيضاً: المراكشي، المعجب، ص ٨٨ ببعض اختلاف اللفظ.

(٢) يُعتقد أنه أخوه، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ٨٨ هامش (٢).

(٣) المراكشي، المعجب، ص ٨٨.

(٤) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٧٣.

حاكماها ابني سهيل بقوله ((... ، فأيا أنهما لا يستقلان بضبط المعقل فجعلنا يساومان الرؤساء المحيطين بهما...))<sup>(١)</sup> ، بالإضافة إلى ذلك كله فإن ابن الابار يضيف سبب آخر في تسليم حاكم شقورة ابن عمار للمعتمد بن عباد وهو أن ابن عمار عندما كان في مرسية كان يحتقر العبدین (ابني سهيل) اللذين كان على شقورة وكتب إليهما بشعر أوله:

(شمخت بكم فشمختم الأجيال)

...<sup>(٢)</sup> تَسْتَنْزِلُ الْإِنْفَعَالَ<sup>(٣)</sup>

ومن هنا جاء القرار بتسليمه إلى المعتمد بن عباد لقاء مبلغ من المال ، وقد أشار ابن الابار إلى ذلك بقوله: ((وبعد قبضهما عليه طلبا بيعه من رؤساء الأندلس فتناقلوا جميعاً عن ذلك وخفّ ابن عباد إليه فأنفذ نحوهما بكل ما سألاه...))<sup>(٤)</sup>.

وقد تحدث المراكشي عن تفاصيل تسليمه بالقول: ((وبعث المعتمد على الله من رجاله من تسلّم ابن عمار من يد ابن مبارك ، بعد أن بعث إليه بمال وخيل ، وأمر المعتمد الذين تسلّموا ابن عمار أن يزيدوا في الاحتياط عليه وتقييده ، فخرجوا به حتى وافوا قرطبة ، ووافق ذلك كون المعتمد بها ، فدخلها ابن عمار أشنع

(١) الرحلة السيرة، ١٤٩/٢ .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) الرحلة السيرة، ١٥٠/٢ .

(٤) الرحلة السيرة، ١٥٠/٢ .

دخول وأسوأه ، على بغل بين عدلي تبين ، وقيوده ظاهرة للناس ، وقد كان المعتمد أمر بإخراج الناس خاصة وعامة حتى ينظروا إليه على تلك الحال ، وقد كان قبل هذا إذا دخل قرطبة اهتزت له وخرج إليه وجوه أهلها وأعيانهم ورؤسائهم ، فالسعيد منهم من يصل إلى تقبيل يده أو يرد عليه ابن عمار السلام ، وغيرهم لا يصل إلا إلى تقبيل ركبته أو طرف ثوبه ، ومنهم من ينظر إليه على بعد لا يستطيع الوصول إليه ، فسبحان مُحيل الأحوال ومُدبِل الدول))<sup>(١)</sup> ، بعد ذلك سُجن ابن عمار ، ومن ثم قتله المعتمد بن عباد داخل سجنه سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن مدينة شقورة أصبحت فيما بعد ضمن أملاك دولة بني عباد ، إذ امتدت حدود دولتهم في الشرق حتى نهر شقورة ومدينة لورقة Lorca<sup>(٣)</sup> القريبة من مرسية<sup>(٤)</sup>.

وعلى أثر هزيمة النصارى في معركة الزلاقة Sagrajas<sup>(٥)</sup> سنة

---

(١) المعجب، ص ٨٨ ؛ وينظر أيضاً: ابن الأبار، الحلة السبراء، ٢/١١٥٠ - ١٥١.  
(٢) المراكشي، المعجب، ص ٨٩ - ٩١ ؛ ابن الأبار، الحلة السبراء، ٢/١٥٩ - ١٦٠.  
(٣) تقع مدينة لورقة في شرق الأندلس بكورة تدمير، شمالي مدينة المرية، ينظر: ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٢ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٢.

(٤) ابن خاقان، قلائد العقيان، ص ٩ ؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٧١.  
(٥) ينظر التفاصيل عن معركة الزلاقة: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣ - ٢ - ٣٠٨ ؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٩٢٥ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧/١١٦ - ١١٧ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ١٤٥ - ١٤٩ ؛ الذهبي، سير، ١١/٤٤٥ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٤٥٥ - ٤٥٨ ؛ المقرئ، نضج الطيب، ١/٤٣٩.

٤٧٩هـ/١٠٨٦م وكرد فعل من قبل النصارى تجاه دويلات الطوائف فأخذوا يشنون الغارات على مدن شرق الأندلس ما حدا بالأندلسيين إلى الاستنجاد وطلب المساعدة من المرابطين Almoravides, Los<sup>(١)</sup> في صد هجمات النصارى ، فقد شرح المعتمد بن عباد لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين<sup>(٢)</sup> ما تعرض له المسلمون في منطقتي لورقة ومرسية وغيرها من مدن الشرق من غارات النصارى ، فوافق الأخير ولبى الدعوة<sup>(٣)</sup>.

عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس ، وهو العبور الثاني سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م ، وسار باتجاه مدينة لورقة ، وعندها تلاحقت به قوات المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ، والمعتصم بن صمادح<sup>(٤)</sup> صاحب

---

(١) يرجع تأسيس الدولة المرابطية إلى قبيلة لمتونة، إحدى بطون صنهاجة من البرانس، وقد قامت الدعوة المرابطية سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م على أساس العقيدة الدينية الإسلامية على يد عبد الله بن ياسين الجزولي، وقد تزعمت قبيلة لمتونة الجهاد لهذه الدعوة في بلاد المغرب أولاً ثم الأندلس بعد ذلك، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٩١ - ٣١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٧/٤ - ١١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٢٢ - ١٢٧.

(٢) هو أمير المرابطين ومؤسس دولتهم التي وطد أركانها، وكان له دور كبير في فتح بعض مناطق المغرب ومن ثم الأندلس إذ عبر إليها بجيش كبير بعد استنجاد الأندلسيين به وتمكن من إلحاق هزيمة كبيرة بقوات مملكة قشتالة بقيادة الفونسو السادس في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، بعدها قام بتوحيد الأندلس تحت حكمه، وتوفي سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٦٨/٣ - ٤٧٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٣٦ - ١٥٦.

(٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٥٢؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ٦٧.

(٤) حكم المرية سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م، وقد دخل نفسه في الفتن والمواجهات العسكرية مع أمراء الطوائف، ولكنه تمكن من المحافظة على ملكة حتى =

المرية Almeria<sup>(١)</sup> ، وتميم بن بلقين<sup>(٢)</sup> صاحب مالقة<sup>(٣)</sup> وأخوه عبد الله<sup>(٤)</sup> صاحب غرناطة Granada<sup>(٥)</sup> ، وابن رشيق<sup>(٦)</sup> صاحب مرسية ،

=وفاته قبيل دخول المرابطين المرية سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م، ينظر: المراكشي، المعجب، ص٥٦، ٩٦- ٩٧؛ ابن الأبار، الحلة السرياء، ٧٨/٢- ٩٠؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٩٥/٢- ٢٠٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٩٠- ١٩١.

(١) وهي إحدى مدن كورة البيرة بناها الخليفة الناصر لدين الله سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٤- ١٥؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٦٧- ٢٧٠.

(٢) هو تميم بن بلقين بن باديس بم حبوس الصنهاجي وولاه جده باديس مالقة وكان سيء السيرة في الرعية مبدراً، وبقي في مالقة حتى اعتقاله علي يد المرابطين ونفوه إلى السوس ثم عفا عنه أمير المرابطين فسكن مراكش وتوفي بها سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢١٤.

(٣) مدينة أندلسية من أعمال كورة رية على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٥؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٥٥.

(٤) هو عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس الصنهاجي تولى مدينة غرناطة سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م واستمر حتى دخول المرابطين إليها سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٠٨/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦١/٣ وما بعدها.

(٥) مدينة أندلسية قديمة تبعد عن البيرة ستة أميال، وتعرف بمدينة اليهود، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٤؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١٧٤؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٧.

(٦) عبد الرحمن بن رشيق أحد الطامعين في شرق الأندلس استطاع التغلب على مرسية بمساعدة النصارى، وناصر المعتمد بن عباد العداء إلا أن الأخير تمكن من إلقاء القبض عليه وسجنه في مدينة ثورقة سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م، ينظر: ابن الأبار، الحلة السرياء، ١٤٠/٢، ١٤٢، ١٤٦، ١٧٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٥٧.

كذلك وافاه قوات رؤساء من مدن شقورة وبسطة Baza<sup>(١)</sup> وجيان وغيرها<sup>(٢)</sup> ، ولعل مشاركة أهالي شقورة كانت كبيرة في هذه الحملة لأن تجمع الجيوش كان على مقربة منها.

كان النصارى قد تحصنوا في منطقة حصن البيط Aledo الواقع بين مدينتي لورقة ومرسية ، وهو من أعمال لورقة ويبعد عنها اثني عشر ميلاً<sup>(٣)</sup> ، وهذا يعني أنه أقرب إلى شقورة<sup>(٤)</sup> ، إلا أن القوات لم تستطع اقتحام الحصن ، إذ كان في منتهى المناعة والحصانة ، وبعد حصار دام أربعة أشهر ، والنصارى يدافعون عنه ، قرر يوسف ابن تاشفين الانسحاب لاسيما بعد أن علم أن ملك قشتالة الفونسو السادس (٤٥٨-٥٠٢هـ/١٠٦٥-١١٠٨م) توجه نحوهم بقوة كبيرة لمساعدة النصارى المحاصرين في الحصن ، وقد ترك قوة في شرق الأندلس بقيادة ولده الأمير محمد بن عائشة<sup>(٥)</sup> ، كذلك أدرك الفونسو

---

(١) مدينة أندلسية تقع بالقرب من مدينة وادي آش، وتبعد عن جيان ثلاثة مراحل، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١١٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٢١/٥.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٧٥/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٢/٤؛ مؤلف مجهول، التحلل الموشية، ص ٦٨-٦٩؛ عنان، دول الطوائف، ص ٣٢٤؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ٩٦/١.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٨٦/٢، ١٧٥.

(٤) ينظر الخارطة.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين، عرف بابن عائشة أمه، وكان من كبار قادة المرابطين عينه أبوه على شرق الأندلس واشترك في معركتي أقليش سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧ م ویرشلونة سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م، ثم اعتل بصره وعين مكانه أخوه إبراهيم بن يوسف، ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١٠١ هامش (٤).

السادس أنه لا فائدة من الاحتفاظ بحصن البيط فقرر إخلاءه بعد أن قوض أسواره وعاد أدراجه سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م<sup>(١)</sup> ، وبذلك ابتعد خطر النصارى المباشر عن مدينة شقورة.

وفي سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م دخل المرابطون مدينة قرطبة<sup>(٢)</sup> ، ثم توالى مدن الشرق الأندلسي تدخل تحت نفوذهم ومنها مدينة شقورة التي خضعت لحكمهم سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، وقد أشار ابن أبي زرع إلى ذلك بقوله: ((وفي سنة خمس وثمانين أمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائده ابن عائشة أن يسير إلى دانية<sup>(٣)</sup> ، فسار إليها وملكها وملك شاطبة<sup>(٤)</sup> ،... ثم سار قائده ابن عائشة إلى مدينة شقورة فملكها...))<sup>(٥)</sup> .  
وفي نهاية عهد المرابطين ومستهل عهد الموحيدين Almohades<sup>(٦)</sup>

- 
- ١) ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، ص ١٥٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٤٧ ؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ٩٦/١ .
  - ٢) ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، ص ١٥٤ .
  - ٣) وهي من مدن شرق الأندلس الواقعة على البحر المتوسط، لها ريبض وسور حصين، وبها دار لإنشاء السفن، ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٩ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .
  - ٤) وهي مدين أندلسية من أعمال بلنسية، تبعد عن دانية خمسة وعشرون ميلاً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٦/٢ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٦ .
  - ٥) الأنييس المطرب، ص ١٥٦ ؛ وينظر: عنان، دول الطوائف، ص ٣٣٨، ٣٥٤ .
  - ٦) قامت دولة الموحيدين على إثر حركة دينية ظهرت في بلاد المغرب تزعمها محمد بن عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدي الذي ينتمي إلى قبيلة مصمودة البربرية، سعى الموحدون إلى إنهاء حكم المرابطين في المغرب والأندلس، وفعلاً تمكنوا من ذلك إذ دخلوا عاصمتهم مراكش سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م، وأحكموا سيطرتهم عليها، وبعدها تم عبورهم إلى الأندلس، لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكمال في التاريخ، ص ٣٢٠ وما بعدها ؛ المراكشي، المعجب، ص ١٤٣ - ١٤٩ ؛ ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، ص ١٧٢ وما بعدها .

تمكن محمد بن سعد بن مردنيش<sup>(١)</sup> من السيطرة على منطقة الشرق الأندلسي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م<sup>(٢)</sup> ، وقد أرسل ابن مردنيش قائده إبراهيم بن همشك<sup>(٣)</sup> إلى مدينة شقورة من أجل السيطرة عليها من واليها ابن سوار ، ولم تشر المصادر المتوفرة إلى هوية ابن سوار وهل هو من المتغلبين على شقورة أم من أتباع المرابطين ، ولعل ابن

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش، وذكر ابن الأبار أن ابن مردنيش جذامي، وأشار ابن حزم إلى أن بعض بطون جذام سكنت الأندلس، وينفي فرانشيسكو كوديرا نسبه العربي ويرجح أنه يعود إلى الجالية البيزنطية التي كانت في الأندلس قبل الفتح، وقد تمكن من بسط نفوذه على شرق الأندلس وحاول الوصول إلى غرناطة إلا إنه اصطدم بالموحدين الذين هزموه عدة مرات، فلما أحسَّ في نفسه الضعف صالح خليفة الموحدين أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وزوج ابنته صفية إلى يعقوب بن يوسف الموحدي، وزوج ابنته الثانية زائدة إلى يوسف بن عبد المؤمن، وتوفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ١٧٦- ١٧٧ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٣٢ وهامش (١) ص ٢٣٣ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/١٢٢- ١٢٧.

(٢) الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٤ ؛ المراكشي، المعجب، ص ١٤٧ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٣٢.

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك أسلم جده على يد أحد أمراء بني هود، وعندما اضطرت الأحوال في أواخر عهد المرابطين اتصل بأمير شرق الأندلس محمد بن مردنيش وصاهره على ابنته، وقاد الجيوش معه وكان شجاعاً شديداً حاد البأس، وفي سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م دخل غرناطة وهزم الموحدين في معركة مرج الرقاد ومثل بهم، ثم إن علاقته ساءت بابن مردنيش بعد أن طلق ابنته انضم ابن همشك إلى الموحدين نكاية بصره واستمر في ولائه لهم حتى وفاته بعد سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م، ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٤١٢- ٤١٦، ٤١٩، ٤٢٣- ٤٢٥ ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٢/٥٢، ٢٥٥ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١/١٥١- ١٥٢ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٣٦٨.

مردنيش كان يعتبر مدينة شقورة من متعلقات بلنسية Valencia<sup>(١)</sup> ،  
وفعلاً تمكن ابن همشك من دخولها وإخضاعها<sup>(٢)</sup> ، وقد أشار  
المراكشي إلى ذلك بقوله: ((وملك جيان وأعمالها إلى حصن  
شقورة وما والى تلك الثغور ، رجل اسمه عبدالله ، لا أعرف اسم  
أبيه ، هو معروف عندهم بـ ابن همشك ...))<sup>(٣)</sup> ، كما علق بن  
الخطيب على ذلك بقوله: ((... ، ثم تغلب على شقورة ، وتملكها  
فغلظ أمره ، وسأوى محمد بن مردنيش ، وداخله حتى عقد معه  
صهراً على ابنته ، فاتصلت له الرياسة والإمارة ...))<sup>(٤)</sup> .

ويبدو أن مدينة شقورة أصبحت مقراً لحكم ابن همشك  
وسكناه ، ولعل اختياره لها لما أعجبه من حصانتها وسهولة الدفاع  
عنها ، وقد أشار ياقوت إلى ذلك بقوله: ((... ، وبها كانت دار إمارة  
ابن همشك ، أحد ملوك تلك النواحي ...))<sup>(٥)</sup> .

استمر إبراهيم بن همشك يحكم مدينة شقورة سنوات عدة  
بالتعاون مع ابن مردنيش وتحت طاعته إلى ما بعد سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م ،  
وقد أشار الضبي إلى ذلك بقوله: ((... ، وبقي ابن همشك تحت  
طاعة ابن سعد المذكور بشقورة أعواماً جمّة إلى أن قام عليه بعد

---

(١) وهي إحدى قواعد شرق الأندلس المهمة، سهلية كثيرة الخيرات، ينظر: ابن  
غالب، فرحة الأنفس ص١٦؛ ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص٨٥.

(٢) المراكشي، المعجب، ص١٤٨؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٣٦٩، ٣٧٢.

(٣) المعجب، ص١٤٨.

(٤) أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٦٣؛ وينظر أيضاً: الإحاطة، ١/٢٩٨.

(٥) الأندلس من معجم البلدان، ص١٦٣.

عام ستين وخمسائة...))<sup>(١)</sup> ، وكان ذلك سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م ، وهي السنة التي تفكك فيها التحالف بين ابن مردنيش وصهره ابن همشك واستقل الأخير بمناطق نفوذه ، وقد عبر ابن الخطيب عن ذلك بقوله: ((... ، إلى أن فسد ما بينهما ، فتفاتنا وتقاطعا ، وانحاز بما لديه من البلاد والمعقل...))<sup>(٢)</sup> ، ويعزو بعض المؤرخين انهيار التحالف بين ابن مردنيش وابن همشك إلى شأن عائلي ، إذ قام ابن مردنيش بطلاق زوجته ابنة إبراهيم بن همشك وطردها إلى دار أبيها فحاف ابن همشك من غدر ابن مردنيش فخرج عن طاعته<sup>(٣)</sup> ، فضلاً عن الهزائم المتكررة التي لحقت بالمتحالفين على يد الموحدين<sup>(٤)</sup> ، ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن ابن همشك أدرك أن الرياح تسيير في غير صالحهما وأنه بإمكانه الاحتفاظ بمكانته ومناطق نفوذه الحصينة (لاسيما شقورة) بانفتاحه على القوة الجديدة (الموحدين).

وهكذا انضم ابن همشك إلى الدولة الموحدية ودخل في طاعته ، وفي مقابل ذلك استعان ابن مردنيش بجلفائه النصاري للضغط على ابن همشك عسكرياً وتمكن من تحقيق نتائج مهمة إذ استعاد مدينة شقورة من ابن همشك ، وقد أشار ابن أبي صاحب الصلاة إلى أن بن مردنيش ((وطىء أعماله (أي أعمال ابن همشك)

(١) بغية الملتمس، ص ٤٥.

(٢) الإحاطة، ٩٨/١ .

(٣) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٤١٢ - ٤١٦ ؛ ابن الأبار، الحلة

السيراء، ٢/ ٢٦٠ ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٤) الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ١٨٢.

ودوخها ، وتغلب على كثير من معاقله<sup>(١)</sup> ، مما اضطر ابن همشك إلى إلى الاستنجاد بالموحدين<sup>(٢)</sup> ، وقد لبى الأخيرين طلبه ، وباشروا بالتحرك تجاه مدينة قرطبة ، ثم هاجموا مدينة قيجاطة Quesada التابعة لابن مردنيش ففتحوها بعد قتال شديد وتمكنوا من قتل والي المدينة<sup>(٣)</sup> المعين من قبل ابن مردنيش ، ثم واصلوا تقدمهم حتى مدينة مرسية فحاصروها ، وكان ابن همشك دليلهم ، إذ كان يرشدهم إلى نقاط الضعف في قوات ابن مردنيش ، وتمكن الموحدون من دخول مدينة لورقة سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م بعد أن طردوا جند ابن مردنيش والنصارى المتحالفين معه منها<sup>(٤)</sup> ، ثم واصلوا فتح المناطق الأخرى الخاضعة لابن مردنيش مثل حصن اللج<sup>(٥)</sup> ومدينة بسطة<sup>(٦)</sup> ، ويبدو أن قوات الموحدين وابن همشك قد استعادوا أيضاً مدينة شقورة من

- 
- (١) تاريخ المن بالإمامة، ص ٤٢٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/ ٢٦٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١١٠ .
- (٢) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٤٢٤ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/ ٢٦٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١١٠ .
- (٣) لم تشر المصادر إلى اسمه .
- (٤) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١١٢ - ١١٣ .
- (٥) ورد هذا الحصن بعدة تسميات منها حصن اللج والبسيط وفحص اللج، وهو من حصون شرق الأندلس القريب من شقورة، ينظر: ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٠ هامش (٧) ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/ ٢٢٣، ٢٥١ - ٢٥٢ هامش (١) .
- (٦) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١١٢ - ١١٣ .

أيدي ابن مردنيش وذلك لتوسطها بين مرسية ولورقة<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن تراجع ابن مردنيش أدى إلى حدوث العديد من الانشقاقات والتمردات في صفوفه والانضمام إلى الموحدين ، إذ قام أهالي جزيرة شقر Alcira<sup>(٢)</sup> بالثورة ضد قواته ، وانضموا إلى الموحدين<sup>(٣)</sup> ، فأرسل ابن مردنيش قواته وحاصر الجزيرة سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م ولمن أهلها تمكنوا من التصدي لهم<sup>(٤)</sup>.

كما بادر بقية أهالي شرق الأندلس بالطاعة للموحدين ، قد أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله: ((ولم يزل ابن مردنيش في حصار في عقر داره والنكبات تترادف عليه من انقلاب اخوته وأصهاره وتحولهم عن طاعته))<sup>(٥)</sup> ، ولما اشتد الحصار عليه غدا لا يثق بأحد من خاصته وأتباعه فتأثر بذلك واشتد عليه المرض وتوفي سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م<sup>(٦)</sup>.

وبعد وفاته تمكن الخليفة الموحد أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن (٥٥٨-٥٨٠ هـ / ١١٦٢-١١٨٤م) بقواته من استعادة مناطق الأندلس كافة

---

(١) ينظر الخارطة.

(٢) وهي جزيرة بالقرب من مدينة شاطبة تبعد عن بلنسية ثمانية عشر ميلاً، وهي حسنة البقعة كثيرة الأشجار، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٩.

(٣) البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٨٨ ؛ ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٣٣، ٢٦٨.

(٥) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١١٣.

(٦) البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٨٩ ؛ ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٤٣١، ٥٠٦ ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٢/٢٥٠ - ٢٥١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٢١ - ١٢٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٦٢.

ومنها مدينة شقورة ، وهذا ما أشار إليه ابن أبي زرع بقوله ((وفي سنة سبع وستين المذكورة مات محمد بن سعد بن مردنيش صاحب بلاد شرق الأندلس ، فتحرك أمير المؤمنين نحو بلاده ففتحها بأجمعها ، ودان له بلاد شرق الأندلس ورجع إلى إشبيلية))<sup>(١)</sup>.

كما تغيرت طبيعة العلاقة بين بني مردنيش والدولة الموحدية إذ بادر أبناءه وأقاربه بإعلان الطاعة والولاء للموحدين وصاهروا الخليفة الموحدي يوسف بن عبدالمؤمن (٥٥٨-٥٥٨هـ/١١٦٢-١١٨٤م)<sup>(٢)</sup> ، ومن جانبه عمل الخليفة الموحدي على إبقاء سلطانهم في شرق الأندلس والتي أسندت إلى أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش وذلك سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م<sup>(٣)</sup> ما يعني أن مدينة شقورة أصبحت ضمن نفوذهم.

استمر أبو الحجاج يوسف بن مردنيش يحكم مناطق شرق الأندلس -بضمنها شقورة- نيابة عن الموحدين حتى وفاته سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م وخلف ستة من الأولاد قال ابن الخطيب عنهم: كلهم رأسوا وشهروا بالبلاد الشرقية في أخريات دولة الموحدين وهم: أبو الحملات مدافع ، وأبو الظفر غالب ، وأبو الحارث سبع ، وأبو سلطان عزيز ، وأبو ساكن عامر ، وأبو محمد طلحة ، وقد تولوا جميعاً في ظل حكومة الموحدين ، مناصب هامة في مختلف قواعد

(١) الأنييس المطرب، ص ٢١١.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٤٠ - ٢٤١ ؛ الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام ٢/٢٤١؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢ ص ٥٦.

الشرق ، من قيادة وولاية ، واشتهروا في أواخر أيام الدولة الموحدية بالأندلس ، وكانوا مثل أبيهم يعرفون بالرؤساء<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الأثناء كان نصارى برشلونة وأراغون Aragon يتربصون بمناطق شرق الأندلس شجعهم على ذلك انهيار سلطة الموحدين في الأندلس ، فقد أشار ابن الخطيب إلى أنه بعد وفاة المستنصر الموحدي(٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٣م) اضطرب أمر شرق الأندلس وخاض أولاد أبي الحجاج يوسف بن مردنيش في الفتنة مع الخائضين<sup>(٢)</sup> ، وذلك لأن الموحدين انقسموا على أنفسهم وظهر بينهم أكثر من مدعي بالخلافة<sup>(٣)</sup> ، والذي يهمننا هنا أمر شرق الأندلس فقد كان على مرسية عبد الله بن يعقوب المنصور الملقب بالعدل(٦٢١-٦٢٤هـ/١٢٢٤-١٢٢٦م)<sup>(٤)</sup> ، وعلى بنسية ودانية Denia وشاطبة Jativa أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن<sup>(٥)</sup> ، وعندما سمع العدل بوفاة المستنصر ومبايعة عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمخلوع(٦٢٠-٦٢١هـ/١٢٢٣-١٢٢٤م) في مراكش

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٤١ ؛ ينظر أيضاً: عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢ ص ٣٩٤ ؛ جابر، بنو مردنيش ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس، ص١٠٢.

(٢) أعمال الأعلام، ٢/٢٤١.

(٣) ينظر انقسام الموحدين ومبايعتهم أكثر من خليفة بعد وفاة المستنصر: عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢ ص ٣٤٨ - ٣٦١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٦٨ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٤٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٧٠.

رفض العادل بيعته وأعلن نفسه من مرسية خليفة للموحدين ، ما يعني أن شقورة كانت آنذاك كانت تابعة للعادل الموحدية.

إلا أن تطور أوضاع المغرب دفعت العادل الموحدية إلى مغادرة مرسية إلى مراكش وذلك سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م<sup>(١)</sup> ، وهذا يعني انفراد السيد أبي زيد عبد الرحمن صاحب بلنسية بشرق الأندلس وكان يسانده في حكم المنطقة أبي جميل زيان بن مدافع بن مردنيش الذي كان بمثابة الوزير له وقائد جيشه ، وقد أشار إلى ذلك المقري بقوله: ((وكان قائد الأعنة المشار إليه في الدفاع عن بلنسية الأمير زيان بن أبي الحملات ابن أبي الحجاج بن مردنيش))<sup>(٢)</sup> ، إلا أن الأمير الموحدية أبي زيد عبد الرحمن عندما رأى إدبار سلطة الموحدية في الأندلس التجأ إلى النصارى ويقال إنه تنصر<sup>(٣)</sup> تاركاً بلنسية التي استولى عليها وقام بمهمة الدفاع عنها أبو جميل زيان بن مردنيش وكان ذلك سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م<sup>(٤)</sup> ، وقبيل هذا التاريخ كانت مرسية قد شهدت هي الأخرى استيلاء ثائر آخر عليها وهو محمد بن يوسف بن هود الجذامي وذلك سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م<sup>(٥)</sup> ، ما

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدية، ص ٢٧٠.

(٢) نضح الخطيب، ٤/٤٥٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدية، ص ٢٨٩ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٤.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدية، ص ٢٨٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٤٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدية، ص ٢٧٦ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٤٧.

يعني أن مناطق شرق الأندلس قد خرجت من سلطة الموحيدين.  
وكان خروج محمد بن يوسف بن هود من منطقة صخور  
شقورة ، وقد أشار ابن الخطيب إلى ذلك بقوله: ((وكان خروجه من  
مرسية تاسع رجب سنة خمس وعشرين وستمئة ، وظهوره  
بالصخور من جهاته في نفر يسير من الأجناد))<sup>(١)</sup>.

استمر ابن هود يحكم مرسية والمناطق التابعة له بما فيها مدينة  
شقورة ووصل نفوذه إلى جيان وقرطبة<sup>(٢)</sup> حتى وفاته سنة ٦٣٥هـ/  
١٢٣٧م بايع أهل مرسية بعده ابنه أبو بكر بن هود وتلقب بالوائق  
بالله إلا أن عهده لم يدم طويلاً إذ ثار به أهل المدينة وجعلوا مكانه  
أبا بكر عزيز بن عبد الملك بن محمد بن خطاب الذي دعا لنفسه  
وتلقب بضيء الدولة وذلك في محرم من سن ٦٣٦هـ/١٢٣٨م ، إلا أنه  
لم يهنأ بذلك ، إذ هاجمه نصارى برشلونة وأراغون وأوقعوا به  
الهزيمة ، عندها ثار عليه أهل مرسية واستدعوا الأمير أبا جميل زيان  
الذي كان في دانية يراقب الأحداث في مرسية ، فسارع إليها ودخلها  
وقبض على أميرها أبا بكر عزيز وقتله وذلك في رمضان من السنة  
نفسها<sup>(٣)</sup> وبذلك ورث أبو جميل زيان أملاكه ومنها شقورة.

وفي مرسية دعا الأمير أبو جميل زيان للحفصيين ، وبقي فيها  
حوالي سنتين حاول خلالها استرضاء ملك قشتالة فراندة الثالث

---

(١) أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٤٧.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٣٩٢.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٣١٠/٢ ؛ ابن الخطيب، أعلام الأعلام، ق٢،

ص٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٥٦ - ٤٥٧.

(٦١١-٦٥٠هـ/١٢١٤-١٢٥٢م) لعقد سلم معه ، وذلك لأن مرسية كانت ضمن نطاق فتوحاته حسب الاتفاق بين مملكتي قشتالة Castilla وأراغون ، إلا أنه لم يوفق في ذلك بسبب اضطراب أحوال الأندلس وكثرة الشائرين وترص ملوك النصارى بها ، فهاجمها الواثق بالله محمد بن هود وتمكن بمساعدة أهل مرسية من دخولها وأخرج الأمير زيان منها الذي انتقل بأهله إلى لقنت Alicante وذلك سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م وبقي في لقنت حتى سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م ، إذ هاجمها ملك برشلونة وأراغون خايي الأول وتمكن من الاستيلاء عليها ، فخرج الأمير زيان بعدها إلى تونس<sup>(١)</sup> .

وهكذا استولى الملك خايي الأول خلال أعوام قليلة على معظم قواعد شرق الأندلس ولم تبق سوى مرسية التي -كما مرّ بنا- كانت تحت نفوذ محمد بن هود بعد أن طرد منها الأمير أبو جميل زيان سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م ، وحاول ابن هود الاحتفاظ بمرسية ودفع أطماع ملك برشلونة وأراغون خايي الأول Elconquistador I (٦١٠-٦٧٥هـ/١٢١٣-١٢٧٦م) عن طريق التقرب إلى ملك قشتالة إلا أن الأخير لم يلتزم بوعده ، فطلب مساعدة محمد بن نصر بن الأحمر سلطان غرناطة الذي أرسل إليه فرقة من الجند بقيادة صهره أبي محمد بن أشقيلولة<sup>(٢)</sup> وتمكن من ضبط أمورها وخطب بها لابن الأحمر<sup>(٣)</sup> .

(١) ابن خلدون، العبر، ٢١٥/٤ .

(٢) أسرته من مولدي الأندلس ساندت بني الأحمر أول أمرها، وكانوا على مالقة أيام بني الأحمر، ينظر: ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص ١٦٤ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢٥٤/٦ - ٢٥٥ .

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٣٢ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٤٦٢ .

واستمر الواثق بالله بن هود في مرسية بمساعدة ابن الأحمر حتى تمكن النصارى من احتلالها<sup>(١)</sup> ، وكان الذي تولى اقتحام مدينة مرسية خايي الأول ملك أراغون وبرشلونة إذ تفاهم مع ملك قشتالة الفونسو العاشر (٦٥٠-٦٨١هـ / ١٢٥٢-١٢٨٢م) الذي كان مريضاً أن يتولى خايي الأول فتح مرسية ، فجهز حملة قوية سار بها جنوباً وضرب الحصار عليها وضيّقوا عليها وقطعوا عنها الإمدادات ، واستمر الحصار بضعة أشهر ، فلما عجز أميرها الواثق بالله بن هود عن المقاومة اضطر إلى تسليم المدينة ، فدخلها الملك البرشلوني خايي الأول سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م<sup>(٢)</sup> .

وبذلك استولى ملك برشلونة وأراغون خايي الأول على سائر الشرق الأندلسي ومدنه المهمة من بنشكلة Peniscola<sup>(٣)</sup> وقسطلونة Castellon la plana<sup>(٤)</sup> شمالاً ، حتى قرطاجنة Cartagena<sup>(٥)</sup> ولورقة جنوباً ، وذلك في مدة لا تتجاوز الثلاثين عاماً ، وانتهت بذلك سيادة الإسلام في تلك الرقعة الكبيرة من الوطن الأندلسي القديم بعد أكثر من خمسة قرون من الحكم الإسلامي لها<sup>(٦)</sup> ، وبخصوص سقوط مدينة شقورة فإن المصادر التي بين أيدينا لم تشر

(١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٣٢ .

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٤٦٣ .

(٣) وهو حصن بالأندلس بالقرب من طركونة على ضفة البحر المتوسط، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٠٤ .

(٤) مدينة أندلسية بالقرب من بسطة شرق الأندلس، ينظر: القزويني، آثار البلاد، ص ٥٥٣ .

(٥) وهي مدينة أندلسية من أعمال تدمير، ينظر: ياقوت الحموي، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢١٧ .

(٦) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٤٦٤ .

إلى تاريخ ذلك ، إلا إننا نرجح أن ذلك كان بين سنة ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م وهي السنة التي حاصر فيها النصارى مدينة مرسية<sup>(١)</sup> وسنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م وهي السنة التي تنازل فيها ابن الأحمر للنصارى عن مائة وخمس بين مدينة وحصن قيل إن أكثرها كان في شرق الأندلس<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: الحركة الفكرية في مدينة شقورة

دام حكم المسلمين لمدينة شقورة أكثر من خمسة قرون ونصف طُبعت المدينة بطابعها العربي والإسلامي في مختلف مناحي الحياة ، فقد سكنها العديد من القبائل العربية إلى جانب أهلها من الأسيان الذين دخل بعضهم إلى الإسلام فكان منهم المولدين ، ونبغ من هؤلاء جميعاً العديد ممن أسهموا في رُفد الحركة الفكرية في شقورة خاصة والأندلس عامة ، وبرع منهم العديد في مجالات علم القراءات ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والأدب والشعر ، والكلام ، نذكر منهم:

- إبراهيم بن إسماعيل بن أبي عثمان القيسي ، يكنى أبا إسحاق ، هو وأسلافه من أهل شقورة ثم انتقل إلى قرطبة وولي القضاء على بعض المناطق ، اشتهر بالعربية وأدائها ، وله شعر ، توفي سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م<sup>(٣)</sup>.

- أحمد بن أبي الخصال الغافقي من أهل شقورة ومن قرية بها تدعى فرغليط اشتهر بالفقه وتولى الأحكام بقرطبة<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٣٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٦٢.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ١/ ١٣٩.

(٤) ابن الأبار، التكملة، ١/ ٤٠.

- أحمد بن عبد العزيز بن محمد الأزدي ، يكنى أبا العباس ،  
من أهل شقورة وسكن مرسية ، تولى قضاء شاطبة ثم أوربولة ،  
وكانت وفاته سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م<sup>(١)</sup>.

- حكم بن الخلوف المشهور بالعجل ، كان من شعراء شقورة  
في المائة الخامسة للهجرة/الحادي عشر للميلاد ، خدم حاكمها عتاد  
الدولة بن سهل ومدحه ، ولما حصل ابن عمار في الأسر زاره العجل  
وجالسه وأعجب به ، وعندما سلّم عتاد الدولة ابن عمار إلى المعتمد  
ابن عباد فرّ العجل وهجا عتاد الدولة إذ قال:

بَعْتَ ابْنَ عَمَّارٍ بِمَالٍ وَهَلْ

مِثْلُ ابْنِ عَمَّارٍ بِمَالٍ يُبَاعُ

عُمْرِي لَقَدْ تَابَعْتَ فِيهِ النَّزِي

قَدْ جَاءَهُ مِنْ قَبْلِ أَهْلِ الطَّمَاعِ

فَوَطَّنِ النَّفْسَ عَلَى سَنَةِ

يَنْبُو إِذَا تُذَكِّرُ عَنْهَا السَّمَاعُ<sup>(٢)</sup>

- عبد العزيز بن بشير الغافقي ، من أهل فرغليط من عمل  
شقورة ، يكنى أبا الأصبح ، كان محدثاً راوية وله سماع ورواية ، وهو  
من أبناء رأس المائة الهجرية السادسة/الثاني عشر الميلادي ، لأن  
ابنه نصر بن عبد العزيز توفي سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن الأبار، التكملة، ٦٦/١

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٦٨/٢.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٢١٤/٢، ٩١/٣.

عبد الله بن سهل ، يكنى أبا محمد ، ويلقب بعناد الدولة ،  
ملك شقورة في عهد الطوائف ، قال عنه ابن سعيد: ((بطل أديب  
يؤخذ من ماله وأدبه ملكها في مُدَّة ملوك الطوائف وعنده حصل  
الوزير ابن عمار أسيراً ومن شعره قوله:

خُذْ مَا أَتَاكَ مِنَ الزَّمَانِ الْمُدْبِرِ

فَالطَّلِ يُقْنِعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يُمْطَرِ

كَمْ ذَا التَّأْوُهُ طُولَ دَهْرِكَ حَسْرَةً

لَمَّا تَعَدَّكَ الَّذِي لَمْ يُقْدِرِ

لَا تَطْمَحَنَّ لِمَا خُلِقْتَ لِدُونِهِ

لِلْبَدْرِ قَدْرٌ لَمْ يَنْلُهُ الْمُشْتَرِي))<sup>(١)</sup>

- عبدالله بن علي بن عتبة اللواتي ، يكنى أبا محمد ، من أهل  
شقوش من أعمال شقورة ، اشتهر بعلم الحديث وروايته وعلوم  
العربية ، توفي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م<sup>(٢)</sup>.

- عبد الملك بن أحمد بن أبي يداس الصنهاجي من أهل  
جيان سكن شاطبة ثم شقورة ، يكنى أبا مروان ، كان مقرئاً نحوياً  
لغويّاً أديباً ذاكراً للأدب راوية للأخبار والأشعار ذا حظ من قرض  
الشعر ، وخرج من بلده بعد سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م بانقراض دولة المرابطين  
فنزّل شاطبة وتصدر بها لإقراء القرآن وتدرس العربية ، ثم تحول إلى  
شقورة وأقرأ بها وتولى الخطبة بجامعها إلى أن توفي بها<sup>(٣)</sup>.

(١) المغرب في حلى المغرب، ٦٥/٢ - ٦٦ .

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٢٩٤/٢

(٣) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ١٠/١ .

- عبد الملك بن محمد بن أبي الخصال الغافقي من أهل شقورة سكن قرطبة ، يكنى أبا مروان ، محدث له رحلة إلى الحج ، كان حياً سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م ، وتوفي شهيداً في المرية في إحدى المعارك مع النصارى<sup>(١)</sup>.

- عبد الملك بن أبي الخصال مسعود بن فرج بن خلصة الغافقي ، من أهل شقورة ومن قرية من أعمالها تدعى فرغليط ، كان محدثاً وأديباً وكاتباً بليغاً ، له رسالة كتبها إلى الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ/ ١١٠٦-١١٤٢م) عندما انهزم جماعة من الجيش أمام النصارى جاء فيها: ((أما بعد يا فرقة خبثت سرائرها وانتكثت مرائرها وطائفة انتفخ سحرها وغاض على حين مداها بجرها فقد أن للنعم أن تفارقكم وللأقدام أن تطأ مفارقكم))<sup>(٢)</sup> ، عمل كاتباً لدى المرابطين في مراكش وتوفي سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م<sup>(٣)</sup>.

- عتيق بن علي بن عبد الله بن محمد التجيبي من أهل شقورة ، يكنى أبا بكر ، محدث له سماع ورواية<sup>(٤)</sup> ، وهو من أبناء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، لأن ابنه محمد بن عتيق توفي سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م<sup>(٥)</sup>.

- علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان الشقوري الفرغليطي ،

---

(١) ابن الابار، التكملة، ٧٣/٣ ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٣٨/١

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٦٨/٢ .

(٣) ابن الابار، التكملة، ٧٥ /٣

(٤) ابن الابار، التكملة، ٢٣/٤

(٥) ابن الابار، التكملة، ١٥١/٢ .

من أهل فرغليط من أعمال شقورة ، فقيه حافظ ، له رحلة إلى بغداد وخراسان ونيسابور ثم إلى دمشق وحدث بها ، ودرس بحماة وحلب وتوفي بها سنة ١١٤٩هـ/١١٤٩م<sup>(١)</sup>.

- محمد بن عبد العزيز بن علي بن عيسى بن سعيد بن مختار الغافقي الشقورى هو أسلافه من أهل شقورة ، اشتهر بعلم الحديث وروايته فضلاً عن معرفته بالأخبار والعربية ، وكان صاحب زهد وفضل ونباهة ، ولي قضاء شقورة فكان عادلاً في أحكامه ، توفي سنة ١١٨٣هـ/١١٨٣م<sup>(٢)</sup>.

- محمد بن عتيق بن علي بن عبد الله بن محمد التجيبي ، يكنى أبا عبد الله ، من أهل شقورة ثم سكن غرناطة ، كان له اهتمام بالحديث والأدب ، وولي القضاء ، وله مصنفات عدة منها: كتاب أنوار الصباح في الجمع بين الستة الصحاح ، وكتاب الأنوار ونفحات الأزهار في شمائل النبي المختار ، وكتاب المسالك النورية في إلى المقامات الصوفية ، وكتاب منهاج العمل في صناعة الجدل ، وكتاب الدرر المكلفة في الفرق بين الحروف المشكلة ، كانت وفاته سنة ١١٦٧هـ/١١٦٧م<sup>(٣)</sup>.

- محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد ابن أبي الخصال الغافقي ، يكنى أبا عبد الله ، أصله من فرغليط من شقورة ، قال ابن الخطيب: كان من أهل المعارف الجمّة ، والإتقان لصناعة الحديث ، والمعرفة برجاله ، والتقييد لغريبه ، وإتقان ضبطه ،

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤١/٥١٥ - ٥١٦ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٢/٥٤ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٠/٢٩٥.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٢/١٥١.

والمعرفة بالعربية واللغة والأدب ، والنسب والتاريخ ، وأما الكتابة والنظم ، فهو إمامهما المتفق عليه ، والمتحاكم فيهما إليه ، وتوفي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م<sup>(١)</sup>.

- نصر بن إدريس التجيبي ، من أهل شقورة ، يكنى أبا عمرو ، اهتم بعلم الحديث والفقه ، وكان شيخاً صالحاً حافظاً للأخبار والتواريخ ، توفي بشقورة سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م<sup>(٢)</sup> ، وذكر ابن الخطيب أن له كتاب تاريخ شقورة<sup>(٣)</sup> ، لم نعره عليه في المصادر التي بين أيدينا .

- نصر بن عبدالله بن عبد العزيز بن بشير الغافقي الفرغليطي ، من أهل فرغليط من عمل شقورة ، محدث له رواية وسماع ، ومقريء ، توفي سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م<sup>(٤)</sup>.

- نصر بن علي بن عيسى بن سعيد بن مختار الغافقي ، من أهل شقورة ، يكنى أبا عمرو ، اهتم بعلم الحديث وله رواية وسماع ، ولي قضاء شقورة ، كان حياً سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م<sup>(٥)</sup>.

- يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهري ، من أهل فرتش من أحواز شقورة ، يكنى أبا بكر ، كان شاعر الأندلس في وقته ، قال ابن الأبار: كان يمدح الأمراء والرؤساء وربما كتب لبعضهم ولم يكن أحد يجري مجراه من فحول الشعراء في وقته

---

(١) الإحاطة، ٢/٢٦٩ - ٢٨٨.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٨/٣٢١.

(٣) الإحاطة، ٦/١.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٥/٢٩٩.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ٢/٢١٣.

يعترف له بذلك الأكابر من أهل الأدب ويشهد له بقوة عارضته  
وسلاسة طبعه قصائده التي سارت أمثالاً وبعدت على قريها منالاً  
وشعره مدون متداول ، ومن جيده المحفوظ:

إِن الشدائد قد تغشى الكَرِيم لِأَن

تبين فضل سجاياه وتوضحه

كمبرد الثقين إذ يعلو الحديد به

وكليس يأكله إلا ليصلحه

ومنه:

لا تغبط المجدب في علمه

وإن رأيت الخصب في حاله

إن النزي ضيع من نفسه

فوق النزي ثم من ماله

وتوفي بمراكش سنة ١١٩٢/٥٥٨٨م<sup>(١)</sup>.

## الغائمة

حكم المسلمون مدينة شقورة أكثر من خمسة قرون ونصف (٩٤-٦٦٥هـ/٧١٢-١٢٦٦م) فتحها المسلمون من قبل القائد عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي وقع مع قائد المنطقة معاهدة تدمير ، وعموجبها جرت تسوية الأوضاع فيها ، ثم نزلها الفاتحون المسلمون وكانت قبيلة غافق العربية في مقدمة تلك القبائل التي نزلت فيها ، ومن الناحية الطبيعية تميزت المنطقة بخصوبة أرضها ووفرة مياهها ما جعلها محط أنظار الفاتحين المسلمين فضلاً حصانة موقعها الذي يوفر لها الحماية الطبيعية.

لم تشهد المدينة بعد الفتح أحداثاً كبيرة حتى سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م إذ ظهرت فيها العديد من الأسر التي جنحت إلى إقامة حكم لهم فيها مثل أسرة بني سهيل وبني مردنيش وابن همشك ، وكان منها انطلق محمد بن هود في أواخر أيام الدولة الموحدية حيث ظهرت الأهمية العسكرية لها عندما تحولت إلى منطقة ثغرية واستمرت تمارس ذلك الدور حتى سقوطها بيد قوات مملكة برشلونة وأراغون سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م.

# مدینة جنجالة الأندلسیة

٩٤ - ٥٦٤٤هـ / ٧١٢ - ١٢٤٦م



## أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة جنجاله Chenchilla

هناك اختلاف كبير في المصادر حول لفظ ورسم الكلمة ، ولكن معظم المصادر المتوفرة لدينا ذكرت لفظ جنجاله<sup>(١)</sup> ، كما وردت في مصادر أخرى بلفظ شنتجاله<sup>(٢)</sup> ، وجاءت عند ابن حيان بلفظ شنتجيلة<sup>(٣)</sup> ، أما العذري فذكرها بلفظ شنتجيلة<sup>(٤)</sup> ، وعند ياقوت بثلاثة صيغ: جنجال ، وجنجيلة ، وشنتجاله<sup>(٥)</sup> ، وهو ما يعكس تردده وعدم جزمه ، وذكر أرسلان أن الأسباب يسمونها شنشيلة<sup>(٦)</sup> ، والراجح أن ذلك راجع إلى الاختلاف في تلفظ الكلمات الأعجمية عند نقلها إلى العربية من قبل الفاتحين فضلاً عن بعض التصحيفات. أجمعت المصادر المتوفرة لدينا على أن جنجاله من مدن كورة

- 
- (١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢ ؛ الرشاطي، الأندلس من اقتباس الأنوار، ص ٥٨ ؛ ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٤٢٥ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢٥٢/٢، التكملة، ١٠٤/٢ ؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ٥٦٤/١ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٧٤ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٤٣/٥ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٧/٤ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ١٣٧، وهو ما ترجحه لأن كلاً من الجيم والشين مخارجهما واحدة.
  - (٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٣٦/٨ ؛ الرشاطي، الأندلس من اقتباس الأنوار، ص ٥٨ ؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١١٥ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٥٤/٩ ؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ٤٣٨/١.
  - (٣) المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ/ ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ٢٣٨، ٢٥٧.
  - (٤) ترصيع الأخبار، ص ٤، ١٠.
  - (٥) الأندلس من معجم البلدان، ص ١١٣، ١١٤، ١٧١ - ١٧٢.
  - (٦) الحلل السندسية، ٤٩/٢.

تدمير Tudmir شرق الأندلس<sup>(١)</sup> ، وحددتها ((في طرف كورة تدمير بالأندلس مما يلي الجوف))<sup>(٢)</sup> ، وعن المسافات بينها وبين أمهات المدن المجاورة لها ذكر الإدريسي أنه من ((مرسية<sup>(٣)</sup>) إلى قرطبة عشر مراحل<sup>(٤)</sup>) ومن مرسية إلى حصن شقورة<sup>(٥)</sup> أربع مراحل ومن مرسية مرسية إلى جنجالة خمسون ميلاً<sup>(٦)</sup>)<sup>(٧)</sup> ، وتبعد عن مدريد Magerit مسافة ٢٩٨ كم<sup>(٨)</sup>.

أما من الناحية التمدنية ، فقد تنوعت الإشارة إليها ، فابن حيان ذكر أنها مدينة<sup>(٩)</sup> ، ونعتها الإدريسي بأنها مدينة متوسطة<sup>(١)</sup> ، فيما

---

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص٢٣٨ ؛ العنزي، ترصيع الأخبار، ص ١٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢ ؛ الرشاطي، الأندلس من اقتباس الأنوار، ص٥٨ ؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص١١٥ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٧.

(٢) الرشاطي، الأندلس من اقتباس الأنوار، ص٥٨ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٤٧ ؛ ينظر أيضاً الخارطة.

(٣) مرسية من أعمال كورة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م وهي قريبة من البحري شرق الأندلس، ياقوت الأندلس من معجم البلدان، ص٢٦٤- ٢٦٥.

(٤) المرحلة تساوي أربعة وعشرون يوماً أي ما يعادل ٣٧كم ونصف، وفي حالة السير السريع ٤٦كم، ينظر: كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ٩٧٢/٢.

(٥) شقورة أحد مدن شرق الأندلس وتقع شمال مرسية، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٦٣.

(٦) الميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص٩٥.

(٧) نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢.

(٨) أرسلان، الحلل السنديسية، ٤٩/٢.

(٩) المقتبس (للحقبه ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص٢٣٨، ٢٥٧ ؛ ينظر أيضاً: أيضاً: مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٣٧.

ذكر العذري أنها إقليم من كورة تدمير<sup>(٢)</sup> ، أما ياقوت فذكر مرة أنها بلد وأخرى أنها مدينة<sup>(٣)</sup> ، فيما نعتها ابن أبي صاحب الصلاة والحميري أنها حصن<sup>(٤)</sup> .

ومن ملاحظة هذه التعابير التمدنية ، فإن المدينة هي المصر<sup>(٥)</sup> وهي ((كل بلد جامع يقام فيه الحدود ويحله أمير ويقوم بنفقته ويجمع رستاقه))<sup>(٦)</sup> ، أما الإقليم فذكر ياقوت أن أهل الأندلس يسمون كل قرية جامعة إقليماً فإذا قال الأندلسي أنا من إقليم كذا فإنما يعني بلدة أو رستاق بعينه<sup>(٧)</sup> ، والحصن ((كل موضع حصين لا يوصل إلى ما يأتيه))<sup>(٨)</sup> ، وعليه نرجح أن جنجالة هي مدينة لكونها تحلها الولاية ، ويسبب توسطها لأرض زراعية فسيحة أطلق عليها اسم إقليم وهو الرستاق في عرف أهل الأندلس ، أما الحصن فذلك لاحتوائها على قلعة حصينة يلجأ إليها الناس عند المخاطر ، وقد وصفه الإدريسي بقوله: ومدينة جنجالة عليها حصن حسن<sup>(٩)</sup> .

---

(١) نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢ .

(٢) ترصيع الأخبار، ص ١٠ .

(٣) الأندلس من معجم البلدان، ص ١١٣، ١١٤ .

(٤) تاريخ المن بالإمامة، ص ٤٢٥ ؛ الروض المعطار، ص ١٧٤ .

(٥) قال الزبيدي سميت المدينة مصراً لتمصرها أي تمدنها، تاج العروس، ١٢٦/١٤ (مادة مصر) .

(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٤٧ .

(٧) معجم البلدان، ٢٦/١ .

(٨) ابن سيده، المخصص، ٤٦١/٣ .

(٩) نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢ .

أما من الناحية الاقتصادية فقد جاء ذكها ضمن الوصف العام لكورة تدمير ، فقد اشتهرت بالزراعة بسبب وفرة المياه فيها ، فذكر الإدريسي أن ((بها من البساتين والأشجار والعمارات ما لا يؤخذ بتحصيل ولها كروم وبها شجر التين كثير))<sup>(١)</sup> ، وبالنسبة للحبوب جاء جاء ذكر الشعير في وثيقة الصلح التي عقدها عبد العزيز بن موسى بن نصير وبين الملك تدمير الذي أخذت المنطقة اسمها من اسمه ضمن الجزية التي يدفعها أهل تدمير للمسلمين<sup>(٢)</sup> ، ما يعني وفرة زراعته هناك ، وعن جنجالة بالذات قال الإدريسي: ((ولها بساتين وأشجار))<sup>(٣)</sup>.

كما اشتهرت المنطقة بالمعادن ، فابن الفقيه أشار إلى وجود الذهب والفضة فيها بقوله: ((ومعدن الفضة والذهب بموضع يقال له تدمير))<sup>(٤)</sup> ، والبكري أشار إلى أن حجر المغناطيس فضلاً عن معادن الفضة التي قال إنها كثير في تدمير<sup>(٥)</sup> ، وعن حجر المغناطيس في تدمير ذكر شيخ الرواة أنه يجذب الحجر الذي يكون وزن درهمين حديد يحمله حملاً من الأرض إلى ارتفاع قامة الإنسان وأكثر<sup>(٦)</sup> ، إلا أن أخص ما اشتهرت به مدينة جنجالة هو عمل وطاء الصوف ،

---

(١) نزهة المشتاق، ٢/٥٥٩.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص ١٣١.

(٣) نزهة المشتاق، ٢/٥٦٠.

(٤) مختصر كتاب البلدان، ص ١٣٨.

(٥) المسالك والممالك، ٢/٨٩٧، ٨٩٨.

(٦) نخبة الدهر، ص ٣٢٣.

فذكر الإدريسي ((ويعمل بها من وطاء الصوف ما ليس يمكن صنعه في غيرها باتفاق الهواء والماء))<sup>(١)</sup> ، وقال الرشاطي: وإليها ينسب الوطاء الجنجالي لعمله بها<sup>(٢)</sup> ، والوطاء قيل هو الفراش اللين<sup>(٣)</sup> ، وقيل هو الخذاء الذي يلبسه الفلاحون والعمال<sup>(٤)</sup> ، وقيل هو الثوب المعمول من الصوف<sup>(٥)</sup> ، وهو الراجح لمطابقته للرواية أعلاه.

وأشار أرسلان إلى أنه شاهد بعض ما تركه العرب من آثار في مدينة جنجالة بقوله: وفيها يتلاقى خطان الحديديان خط مرسية Murcia وخط قرطاجنة Gartagena ، وهي مبنية على رابية عليها حصن وفي جوانبها كهوف يسكن فيها الناس ، وفيها يمتد الخط الحديدي إلى بلدة يقال لها ألبره على أربعين كم من جنجالة ، ثم إلى محل يقال له عند الأسبان المنصا ، ولا شك أنه محرف عن المصنع ، هناك خزان بناه العرب طوله ألفا متر وعرضه ألفا متر وعمقه ثمانون متر ، وهو مبني على واد بين جانبه سد ، وهناك حصن عربي مبني على حجر أبيض مشرف على السهل ، قال: وقد مررت على جنجالة والمصنع في الطريق إلى مرسية وأنا

---

(١) نزهة المشتاق، ٢/٥٦٠.

(٢) الأندلس من اقتباس الأنوار، ص ٥٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١١٥ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٧.

(٣) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٥٤٤.

(٤) دوزي، تكملة المعاجم العربية، ١١/٨١ (مادة وطأ).

(٥) أبو حبيب، القاموس الفقهي، ص ٣٧١.

بالقطار وشاهدت هذا الخزان<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة جنجالة

لم تشر المصادر المتوفرة إلى عمليات الفتح لمدينة جنجالة مباشرة ، ولكن الراجح أنها فتحت من قبل القائد عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٤هـ/٧١٢م<sup>(٢)</sup> ، وذلك بعد أن أرسل موسى بن نصير ابنه عبد العزيز وعبد الأعلى إلى جنوب وجنوب شرق شبه الجزيرة الأيبيرية واتجه موسى نفسه إلى الغرب ، وتمكن عبد الأعلى من فتح كل من مدينة مالقة Malaga ومدينة البيرة Elvira ، ولا يستبعد أن يكون ذلك بمساعدة أخيه عبد العزيز<sup>(٣)</sup>.

بعد ذلك توجه الأخير إلى المنطقة الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة الأيبيرية ، إذ التقى قرب مدينة أوربولة Orihuela<sup>(٤)</sup> بالدوق تدمير Thwodemir حاكم هذه المقاطعة التي تكون مدينة جنجالة جزءاً منها ، وقد قاوم تدمير هجوم المسلمين لبعض الوقت ، ولكنه توصل بعد ذلك إلى عقد معاهدة صلح معهم في رجب سنة ٩٤هـ/ نيسان ٧١٢م<sup>(٥)</sup>.

(١) التحلل السندسية، ٤٩/٢ - ٥٠.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص ١٣٢.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ١٠١/١؛ اللوحة البدرية، ص ١٦؛ المقرئ، نضح الطيب، ٢٧٥/١.

(٤) وهي مدينة بشرقي الأندلس من ناحية تدمير، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٨.

(٥) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٢ - ١٣.

وتضمنت معاهدة الصلح شروط مناسبة حصل تدمير بموجبها على الاعتراف به حاكماً على منطقتيه والمدن التابعة لها (كورة تدمير) كما احتفظ بإدارته الداخلية لهذه المدن ، مقابل أن يدفع جزية سنوية تقدر بدينا ذهبي واحد مع كميات من القمح والشعير والخل والعسل والزيت لكل فرد حر من أفراد رعيته ، أما العبيد فتؤخذ عنهم نصف هذه الكمية ، وقد وافق تدمير أيضاً بأن لا يقوم أحد من رعيته بتجاهل هذه المعاهدة أو الإخلال بشروطها<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت تفاصيل هذه المعاهدة عند العذري كما يأتي: ((بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى لتدمير ابن غندريس إذ نزل على الصلح أن له عهد الله وميثاقه وما بعث به أنبياءه ورسله ، وأن له ذمة الله عز وجل وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا يقدم له وألا يؤخذ لأحد من أصحابه بسوء ، وألا يُسبون ولا يُفارق بينهم وبين نسائهم وأولادهم ، ولا يُقتلون ولا تُحرق كنائسهم ، ولا يُكرهون على دينهم ... ، وأنه لا يدع حفظ العهد ، ولا يحل ما انعقد ، ويصح الذي فرضناه عليه وألزمناه أمره ، ولا يكتمنا خبيراً علمه ، وأن عليه وعلى أصحابه غرم الجزية ، من ذلك على كل حر: دينا ، وأربعة أمداء من قمح ، وأربعة أمداء من شعير ، وأربعة أقساط خل ، وقسطاً عسل ، وقسط زيت ، وعلى كل عبد نصف هذا...))<sup>(٢)</sup>.

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ١٣٢.

(٢) ترصيع الأخبار، ص ٤- ٥.

وقد أشار أحد الباحثين أن أهل البلاد حافظوا من خلال هذه المعاهدة على كل ممتلكاتهم مع حقهم بنقلها فيما بعد إلى أبنائهم ، وهذا الحق لم يكونوا يتمتعوا به تحت حكم القوط الغربيين Visigoths<sup>(١)</sup> ، أما دوزي فقد أشار أيضاً إلى أن الفاتحين المسلمين لم يأخذوا شيئاً قط من نصارى الولاية التي كان يحكمها تدمير ولا من مدنها ، بل كان كل ما هنالك أنهم تعهدوا بدفع الجزية على شكل مال ووثاب<sup>(٢)</sup> ، وقد علق طه على هذه المعاهدة بقوله: إن هذا النوع من المعاهدات المتساهلة ربما يشير إلى أن سياسة موسى بن نصير كانت تهدف إلى خلق نوع من التعاون مع سكان البلاد في إدارتها بعد الفتح ، وهذه السياسة ستمكنه من أن يضع حامية صغيرة في كل مدينة مهمة ، ويترك إدارة شؤونها الداخلية كما كانت من قبل دون تدخل في النظام الإداري للبلاد ، وربما كان الدافع إلى اتخاذ هذه السياسة هو ظروف موسى وقلته من معه من رجال القبائل العربية الذين لم يكن عددهم يكفي للهيمنة على كل شبه الجزيرة الأيبيرية<sup>(٣)</sup>.

عاد عبد العزيز بن موسى بعد أن استقرت الأمور في المنطقة الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة الأيبيرية ، وما عجله في ذلك هو اندلاع تمرد في مدينة اشبيلية Sevilla سنة ٩٤هـ/٧١٢م ، الأمر الذي

---

(١) الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس، ص ١٧٧.

(٢) المسلمون في الأندلس، ٤٧/١.

(٣) الفتح والاستقرار، ص ١٧٩ - ١٨٠.

تطلب استدعاءه من قبل والده موسى للتوجه إليها<sup>(١)</sup> ، وعلى هذا فالراجح أن فتح مدينة جنجالة ودخولها في الدولة الإسلامية كان في سنة ٧١٢هـ/٧٩٤م.

ليس هناك معلومات كافية عن القبائل التي سكنتها سواء العربية أم البربرية ، ولكن بشكل عام فإن بعض المصادر تشير إلى أن بعض القبائل العربية سكنت في منطقة تدمير ، فابن حزم أشار إلى أن بني دوس وهم فرع من الأزد سكنوا في تدمير ، وكان أشهر هؤلاء بنو شاهر بن زرعة وبنو هارون بن زرعة<sup>(٢)</sup> ، كما أشار إلى أن بني كنانة من مضر كان لهم عدد ووجاهة وثروة بمرسية<sup>(٣)</sup> ، وأن بني أقصى بن عامر بن إلياس بن مضر سكنوا ألس Eiche وأعمالها وما حوالها<sup>(٤)</sup> ، وهذه المناطق هي من أعمال كورة تدمير التي تضم من بينها مدينة جنجالة ، ولهذا لا يُستبعد أن انتشر قسم منهم فيها ، لاسيما وأن المدينة تمتلك الكثير من مقومات الحياة الاقتصادية ، ومن العرب الذين استقروا في تدمير بنو لخم وهم رهط القائد موسى بن نصير وكان منهم بشير بن قيس اللخمي الذي

---

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٨ ؛ ابن الأثير ، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٤٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠٧/٢٢ ؛ المقرئ، نضح الطيب، ٢٧١.

(٢) جمهرة أنساب العرب، ص ٣٨٣.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ١٨٩.

(٤) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٠.

وقع مع القادة الآخرين على معاهدة الصلح مع تدمير<sup>(١)</sup>.  
ومما يؤيد استقرار بعض القبائل العربية في كورة تدمير هو ما حدث  
فيها في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني(٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) من  
فتنة بين المضربة واليمانية وذلك سنة٢٠٧هـ/٨٢٢م استمرت سبع  
سنين ، إذ حدث بينهم القتال في هذه السنة ، وخسر الطرفان ما يقارب  
ثلاثة آلاف قتيل<sup>(٢)</sup> ، وفي سنة٢٠٩هـ/٨٢٤م تجدد الصراع مرة أخرى بين  
الطرفين ، فأشار ابن حيان إلى أنه ((...تلاحمت الطائفتان في الفتنة  
ودامت بينهما ، فهلك فيها بين الطرفين أمم...))<sup>(٣)</sup> ، ثم تجدد الصراع  
بينهم سنة٢١٠هـ/ ٨٢٥م<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من أن الأحداث أعلاه تؤشر وجود قبائل من  
العرب المضربة واليمانية في كورة تدمير ، إلا أنها جاءت متأخرة  
ولم توضح تاريخ دخولها المنطقة واستقرارها فيها ، ولكنها في الوقت  
نفسه دليل على أن عدد العرب الذين استقروا فيها حتى بداية  
القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي كان كبيراً ، وهو ما تعكسه  
أرقام القتلى على رغم ما فيها من مبالغة ، كما أن هناك بعض  
الروايات تشير إلى بعض العرب من بني عبد الدار بن قصي

---

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص.٥.

(٢) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٤٨/١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨١/٢ ؛  
النويري، نهاية الأرب، ٢٢ / ٩٤.

(٣) المقتبس (للحقبه ١٨٠ - ٢٣٢هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص٤١٩ ؛ ينظر أيضاً: ابن  
عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٢.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص.٦.

القرشي سكنوا مدينة جنجالة وهم رهط المحدث عبد القوي بن محمد العبدري<sup>(١)</sup> ، كما نزلها بعض من موالي بني أمية وهم رهط عبد الله بن سعيد بن لبَّاج الشَّنْتَجَالِيّ الأمويّ مولاهم<sup>(٢)</sup> ، ولعل نزول موالي بني أمية في جنجالة جاء في عهد أبي الخطار<sup>(٣)</sup> عندما أسكن قسماً منهم في تدمير<sup>(٤)</sup>.

أما بالنسبة للقبائل البربرية ، فلا توجد لدينا معلومات كافية عن استيطانهم في مدينة جنجالة ، ولكن هناك إشارات إلى أن العديد منهم نزل في كورة تدمير ، فذكر البكري أن هناك موضعاً في تدمير يعرف بالصنهاجين (نسبة إلى قبيلة صنهاجة البربرية) في كورة تدمير اشتهر بوفرة حديد المغناطيس فيه<sup>(٥)</sup> ، كما نزل لقنت Alicante القريبة من جنجالة قسم من قبيلة زناتة البربرية فكان منهم أمراء في تلك المناطق من تدمير<sup>(٦)</sup> ، ونزل بنو عمارة من قبيلة الهاصة<sup>(٧)</sup>

---

(١) ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ١٤٢/٣.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٥٤/٩.

(٣) هو أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ولي الأندلس بعد قتل عبد الملك بن قطن ومبايعة أهلها ثعلبة بن سلامة، وكانت توليته من قبل والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م وعزل سنة ١٢٨هـ / ٧٤٥م، ثم قتل في الحرب التي جرت بين القيسية واليمانية في موقعة شقندة سنة ١٣٠هـ. / ٧٤٧م، ينظر ترجمته: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٧٨١٧٧ ؛ ابن الأثير، الحلة السيرة، ١/ ٦٦٠٦١.

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص ١٨٥.

(٥) المسالك والممالك، ٨٩٧/٢.

(٦) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩.

(٧) وهو الهاصة بن يطوف بن نفزة، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٠.

البربرية في شاطبةJativa<sup>(١)</sup> الواقعة إلى الشمال قليلاً من جنجالة<sup>(٢)</sup> ، ولهذا لا يُستبعد أن انتشر قسم منهم في جنجالة للعمل في مناطقها الزراعية والمعادن التي توجد فيها.

ويبدو أن مدينة جنجالة عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث الكبيرة التي عانت منها الأندلس في عصري الولاة(٩٥-١٣٨هـ /٧١٣-٧٥٥م)وبداية عصر الإمارة(١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م) ، ولعل ذلك يعود إلى معاهدة الفتح التي عقدها عبد العزيز بن موسى مع تدمير والتي نظمت العلاقة بين السكان الأصليين والفاحين ، ولكن منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي استقطبت تدمير العديد من الثوار ضد السلطة في قرطبة Cordoba والتي ترجع في معظمها إلى النزاعات القبلية والمنافسة على السلطة بين القيسية واليمانية ، ويبدو أن وجود الخليط من القبائل كان أحد العوامل التي ساعدت ذلك.

ففي سنة١٦٣هـ/٧٧٩م نزل تدمير عبد الرحمن بن حبيب الفهري وسيطر على أجزاء منها فخرج إليه الأمير عبد الرحمن الداخل وتمكن من هزيمته وقتله بمساعدة البربر في المنطقة<sup>(٣)</sup> ، وفي سنة١٦٩هـ/٧٨٥م تحرك فهري آخر وهو قاسم بن عبد الرحمن

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩.

(٢) ينظر الخارطة.

(٣) العدري، ترصيع الأخبار، ص ١١ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، التاريخ، ص ١٠٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٦/٢ ؛

الفهري فحاربه عبد الرحمن الداخل ثم أمّنه وعفا عنه<sup>(١)</sup> ، وفي سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م شهدت كورة تدمير فتنة استمرت سبع سنين بين المضربة واليمانية ، قال ابن حيان: من أشهر وقائعهم وقعة المصاراة قتل فيها من الفريقين ثلاثة آلاف رجل<sup>(٢)</sup>.

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، وثار ديسم بن إسحاق -وهو أحد فرسان عمر بن حفصون<sup>(٣)</sup> - في تدمير وغلب على معادن الفضة فيها وضرب الدراهم باسمه فحاربه الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) وأرغمه على الطاعة وبقي في مرسية حتى وفاته سنة ٢٩٣هـ /٩٠٥م<sup>(٤)</sup> ، وفي بداية

---

(١) العنذري، ترصيع الأخبار، ص ١١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٨/٢ إلا أنه جعلها سنة ١٧١هـ/٧٨٧ م .

(٢) المقتبس (للحقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦م) ، ص ٤١١ ، ٤٢٠ .

(٣) ذكر ابن عذاري ترجمة له وأول ظهوره قال: (هو كبير الثوار بالأندلس ونسبه: عمر بن حفص، المعروف بحفصون، بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذبيان بن فرغلوش بن إذفونش، من مسائلة الذمة، من كورة تاكرنا من عمل رندة، وكان الذي أسلم منهم جعفر بن شتيم، ففشا نسله في الإسلام، وكان له من الولد الذكور عمر وعبد الرحمن، فولد عمر بن جعفر حفصاً. وولد حفصون هذا عمر هذا الثائر الملعون، فعمر هذا هو الذي ثار على الأمير محمد أولاً، ثم بلغ بعد ذلك في الشقاق والفتن مبلغاً لم يبلغه ثائر بالأندلس. واستوطن لأول نفاقه حصن بريشتر قاعدة وحضرة، وهي أمنع قلاع الأندلس قاطبة... واتصلت أيامه في ظهور وعزة حتى قدم فيها ثلاثة من خلفاء المرواتيين) البيان المغرب، ١٠٦/٢ ؛ ينظر أيضاً: ابن عسكروا بن خميس، مطلع الأنوار، ص ٣٢٥ ؛ الذهبي، سير، ٤٠٦/٢٠ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢ - ٣٥ ؛ الإحاطة، ٢٥/٤ - ٢٨ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٧٢/٤ - ١٧٤ .

(٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م) ، ص ٢٤ - ٢٥ ؛

عهد الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) ثار محمد بن عبد الرحمن الخزاعي السلمي في تدمير وكان مكانه في البسيط الواقع على المشارف الشمالية لمدينة جنجالة<sup>(١)</sup> وامتدت سطرته إلى مدينة لقنت ، فحارته قوات الأمير عبد الرحمن الثالث حتى أذعن إلى الطاعة<sup>(٢)</sup> ، ويبدو أن أحد عوامل كثرة الخارجين في كورة تدمير وأعمالها (ومنها جنجالة) في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي يعود إلى الرغبة في الاستحواذ على خيرات المنطقة ولاسيما الفضة والمعادن فضلاً عن ضعف السلطة في قرطبة آنذاك.

ويسبب قوة الدولة وأخذها زمام المبادرة في مهاجمة أعدائها خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي استقرت الأمور في تدمير وأعمالها ولم تسجل المصادر المتوفرة لدينا أحداثاً كبيرة آنذاك حتى وقعت الفتنة بالأندلس<sup>(٣)</sup> ، فبعد سقوط الدولة العامرية واحتدام الصراع بين محمد بن هشام الملقب بالمهدي<sup>(٤)</sup> وسليمان

---

(١) العنزي، ترصيع الأخبار، ص١١- ١٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٥/٢

(١) ينظر الخارطة.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/٨٨٨ - ٩١٢م)، ٤١؛ العنزي، ترصيع الأخبار، ص١٣.

(٣) يقصد بالفتنة هي المدة التي تلت سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م حتى نهاية الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م، العنزي، ترصيع الأخبار، ص١٦؛ المراكشي، المعجب، ص٧١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٥٥/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٥٣/٢.

(٤) هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر تولى الخلافة

ابن الحكم الملقب بالمستعين<sup>(١)</sup> فرّ من قرطبة أنصار بني عامر من الصقلية نحو شرق الأندلس وسيطروا عليها ومن أشهرهم زهير العامري<sup>(٢)</sup> الذي تمكن من إقامة إمارة له هناك حتى وفاته سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م وامتدت من المرية Almeria حتى شاطبة<sup>(٣)</sup> ، وهذا يعني أن مدينة جنجالة أصبحت ضمن أملاكه.

إلا أن الفتيان العامرين لم يكنوا ليهنثوا وحدهم في شرق الأندلس ، فقد انقسمت الأندلس بعد الفتنة إلى دويلات طوائف متناحرة وصفها ابن حزم بقوله: ((وأما ما سألتم عنه من أمر هذه الفتنة وملابسة الناس بها مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض ، فهذا أمر امتحنا به ، نسأل الله السلامة ، وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تعالى من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب ، وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه ، ولها عن آخرها ، محارب لله تعالى ورسوله وساع في الأرض بفساد ، للذي ترونه

---

سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م ثم قتله واضح الصقلبي بعد ستة عشر شهرا من ولايته، الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٨.

(١) هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر نافس محمد على الخلافة في قرطبة بمساندة البربر سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م وخاض حروب عدة مع منافسيه وتولى الخلافة إلا أنه قتل سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م من قبل علي بن حمود، الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٩ - ٢٢.

(٢) زهير العامري من موالي المنصور بن أبي عامر فرّ إلى شرق الأندلس أيام الفتنة وحكم مدينة المرية وما جاورها مدة عشر سنوات ثم قتل في غرناطة سنة ٤٢٩هـ / أثناء محاولته السيطرة عليها من بني مناد، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٢٠١ - ٢٠٢.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢/ ١٦٣.

عياناً من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارهم ، وإياحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها ، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين ، مساطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام ، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله ، غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهيمهم...<sup>(١)</sup>.

فقد ظهرت أطماع بني ذي النون<sup>(٢)</sup> في شرق الأندلس منذ أيام زعيمهم إسماعيل بن ذي النون الذي تمكن من توسيع نفوذه مستغلاً سوء الأحوال في قرطبة بعد سقوط الدولة العامرية ، فمن مركزه في شنتبرية antebria<sup>(٣)</sup> أخذ بالتوسع نحو إقليش Ucles ثم قونكة Cuenca ، وبعد وفاة زهير العامري سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م ضمّ مدينة جنجاله إلى نفوذه<sup>(٤)</sup> ، وهكذا أصبحت جنجاله ضمن أملاك بني ذي النون حكام طليطلة Toledo.

توفي إسماعيل بن ذي النون سنة ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م وخلفه ابنه يحيى

---

(١) رسائل ابن حزم، ٣/١٧٣.

(٢) ترجع هذه الأسرة إلى إسماعيل بن ذي النون الهواري الذي أسس دوله في طليطلة سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م واستمرت حتى سقوطها بيد الفونسو السادس وحلفاءه الأوربيين سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م. ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ١٧٦ - ١٨٤.

(٣) مدينة أندلسية من بلاد الجوف إلى الشمال الشرقي من قرطبة بينها وبين طليطلة سبعون ميلاً، مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٠٧.

(٤) ابن خلدون، العبر، ٤/٢٠٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٤٣؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٥٩.

الملقب بالمأمون ، وفي عهده اتسعت حدود إمارة طليطلة مناطق أخرى من شرق الأندلس مثل بلنسية Valencia<sup>(١)</sup> ، ما يعني أن مدينة جنجالة أصبحت ضمن مناطق نفوذه وتحت حكم بني ذي النون ، واستمر ذلك طيلة عهد المأمون بن ذي النون الذي اتسعت إمارته في عهده حتى قيل إنه ملك ((من بلاد الأندلس أزيد من ثلاثمائة مُسور))<sup>(٢)</sup> الذي توفي سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م<sup>(٣)</sup> ، ثم خلفه حفيده يحيى الملقب بالقادر الذي كان فتى حدثاً قليل الخبرة فضعف سلطانه وشهدت أمارة بني ذي النون في أيامه نهايتها على يد الفونسو السادس Alfonso VI ملك قشتالة (٤٥٨-٥٠٢هـ/١٠٦٥-١١٠٨م) الذي دخل طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م<sup>(٤)</sup> ، أما القادر بن ذي النون فقد تكفل له الملك القشتالي الحصول على منها شنتمرية Santamaria وبلنسية ودانية Denia إذ كان الأخير يعلم إن تمكين القادر في شرق الأندلس أن ذلك سيكون تحت حمايته<sup>(٥)</sup>.

ب وفاة المأمون بن ذي النون دخل شرق الأندلس في دوامة من

- 
- (١) ينظر التفاصيل عن استيلاء المأمون بن ذي النون على بلنسية: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٠١/٢ - ١٠٢ .
- (٢) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٥٩ .
- (٣) أشباخ، تاريخ الأندلس، ٥٠/١ .
- (٤) ينظر التفاصيل عن سقوط طليطلة ونهاية بني ذي النون: ابن بسلام، الذخيرة، ١٥٦/٤ - ١٦٩ ؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٤ - ٨٩ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٠٠ - ٢٠٢ ؛ المقرئ، نضح الطيب، ٤٤٧/٤ - ٤٤٨ .
- (٥) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص ١١٤/٢ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٣٣ .

الصراع بين قوى عديدة كلها تريد الهيمنة عليه ، فبالإضافة إلى القادر بن ذي النون كان المعتمد بن عباد أمير إشبيلية الذي انتهب ضعف بني ذي النون واستولى على معظم أراضيها الجنوبية والشرقية وامتد نفوذه شرقاً حتى مدينة قونقة(قونكة)<sup>(١)</sup> الواقعة إلى الشمال من مدينة جنجالة ، ومن بلنسية أيضاً كان السيد الكمبيادور Cid El Campeador<sup>(٢)</sup> يطمح بالاستحواذ على مناطق شرق الأندلس ، كما كان هناك بنو هود حكام سرقسطة Saragosa الذين نجحوا فعلاً في الاستيلاء على دائية سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م<sup>(٣)</sup> ، كما تعاونوا مع السيد الكمبيادور لضم بلنسية إليهم<sup>(٤)</sup> ، هذا فضلاً

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٧١/٢

(٢) وهو فارس قشتالي مغامر تزعم فرقة من الفرسان النصارى، وأخذ يجوب شرق الأندلس ويستأجر نفسه لحكامها، ثم يضرب بعضهم ببعض من أجل إضعافهم، وكانت له صداقة مع أحمد المقتدر بن هود، ثم مع ولده يوسف المؤمن، ولعب دوراً كبيراً في الصراع بين حكام بين هود، ثم لما رأى اختلال الأمور في بلنسية توجه إليها بصحبة المستعين الأصغر بن هود وضرب عليها الحصار مما اضطر أهلها إلى الاستسلام بعد أن عقدوا معه معاهدة تصب في صالحه وأسياده حكام قشتالة، وكان ذلك سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، وصادر أموال القادر بن ذي النون، ثم نقض الصلح مع أهالي المدينة وقتل القاضي ابن جحاف الذي وقع معه المعاهدة بعد أن عذبه حرقاً بالنار، ثم أمر بإحراق جماعة من أهل المدينة وسام أهلها العذاب، مما اضطر الكثير منهم إلى مغادرتها، ولم ينقذ ذلك الوضع إلا وفاته سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٣، ٧٣/٥ وما بعدها ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٣١/٤ - ٤٢ ؛ عنان، دول الطوائف، ص ٢٣١ - ٢٣٨.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢٢٦/٢ ؛ مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص ١٣.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٣٥/٢ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب،

عن أطماع مملكتي قشتالة Sactilla وبرشلونة Barcelona<sup>(١)</sup> ، ولم ينقذ هذا الوضع المضطرب في شرق الأندلس إلا دخول المرابطين Almoravides, Los حيث تمكنوا بعد صراع مرير مع القوى أعلاه من السيطرة على مناطق شرق الأندلس وإعلانها ولاية مرابطية سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م<sup>(٢)</sup>.

لم تشر المصادر المتوفرة إلى من كان يتولى مدينة جنجالة في العهد المرابطي ، والراجح أنها كانت ضمن ولاية شرق الأندلس الذي تولاها بعد الفتح المرابطي عدد من القادة المرابطين ، فكان أولهم القائد أبو عبد الله محمد بن تاشفين الذي أرسله يوسف بن تاشفين بعد جوازه الثاني إلى الأندلس والذي تولى بلنسية ومرسية وتوابعهما<sup>(٣)</sup> ، ولم تشر المصادر المتوفرة إلى مدة بقاء محمد بن تاشفين هناك ، إلا أن المصادر ذكرت أن أبا بكر إبراهيم بن تافلوت المسوفي كان حاكماً على مرسية وأقاليمها من قبل علي بن يوسف بن تاشفين<sup>(٤)</sup> ، والأمير مزدلي<sup>(١)</sup> على بلنسية<sup>(٢)</sup>.

ص ٢٣٤.

- (١) الدرويش والعلياوي، برشلونة بين النصرانية والإسلام، ص ١٣٠ - ١٣١ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٥٠.
- (٢) أشباخ، تاريخ الأندلس، ٢/ ٩٩ - ١٠٠ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢/ ٢٤٧ - ٢٤٨ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٥٣.
- (٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/ ١٤٣ ؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٩٢ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ١/ ٥٠.
- (٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٦١ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١/ ٢٢١ ؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٩٢ ؛ مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص ٢٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/ ٧٥.

وفي سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م قتل الأمير مزدلي في مواجهة من النصارى<sup>(٣)</sup> فخلفه أبو بكر بن إبراهيم بن تافلوت حاكماً على الشرق الأندلسي إلا أن الأخير أصيب في مواجهة مع قوات برشلونة سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م وتوفي بعد سنتين من ذلك ، فخلفه أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين<sup>(٤)</sup> ، الذي قاد سنة ٥١٤هـ /١١٢٠م جيشاً كبيراً حشد له أهل شرق الأندلس ، وبالقرب من كتندةCutanda<sup>(٥)</sup> التقى مع النصارى في معركة حامية هُزم المسلمون خلالها بهزيمة كبيرة سقط خلالها العديد من علماء شرق الأندلس الذين خرجوا للجهاد<sup>(٦)</sup>.

وفي سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨م كان على شرق الأندلس القائد المرابطي يدر بن ورقاء وكان مقره في مرسية الذي تصدى لهجوم قوات الملك

(١) هو الأمير أبو محمد مزدلي بن سلنكان ابن عم أمير المرابطين يوسف بن تاشقين وأحد كبار قادته، تمكن من استرجاع مدينة بلنسية سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م، كما قاد عدة حملات عسكرية ضد النصارى منها حملته على قشتالة سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م التي استشهد فيها، ينظر: ابن القطان، نظم الجمان، ص٧٤؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٩٠.

(٢) ابن خلدون، العبر، ٤/١٩٠؛ الدرويش والعلياوي، برشلونة بين الإسلام والنصرانية، ص١٤٣.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص٧٤.

(٤) مؤسس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، ص٢٧؛

(٥) وهي بلدة من حيزز دورقة من عمل سرقسطة وعلى ستين ميلا منها، الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٢٦٤.

(٦) ينظر عن معركة كتندة: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص٢٥٥- ٢٥٦؛ ابن الأبار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، ص٨، ٥٦؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٤/٣٠٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥/٢٨٥؛ المقرئ، نفع الطيب، ٢/٩١- ٩٢.

الأرغوني الفونسو الأول المحارب Alfonso el Batallador (٤٩٩-٥٢٩هـ/١١٠٥-١١٣٤م) في موقعة القلاعة على مقربة من جزيرة شقر Alcira جنوب بلنسية وشمال جنجالة مُني المسلمون فيها بهزيمة كبيرة وفقدوا خلالها ألوف من القتلى والأسرى<sup>(١)</sup>، ثم استغل النصارى ذلك الانكسار فهاجمت قوة منهم مناطق إلى الجنوب من بلنسية واكتسحوا ما وجدوا<sup>(٢)</sup>.

ثم تولى مناطق شرق الأندلس (بلنسية ومرسية وتوابعهما) بعد وفاةيدر بن ورقاء أبو زكريا يحيى بن غانية<sup>(٣)</sup> الذي اشترك مع أهالي شرق الأندلس في معركة إفراغة Fraga سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م الذي تمكن خلالها القائد المرابطي من تحقيق نصر ساحق على أراغون Aragon وقتل ملكها الفونسو المحارب<sup>(٤)</sup>، واستمر يحيى بن غانية والياً على شرق الأندلس لعدة أعوام كان الطابع الجهادي هو الغالب عليها<sup>(٥)</sup>.

وفي نهاية عقد الثلاثينات من القرن السادس الهجري/الثاني عشر

---

(١) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٢ - ١٥٤.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٠/٣.  
(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ٢٣٤؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٥٩؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ١٩٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٥٦/٤؛ ويحيى بن غانية أحد كبار قادة المرابطين نشأ في قرطبة واشترك في معركة إفراغة وتولى شرق الأندلس مدة ثم غرناطة تولى بها سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٠/٤ - ٣٠٢.

(٤) ينظر عن معركة إفراغة: ابن القطان، نظم الجمان، ص ٢٣٤ - ٢٤٨؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤١/٣٦ - ٤٢.

(٥) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٥١/٣.

الميلادي بدأت رياح الثورة على المرابطين تدب في أغلب مناطق الأندلس وذلك لضعفهم بسبب الهزائم الكبيرة التي لحقت بهم على أيدي الموحدين Almohades, Los في بلاد المغرب<sup>(١)</sup>، فاستقل في شرق الأندلس عبد الله بن عياض<sup>(٢)</sup> وأصبح أمير شرق الأندلس كله، واستقر هو في مرسية وجعل صهره عبد الله بن سعد بن مردنيش على بنسية وذلك سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م<sup>(٣)</sup>، وفي مناورة ذكية من ابن عياض أعلن انضواءه تحت سلطة سيف الدولة بن هود<sup>(٤)</sup>، ويعلل أحد الباحثين سبب انضواء ابن عياض وابن مردنيش تحت سلطة ابن هود لما لابن هود من شهرة كونه سليل أسرة بني هود حكام سرقسطة

---

(١) ينظر التفاصيل عن الصراع بين المرابطين والموحدين حتى دخول الأخيرين مراکش سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٣٠ - ٣٥٥.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن عياض وصفته المصادر أنه أحد الأعيان الصالحين اشتهر بحروبه للنصارى في شرق الأندلس وتولى الثغر الأعلى الأندلسي في أواخر عهد المرابطين وتوفي بعد ٥٤٠هـ/١١٤٥م، المراكشي، المعجب، ص ١٤٦ - ١٤٧؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢١٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٥/٦٣.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢١٩؛ دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ٩٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٣٥٦.

(٤) هو أحمد بن يوسف بن هود سليل أسرة بني هود، فبعد سقوط سرقسطة انتقل إلى حصن روطة ثم تخلى عنها لملك قشتالة وعاش في كنفه، وكان الملك القشتالي يستعمله في بعض المناطق نيابة عنه، فملك جيان ومرسية، ثم تخلى عن الملك القشتالي وحاربه وسقط شهيدا في موقعة البسيط قرب جنجالة، ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٥١ - ٢٥٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٤/٤٤٨ - ٤٤٩.

فضلاً عن أنه كان تابعاً للنصارى ما يعني تحييد مناطقهم<sup>(١)</sup>.  
ثم اتفق الطرفان أعلاه بإعلان البيعة للخلافة العباسية وذلك في محاولة منهم لإضفاء صفة الشرعية على حكمهم وكسب تعاطف الرأي العام الإسلامي معهم في مواجهة النصارى بعد أن فقد المغرب الإسلامي وجود دولة كبرى مهابة فيه في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، فقد أشار الذهبي إلى ذلك بقوله: ((ثم اتفق ابن عياض وابن هود على اسم الخلافة لأمير المؤمنين العباسي<sup>(٢)</sup> ، وأن النظر في الجيوش والأموال لابن عياض "رحمه الله" وأن السلطة لابن هود))<sup>(٣)</sup> وبذلك أصبح شرق الأندلس تابعاً اسمياً للخلافة العباسية في بغداد.

كان عبد الله بن عياض كما وصفه المراكشي ((من صلحاء أمة محمد وخيارهم ، بلغني عن غير واحد من أصحابه أنه كان مجاب الدعوة ، من عجائب أمره أنه كان أرق الناس قلباً وأسرعهم دمعة ، فإذا ركب وأخذ سلاحه لا يقوم له أحد ولا يستطيع لقاءه بطل ، كان النصارى يعدونه وحده بمائة فارس ، إذا رأوا رأيته قالوا: هذا ابن عياض هذه مائة فارس فحمى الله تلك الجهات ودفع عنها العدو ببركة هذا الرجل الصالح ، وانتشر له من الهيبة في صدور النصارى ما ردهم عن البلاد ، وأقام ابن عياض هذا بشرقي الأندلس يحفظ

(١) جابر، بنو مردنيش ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس، ص ٨١.  
(٢) كان في بغداد آنذاك الخليفة العباسي المقتضي لأمر الله (٥٣٠ - ٥٥٥ هـ/  
١١٣٥ - ١١٦٠ م)، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥١٦ - ٥٢١.  
(٣) سير أعلام النبلاء، ٤٤٨/١٤.

تلك البلاد ويذود عنها إلى أن توفي))<sup>(١)</sup>.

ففي نفس السنة أعلاه(٥٤٠هـ/١١٤٥م) وبعد لقاء ابن عياض وابن هود ، وافق أن هاجم النصارى أحواز شاطبة الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة جنجالة ، فتحمس ابن عياض للقائهم ، فخرج مع سيف الدولة بن هود وعبد الله بن مردنيش وحدث اللقاء في بسيط مدينة جنجالة فكانت الهزيمة على المسلمين وقتل فيها ابن هود وعبد الله بن مردنيش ونجا ابن عياض<sup>(٢)</sup> ، وتحدث الذهبي عن سير المعركة عن أحد الرواة قال: ((... فالتقينا نحن والروم ، فكمنوا لنا ألفي فارس ، وظهر لنا أربعة آلاف ، ونحن نحو الألفين ، ووقع الحرب ، فمات من أهل بلنسية نحو سبع مئة ، ومن الروم نحو الألف ، وفرّ أهل مرسية عن ابن عياض ، وفرّ ابن هود ، فثبت ابن عياض في نحو مئة فارس ، وانكسرت الروم ، لكن خرج كمينهم ، فانكسرنا بعد بأس شديد ، واستشهد الأمير أبو محمد عبد الله بن مردنيش صهر ابن عياض ، وأحمد بن مردنيش ، فشق حينئذ ابن عياض وسط الروم ، وجاز نهر شقر حتى وصل مدينة جنجالة ، وتوصل الفل إليه ، وفقدنا ابن هود ، ودخلنا مرسية ، واستبشر أهلها بسلامة الملك المجاهد عبد الله بن عياض))<sup>(٣)</sup> ، فكانت الهزيمة في

(١) المعجب، ص ١٥٤.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٥١ - ٢٥٢ ؛

(٣) سير أعلام النبلاء، ١٤/٤٤٩ إلا أنه قال: إنها وقعت في سنة بضع وثلاثين وخمسمائة.

موقعة جنجالة ضربة شديدة للمسلمين في شرق الأندلس.

بعد مقتل ابن هود أعلن عبد الله بن عياض الدعوة لنفسه في بلنسية وأرسل محمد بن سعد بن مردنيش<sup>(١)</sup> نائباً عنه إلى مرسية ، وامتد نفوذ ابن عياض ليشمل معظم مناطق شرق الأندلس من بلنسية شمالاً إلى قرطاجنة جنوباً<sup>(٢)</sup> ما يعني أن مدينة جنجالة كانت ضمن نفوذه ، إلا أن ابن عياض لم يلبث طويلاً إذ أصيب بسهم في أحد مواجهاته مع النصاري ، إذ أشار الذهبي أن ((أن ابن عياض التقى البرشلوني ، وانتصر المسلمون ، فلما انفصل المصاف ، قصد المسلمون الماء ليشربوا ، وتجرد ابن عياض من درعه ، ونحو الخمس مئة من الروم في غابة عند الماء ، فالتفت ابن عياض إلى

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش، وذكر ابن الأبار أن ابن مردنيش جذامي، وأشار ابن حزم إلى أن بعض بطون جذام سكنت الأندلس، وينفي فرانتيسكو كوديرا نسبه العربي ويرجح أنه يعود إلى الجالية البيزنطية التي كانت في شبه جزيرة أيبيريا قبل الفتح، وقد تمكن من بسط نفوذه على شرق الأندلس وحاول الوصول إلى غرناطة= إلا إنه اصطدم بالموحدين الذين هزموه عدة مرات، فلما أحسن في نفسه الضعف صالح خليفة الموحدين أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وزوج ابنته صفية إلى يعقوب بن يوسف الموحدي، وزوج ابنته الثانية زائدة إلى يوسف بن عبد المؤمن، وتوفي سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢١ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٣٢ وهامش (١) ص ٢٣٣ ؛ وعن الحروب بين ابن مردنيش والموحدين ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ١٨٧ - ١٩٦ ؛ المراكشي، المعجب، ص ١٧٧ ؛ ابن أبي زرع، الروض القرطاس، ص ٢٤٩ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/٧٠ - ٧٤ ؛ جابر، بنو مردنيش ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس، ص ٤١ - ٥٨ .

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٣٦٤ ؛ دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ٩٤ .

أصحابه أن ارموا الروم بالنبل ، فجاءه سهم في فقار ظهره ، فأخرج منه بعد قتل أولئك الخمس مئة ، وإذا بالسهم قد أصاب النخاع ، فوصل مرسية ، وتوفي بعد ولايته إياها أربع سنين ، ووجد المسلمون لفقده<sup>(١)</sup> ، وكان مقتله في ربيع الأول من سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م فحُمل إلى بلنسية ودفن بها<sup>(٢)</sup>.

خلف ابن عياض في زعامة شرق الأندلس نائبه محمد بن سعد بن مردنيش الذي ادعى أن ابن عياض هو من أوصى له ، وقيل إن أهل بلنسية هم من بايعوه<sup>(٣)</sup> ، ثم استطاع ابن مردنيش بعد مدة وجيزة من إحكام سيطرته على معظم مناطق شرق الأندلس من طرطوشة Tortosa شمالاً حتى قرطاجنة ولورقة Lorca جنوباً (ومنها مدينة جنجالة) وغدا سيد المنطقة بلا منازع<sup>(٤)</sup>.

اختلفت سياسة ابن مردنيش عن سابقه ابن عياض ، إذ كوّن تفاهمات وعلاقات سلمية مع العديد من الدويلات النصرانية من داخل الأندلس وخارجها<sup>(٥)</sup> ، ولعل الغرض من ذلك التحول السياسي هو تأمين حدود إمارته مع النصارى ، أضف إلى ذلك وجود الخطر الموحدى الذي كان يهدد حدوده ، لذلك بادر بعقد

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٦٣/١٥.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢٣٢/٢.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢٣٢/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٣٤/٢.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٦٧/٣ ؛ جابر، بنو مردنيش ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس، ص ٨٤ ؛ دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحديين، ٩٤.

(٥) ابن خلدون، العبر، ١٧١/٤؛ المقري، نفع الطيب، ٤٤٢/١ - ٤٤٣.

معاهدة صلح مع أمير برشلونة رامون برنجير الرابع Ramon Berenguer V (٥٢٥-٥٥٧هـ / ١١٣٠-١١٦١م) لمدة أربع سنوات ، كما عقد معاهدة أخرى مع الفونسو السابع Alfonso Raimundes (٥٢٠-٥٥٢هـ / ١١٢٦-١١٥٧م) ملك قشتالة ، وكان يؤدي لكل من الطرفين ضرائب كبيرة أُرهِقَ بها الرعية ، وقد أشار إلى ذلك ابن الخطيب بقوله: ((وأجلاه الخروج عن الجماعة ، والانفراد بنفسه إلى الاحتماء بالنصارى ، ومصانعتهم ، والاستعانة بطواغيتهم ، فصالح صاحب برشلونة لأول أمره على ضريبة ، وصالح ملك قشتالة على أخرى ، فكان يبذل لهم في السنة خمسين ألف مثقال ، وابتنى لجيشه من النصارى منازل معلومات وحنات للخمور ، وأجحف برعيته لأرزاق من استعان به منهم ، فعظمت في بلاده المغارم وثقلت...))<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن نصارى برشلونة قد استغلوا سياسة السلم التي عقدها مع محمد بن سعد بن مردنيش ، وأخذوا بالتفرغ لمهاجمة المناطق الأندلسية الواقعة تحت نفوذ المرابطين ، ومنها مدينة المرية Almeria سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م<sup>(٢)</sup> ، وقد علق ابن الأثير على ذلك بقوله: ((في هذه السنة ، في جمادى الأولى ، حصر الفرنج مدينة المرية من الأندلس ، وضيقوا عليها برأً وبحراً ، فملكوها عنوة ، وأكثروا القتل بها والنهب...))<sup>(٣)</sup>.

(١) الإحاطة، ٧١/٢ - ٧٢.

(٢) المراكشي، المعجب، ص ١٤٧ ؛ ابن الأبار، التكملة، ٥٢/١ ؛ المقري، نضح الطيب، ٤٦١/٤.

(٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٤ ؛ لم تستمر مدينة المرية طويلاً

وبعد سقوط مدينة المرية بيد النصارى ، شجعهم هذا الأمر على مهاجمة مدينة طرطوشة القريبة من برشلونة ، وتمكنوا من السيطرة عليها سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م<sup>(١)</sup> ، كما سقطت مدينة لاردة بيد النصارى بقيادة رامون برنجير الرابع أمير برشلونة ، بعد أن توجهت حملة عسكرية إليها<sup>(٢)</sup> ، وحول مسجدتها الأعظم إلى كنيسة ، فضلاً عن مساجد المدينة الأخرى<sup>(٣)</sup> ، وبسقوط هذه القواعد الإسلامية في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي في أيدي النصارى فقد انتهت سيادة المسلمين هناك ، فقد كانت هذه القواعد خاضعة لابن مردنيش من الناحية الاسمية على الأقل ، إلا أن ابن مردنيش لم يستطع أن يحميها أو ينجدها ، إذ كان له ارتباط صداقة وهدنة مع الكونت رامون برنجير الرابع أمير برشلونة ، وهو ما يحول دون أي محاولة لإنقاذها<sup>(٤)</sup> ، ومن جهة أخرى كان الدفاع عن هذه القواعد النائية الواقعة في قلب الأراضي النصرانية يعد عملاً صعباً من الناحية العملية ، ولعل هذا الأمر قد أجبر ابن مردنيش إلى عدم إيداء أي محاولة لإنقاذها ، لاسيما وأن إمارته التي شكلها لا تزال حديثة العهد ، كما أنه دخل

---

بأيدي النصارى، إذ سرعان ما تم استرجاعها من قبل الموحدين سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٧١/١ ؛ سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ٩٧.

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٦٨/١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٢٦/٢؛ ابن السباط، صدق الأخبار، ٨٩/١.  
 (٢) للتفاصيل ينظر: عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٣٧٠؛ دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص ١١٥؛ العلياوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٣) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ١١٥.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٣٧٠.

في خلاف مع الدولة الموحدية Los Almohades، التي تولت أمور الأندلس بعد سقوط الدولة المرابطية.

إلا أن ما اتصف به ابن مردنيش من مجون وانغماسه في اللهو ثم ارتمائه في أحضان النصارى واستعانتهم بهم ، أثار غضب أهالي شرق الأندلس عليه ، وقد عمل ابن مردنيش على التنكيل بهم ، وهو ما دفعهم إلى الاستنجد بالدولة الموحدية ، ولهذا أرسل الخليفة عبد المؤمن بن علي(٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م) رسالة إلى محمد ابن سعد بن مردنيش من مدينة مراكش كانت مؤرخة في ١٦ جماد الآخرة سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م ، دعا فيها ابن مردنيش إلى اعتناق أمر المهدي والدخول في الدعوة الموحدية ، ولفت نظره إلى انه لم يفز أحد من زعماء الأندلس ببعيته إلا من دخل في الدعوة الموحدية ، وأن من خرج عليها منهم كان عقابه سوء المنقلب ، ثم حثه إلى المبادرة والاعتبار ، ولامه بما كان منه في حق أهل شرق الأندلس<sup>(١)</sup> ، إلا أن محمد بن مردنيش لم يستجب لهذه الدعوة وظل يقاوم القوات الموحدية ، وبقيت مناطق شرق الأندلس عصية على الموحدين حتى وفاة زعيمها محمد بن سعد بن مردنيش سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م<sup>(٢)</sup>.

بوفاة محمد بن مردنيش تغيرت طبيعة العلاقة مع الدولة

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٤٣/٦ - ٤٤٥.

(٢) ينظر عن وفاة ابن مردنيش: البيهقي، أخبار المهدي، ص ٨٩ ؛ ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٠٦ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/ ٢٦٨ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٢٣٦ ؛ دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ١٠٠.

الموحدية إذ بادر أبناءه وأقاربه بإعلان الطاعة والولاء للموحدين وصاهروا الخليفة الموحيدي يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٥٨هـ/ ١١٦٢-١١٨٤م)<sup>(١)</sup> ، ومن جانبه عمل الخليفة الموحيدي على إبقاء سلطنتهم في شرق الأندلس والتي أسندت إلى أبي الحجاج يوسف ابن سعد بن مردنيش وذلك سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م<sup>(٢)</sup>.

وتعد غزوة وبذة Huele الأولى التي اشترك فيها أهل شرق الأندلس (ومنهم جنجالة) تحت لواء الموحيدين وقيادة زعيمهم أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش ، وكانوا هم من رغبوا الخليفة الموحيدي فيها إذ وفدوا عليه في مستهل رمضان سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م أثناء عبوره من المغرب إلى الأندلس لغرض الغزو والجهاد ، وأيدوا رغبتهم عند الخليفة بضرورة أن يقوم بمهاجمة من جاورهم من النصراري الأسبان ، وأشاروا إلى مدينة وبذة بالذات هدفاً لهذه الحملة ، وذلك لضعف تحصيناتها وأسوارها ، ويبدو أن طلبهم هذا بسبب ما تشكله القوات النصرانية فيها من خطر عليهم إذ تقع إلى الشمال من جنجالة ، وهو ما شجع الخليفة الموحيدي بتحقيق هذه الرغبة وإعداد حملة كبيرة باتجاهها<sup>(٣)</sup>.

وعلى إثر ذلك جهز الخليفة حملة عسكرية كبيرة خرجت من مدينة إشبيلية يوم الاثنين الحادي عشر من شوال سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م ، فوصلت إلى قرطبة في السابع عشر منه ، بعدها غادر قرطبة وأخذ

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٤٠ - ٢٤١ ؛ الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٤١ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٥٦ .

(٣) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٠٨ - ٥٠٩ .

ينتقل من مكان إلى آخر داخل الأندلس ، وخلالها تمكن من السيطرة على عدة حصون كانت تابعة إلى النصارى ، بعدها سار بقواته إلى الموضع المعروف ببلاط الصوف<sup>(١)</sup> وهو المتصل بفحص مدينة جنجالة ، وكانت هذه المدينة آنذاك على الحدود بين المسلمين والنصارى ، وقد نزل الخليفة في سهل بلاط الصوف لغرض الاستراحة وتزويد قواته بالماء ، ثم غادرها إلى مرج البسيط<sup>(٢)</sup> ، وأقام فيه يوماً واحداً ، وسار منه إلى مقربة من وادي شقر Rio Jucar<sup>(٣)</sup> ، حيث شرب المقاتلون والدواب من ماء النهر ، فأخذوا قسطاً من الراحة ، وفي يوم الخميس الثاني عشر من ذي القعدة ، أمر الخليفة أخاه أبا سعيد أن يسير من مدينة وادي شقر في قوة عسكرية كبيرة من القوات الموحدية ، يبلغ عددها نحو اثنا عشر ألف فارس ، ومعهم قوة من الرجال والرماة والتوجه إلى مدينة وبذة وتمت محاصرتها<sup>(٤)</sup> .

ويبدو أن سوء الأحوال الجوية وهبوب الرياح ، قد أثرت على الجيش الموحد المحاصر لمدينة وبذة ، ففي صبيحة يوم الجمعة الموافق العشرين من ذي القعدة هبت ريح صيفية شديدة ، فأوقعت الاضطراب بالمعسكر الموحد ، واقتلعت الأخبية ، وقضى الموحدون

(١) وهو موضع يقع غربي شاطبة، ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٢٧ هامش (٣)

(٢) البسيط هو فسحة من الأرض، وتعرف بمدينة البسيطة، وهي من المدن التي تقع إلى الشرق من طليطلة، ينظر: أرسلان، التحلل السندسية، ٤٨/٢ .

(٣) مدينة أندلسية تقع بالقرب من شاطبة وتبعد عن بلنسية ثمانية عشر ميلاً، وهي كثيرة الأشجار والأنهار، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٩ .

(٤) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٢٣ - ٥٢٨ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٧٤ - ٧٥ .

ليبتهم في التحوط ضد عصف الريح ، وبعد يوم واحد من ذلك ، قدم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى من مرسية في جند أهل الشرق الأندلسي ، ومعه أبو الحجاج يوسف بن مردنيش<sup>(١)</sup> وأهل بلنسية والثغر ، فاستقبلهم الخليفة وسائر الإخوة والأشياخ والزعماء والطلبة استقبالا حافلاً ، بعدها نزل جند الشرق بالجبل المجاور لمدينة وبذة لكي يشددوا الحصار عليها ، وعندما علم القشتاليون بذلك توجسوا وفزعوا وأصابهم الرعب ، إلا أن الرياح سرعان ما عادت مرة أخرى على العسكر الموحدى المحاصر للمدينة ، إذ هبت رياح أخرى أشد من السابقة ، فاقتلعت خيام الجيش الموحدى ، ومزقتها ، ثم تلاها مطر كثير ورعد قاصف وبرق شديد ، وكانت هذه الأحوال قد خدمت النصارى المتواجدين داخل المدينة ، إذ ارتووا من مياه الأمطار بعد قطع الموحدى مياه الأنهار عن المدينة أثناء حصارهم لها<sup>(٢)</sup> ، بعدها قام الجيش الموحدى بعدة هجمات لاقتحام المدينة إلا أنها باءت بالفشل مما اضطره إلى الانسحاب ، وهكذا تحرك الجيش المنسحب يتقدمه الخليفة وأشياخ الموحدى مع قبائلهم ، وزعماء الأندلس مع أصحابهم ، والنصارى خلال ذلك يهاجمون الجيش المنسحب ، وقد احتشدت في المؤخرة قوة كبيرة

(١) هو أبو الحجاج يوسف بن سعد بن محمد بن محمد بن مردنيش، الرجل الثاني في أسرة بني مردنيش بعد أخيه محمد بن سعد تولى حكم بلنسية وبقي والياً عليها حتى وفاته سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٤١؛ جابر، بنو مردنيش ودورهم السياسى والعسكرى في الأندلس، ص ٥٩ وما بعدها.

(٢) ابن أبى صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٣٦ - ٥٣٧؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدى، ق١، ص ٧٨.

من قادة أهل شرق الأندلس لردهم فيهم يوسف بن مردنيش وإبراهيم بن همشك ، واستمر الجيش المنسحب متجهاً نحو مدينة قونقة ، ونزل في فحص به الماء على بضعة أميال من مدينة وبذة ، ولحقت به قوة المؤخرة في المساء ، بعد أن تمكنت من رد النصارى وقتلت منهم نحو ستين ، وأسر عشرة<sup>(١)</sup>.

واستمر الجيش الإسلامي بالانسحاب حتى وصل إلى مدينة قونقة ثم شاطبة ثم جنجالة ، ومنها سلك الجادة إلى بلاط الصوف المتصل ببطاح مدينة جنجالة وبات هناك ثم غادرها بعد أن تزود بالماء إلى وادي شقر بعد يومين ، أي في يوم الثلاثاء الموافق أول ذي الحجة ، إذ دخلها الخليفة ومعه أخوته السادة ، ووزيره أبو العلاء إدريس بن جامع<sup>(٢)</sup> والفقهاء والقضاة ، وسائر الأشياخ من الموحدين العرب ، كما كان يرافق هذا الموكب المؤرخ عبد الملك بن أبي صاحب الصلاة راوي هذه الحوادث ، وقد استقبل أهل مدينة قونقة الخليفة وموكبه استقبالاً كبيراً ، وكانوا في حالة يرثى لها من الضعف بسبب حصار النصارى لها بين الحين والآخر ، وقام الخليفة بمساعدتهم بالمال والأطعمة<sup>(٣)</sup> ، ثم كرّ راجعاً إلى مرسية ثم إلى إشبيلية<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٤٠ - ٥٤١ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٧٩ - ٨٠.  
(٢) ذكره ابن الخطيب أنه من وزراء الخليفة الموحيدي يوسف بن عبد المؤمن، الإحاطة، ٣٠٧/٤.

(٣) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٥٢ - ٥٥٤.

(٤) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٥٤ - ٥٥٦.

وعند مروره على جنجالة أقرّ فيها القائد أبو عثمان سعيد بن عيسى الذي كان من أبرز قواد محمد بن سعد بن مردنيش، وكان ممن قدّم الطاعة للموحدين بعد وفاة محمد بن مردنيش، فكافأه الخليفة الموحد الولاية عليها وذلك في سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م، كما أبقى أبا الحجاج يوسف بن مردنيش على بلنسية<sup>(١)</sup>، والراجح أن أبا عثمان كان تابعاً لأبي الحجاج بن مردنيش لأن الأخير كان على شرق الأندلس. استمر أبو الحجاج يوسف بن مردنيش يحكم مناطق شرق الأندلس نيابة عن الموحدين حتى وفاته سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م وخلف ستة من الأولاد قال ابن الخطيب عنهم: كلهم رأسوا وشهروا بالبلاد الشرقية في أخريات دولة الموحدين وهم: أبو الحملات مدافع، وأبو الظفر غالب، وأبو الحارث سبع، وأبو سلطان عزيز، وأبو ساكن عامر، وأبو محمد طلحة، وقد تولوا جميعاً في ظل حكومة الموحدين، مناصب هامة في مختلف قواعد الشرق، من قيادة وولاية، واشتهروا في أواخر أيام الدولة الموحدية بالأندلس، وكانوا مثل أبيهم يعرفون بالرؤساء<sup>(٢)</sup>، وذكر ابن الخطيب أن مدافع بن أبي الحجاج يوسف بن مردنيش استشهد شاباً<sup>(٣)</sup>، دون أن يشير إلى مكان وزمان ذلك، ولم يرد في المصادر المتوفرة لدينا ما يشير إلى

(١) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٥٥٤.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٤١؛ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٣٩٤؛ جابر، بنو مردنيش ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس، ص ١٠٢.

(٣) أعمال الأعلام، ٢/٢٤١.

مواجهة مع النصارى سوى ما ذكره ابن البار بصورة عرضية عند ترجمته لأحمد بن محمد الهلالي<sup>(١)</sup> قال توفي: في سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م وفي سنة وفاته كانت الواقعة الكبرى بوادي شفالة من جوفي جنجاله من ثغور مرسية<sup>(٢)</sup> ، ولما كانت ثغور مرسية وبلنسية عليها ولاية من أولاد أبي الحجاج بن مردنيش من قبل الموحيدين ، فالراجح أن مدافع بن أبي الحجاج كان على جنجاله آنذاك وأنه استشهد في الواقعة أعلاه.

وأشار ابن الخطيب إلى أنه بعد وفاة المستنصر الموحيدي (٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٣م) اضطرب أمر شرق الأندلس وخاض أولاد أبي الحجاج يوسف بن مردنيش في الفتنة مع الخائضين<sup>(٣)</sup> ، وذلك لأن الموحيدين انقسموا على أنفسهم وظهر بينهم أكثر من مدعي بالخلافة<sup>(٤)</sup> ، والذي يهمننا هنا أمر شرق الأندلس فقد كان على مرسية عبد الله بن يعقوب المنصور الملقب بالعدل (٦٢١-٦٢٤هـ)<sup>(٥)</sup> ، وعلى بلنسية ودانية وشاطبة أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن

---

(١) قال ابن البار: هو أحمد بن محمد بن أحمد الهلالي يعرف بابن المناصف سمع من أبي الوليد بن بقوة كتاب الإشارة للباجي وتوفي سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م، التكملة، ٧٧/١.

(٢) التكملة، ٧٧/١.

(٣) أعمال الأعلام، ٢/٢٤١.

(٤) ينظر انقسام الموحيدين ومبايعتهم أثر من خليفة بعد وفاة المستنصر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٣٤٨-٣٦١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٢٦٨؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٤٢.

عبد المؤمن<sup>(١)</sup> ، وعندما سمع العادل بوفاة المستنصر ومبايعة عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمخلوع (٦٢٠-٦٢١هـ/١٢٢٣-١٢٢٤م) في مراكش رفض العادل بيعته وأعلن نفسه من مرسية خليفة للموحدين ، وكان عبد الرحمن بن موسى ابن يوجان مسجوناً في جنجالة منذ أيام المستنصر الموحد إذ قام وزيره ابن جامع بنفيه إليها ، فعمل العادل على إطلاق سراحه واستيثاره<sup>(٢)</sup> ، ما يعني أن جنجالة كانت آنذاك كانت تابعة للعادل الموحد.

إلا أن تطور أوضاع المغرب دفعت العادل الموحد إلى مغادرة مرسية إلى مراكش وذلك سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م<sup>(٣)</sup> ، وهذا يعني انفراد السيد أبي زيد عبد الرحمن صاحب بلنسية بشرق الأندلس وكان يسانده في حكم المنطقة أبي جميل زيان بن مدافع بن مردنيش الذي كان بمثابة الوزير له وقائد جيشه ، وقد أشار إلى ذلك المقري بقوله: ((وكان قائد الأعنة المشار إليه في الدفاع عن بلنسية الأمير زيان بن أبي الحملات ابن أبي الحجاج بن مردنيش))<sup>(٤)</sup> ، إلا أن الأمير الموحد أبي زيد عبد الرحمن عندما رأى إدبار سلطة الموحد في الأندلس التجأ إلى النصارى ويقال إنه تنصر<sup>(٥)</sup> تاركاً

- 
- (١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧٠.
  - (٢) الحميري، الروض المعطار، ص ١٧٤ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٤٤ ؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٣٣٨ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٣٥٠.
  - (٣) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧٠.
  - (٤) نضح الطيب، ٤/٤٥٦.
  - (٥) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٨٩ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٤.

بلنسية التي استولى عليها وقام بمهمة الدفاع عنها أبو جميل زيان بن مردنيش وكان ذلك سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م<sup>(١)</sup> ، وقبيل هذا التاريخ كانت مرسية قد شهدت هي الأخرى استيلاء ثائر آخر عليها وهو محمد بن يوسف بن هود الجذامي وذلك سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م<sup>(٢)</sup> ، ما يعني أن مناطق شرق الأندلس قد خرجت من سلطة الموحيدين.

ففي بلنسية بادر أبو جميل زيان بن مردنيش بإعلان البيعة لنفسه وذلك في صفر من سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م ونزل قصرها ودعا للخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦-١٢٤٢م) في محاولة لإضفاء الشرعية على حكمه وكسب الرأي العام إلى جانبه ، فجاءته البيعة من مختلف مناطق شرق الأندلس ، وقد علق ابن الخطيب على ذلك بقوله: ((دخلت دانية في بيعته ، فاتسع عمله ورحبت ساحته ،... ، ودخلت جنجالة في بيعته ، فضخم ملكه))<sup>(٣)</sup>.

كانت الأندلس آنذاك تموج بالفتنة ويسري إليها ديب التفكك ، وكانت اسبانيا النصرانية تتطلع بثقة إلى اجتثاثها واقتسام أشلائها ، وقد علق عنان على حالة الأندلس عند انهيار سلطة الموحيدين فيها بقوله: وكان ملوك اسبانيا الثلاثة ، خايي الأول ملك أراجون ، وفرناندو الثالث ملك قشتالة ، وألفونسو التاسع ملك ليون Leon ، يسيطر كل

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٢٨٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٤٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٢٧٦ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٤٧.

(٣) أعمال الأعلام، ٢/٢٤٢.

منهم ، على مصاير منطقة من شبه الجزيرة ، فملك أراجون يسيطر على مصايرها من ناحية الشرق ، وملك قشتالة يسيطر على مصايرها من ناحية الوسط ، وملك ليون يسيطر على مصايرها من ناحية الغرب ، وكل منهم يرقب الفرص المواتية للانقضاض على الفريسة ، على تلك الأندلس ، التي مزقتها الفتنة ، وفقدت وسائل الدفاع الحقيقية ، وأضحت معظم قواعدها تحت رحمة العدو القوي المتحفز<sup>(١)</sup> .  
وأمام هذا الخطر الكبير لم يكن قطبي الثورة في شرق الأندلس (ابن زيان في بلنسية وابن هود في مرسية) موحدي المواقف ، بل كانا على العكس ، فاشتعلت نار الحرب بينهما بسبب مناطق النفوذ ، فقام ابن هود في سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م بالزحف على بلنسية واستمال إلى جانبه بعض أقارب ابن زيان حاكم جزيرة شقر وحاكم شاطبة اللذين أعلننا طاعتهم لابن هود ، وقاموا بمحاصرة بلنسية إلا أنهم فشلوا في اقتحامها<sup>(٢)</sup> .

أضعفت هذه الحرب الجانب الإسلامي كثيراً ما دفع ملك أراجون خايمي الأول (٦١٠-٦٧٥هـ/١٢١٣-١٢٧٦م) إلى وضع خطة محكمة من أجل الاستيلاء على بلنسية بدأها بمهاجمة قواعدها الأمامية منذ سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م واستمر في تنفيذ مشروعة حتى تمكن من احتلالها وانتزاعها من المسلمين سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م ، وخلال تلك المدة أبدى أميرها أبو جميل زيان ضروب من الشجاعة وأرسل نداءاته إلى

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٣٩٩.

(٢) ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٤.

مختلف المناطق في طلب النجدة دون جدوى ، وتركت بلنسية لمصيرها ، وغادرها أبو جميل زيان الذي أخذ ينتقل في بعض مناطق الشرق حتى آل به الأمر إلى الخروج من الأندلس إلى تونس<sup>(١)</sup> .

أما مدينة جنجالة ومصيرها فلم يرد في المصادر المتوفرة عن تاريخ سقوطها بيد النصارى ، ولكن ابن الخطيب أشار إلى أن ((الزمان لم يطل بالشرق إلى أن إنهار وأجاب الكفار ، فكان آخر العهد ببني مردنيش فهم بين قتيل وشهيد ومنتقل إلى تونس))<sup>(٢)</sup> ، ولما كانت مدينة دانية الواقعة إلى الشرق من جنجالة استولى عليها النصارى سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م<sup>(٣)</sup> ، ومدينة لقنت سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م<sup>(٤)</sup> ومدينة شاطبة القريبة منها قد استولى عليها النصارى سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م<sup>(٥)</sup> ، وأشار ابن خلدون في حديثه عن ملك أراغون خايمي الأول إلى أنه ((ارتجع شرق الأندلس كله شاطبة ودانية وبلنسية وسرقسطة ، وسائر الثغور والقواعد الشرقية))<sup>(٦)</sup> ، والراجح أن سقوط مدينة جنجالة بيد بيد ملك أراغون كان في حدود سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م إذ ليس من المعقول أن يذهب إلى لقنت الواقعة إلى الجنوب الشرقي من

- 
- (١) ابن الأبار، الحلة السيرة، ١٢٧/٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٤٢/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٤/٤ - ٢١٥ .
- (٢) أعمال الأعلام، ٢٤٣/٢ .
- (٢) ابن أبي زرع، الذخيرة السنوية، ص ٦١ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٥٩/٤ ويجعل سقوطها سنة ٦٤١هـ/ .
- (٤) ابن خلدون، العبر، ٢١٥/٤ ، ٣٨٩/٦ .
- (٥) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٣٤ .
- (٦) العبر، ٢٣٣/٤ .

جنجالة ويتركها بيد المسلمين.

### ثالثاً: الحياة الفكرية في مدينة جنجالة

دام الحكم الإسلامي لمدينة جنجالة للمدة (٩٢-٦٤٤هـ/٧١٠-١٢٤٦م) أي أكثر من خمسة قرون ، وقد سكنها المسلمون من العرب والبربر إلى جانب سكان البلاد الأصليين ، وخلال استعراضنا لتاريخ المدينة لم يرد في مصادرنا ما يشير إلى حدوث نزاع أو صراع بين مكونات المجتمع وهو ما يؤشر أن الصراعات التي حدثت في مناطق أخرى من الأندلس كانت مفتعلة ويقف وراءها بعض أرباب المصالح ، وعلى الرغم من استقطاب المدن الكبيرة الواقعة بالقرب من جنجالة لرواد العلم والفكر إلا أنها برز فيها أيضاً العديد ممن أسهموا في النشاط العلمي في الأندلس نذكر منهم:

- عبدالرحمن بن هشام ، يكنى أبا مطرف ، ويعرف بابن مضاش ، من أهل جنجالة ، سكن مرسية ، اشتهر بالحديث ، قال ابن الأبار أدركته ولم آخذ عنه<sup>(١)</sup> فلعله كان من أبناء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

- عبد القوي بن محمد العبدري من أهل جنجالة ، محدث روى عن أبي عمر الظلمنكي ، رحل إلى المشرق سنة ٤٩٩هـ /١١٠٥م ، ولم يشر ابن الأبار إلى تاريخ وفاته<sup>(٢)</sup>.

(١) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، ص ٢٣٨.

(٢) التكملة، ١٤٢/٣.

- عبد الله بن سعيد بن أرباح الأموي الشنتجالي من موالي بني أمية ، كان شيخاً صالحاً زاهداً رحل إلى المشرق فجاور بمكة ، بضعاً وثلاثين سنة ، وكان يثابر على الحج ، وكتابة الحديث والقيام بالعلم ، ثم انصرف إلى الأندلس سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م راغباً في الجهاد ، فلم يزل مثابراً عليه بالثغور والناس يأخذون عنه ، له كتاب فهرسة بسنده ، وكتاب مختصر في الفقه ، وتوفي سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م<sup>(١)</sup>.

- محمد بن الزبير من أهل جنجالة سكن مرسية له علم بالقرآن والعربية ، وكان موصوفاً بالصلاح والفضل ، توفي سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م<sup>(٢)</sup>.

- مفرج بن فيرة من أهل شنتجالة اشتهر بالحديث وله معرفة بالعربية والأخبار والأشعار توفي في حدود سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م<sup>(٣)</sup>.

---

(١) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٣٦/٨ - ٣٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٥٤/٩ ؛  
كحالة، معجم المؤلفين، ٥٨/٦ .  
(٢) ابن الأبار، التكملة، ١٠٤/٢ .  
(٣) ابن الأبار، التكملة، ١٨٩/٢

## الغاية

على الرغم من ندرة المعلومات عن هذه المدينة إلا أنه من خلال البحث تعرفنا على أهمية موقعها الذي يربط شرق الأندلس بشمالها الشرقي ، وكذلك جوف الأندلس بمراكز الأندلس الساحلية على البحر المتوسط كبلنسية ومرسية ودانية ، ومما زاد في أهمية المدينة وجود المعادن فيها فضلاً عن اشتهار أهلها بصناعة الأنسجة الصوفية.

فتحها المسلمون ضمن كورة تدمير من قبل عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٣هـ/٧١١م وسكنها العديد من القبائل العربية والبربرية ، إلا أن أهميتها السياسية ظهرت في عهدي المرابطين والموحدين إذ تحولت إلى منطقة ثغرية عبرها تمر الجيوش إلى منطقة الثغر الأعلى الشرقي الأندلسي ، وكغيرها من مناطق شرق الأندلس تعرضت إلى هجمات مملكة أراغون حتى سقوطها في حدود سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م.

## مصادر ومراجع الكتاب

### أولاً: المصادر الأولية

- ١- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) تحفة القادم، علق عليه إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
- ١- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٥م
- ٢- الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط٢، مصر ١٩٨٥م.
- ٣- معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٠م.
- ٤- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
- ٥- الأندلس من الكامل في التاريخ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش، ط١، دمشق، ٢٠١٥م
- ٦- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت.
- ٧- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).
- ٨- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٩- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)
- ١٠- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غريال، القاهرة، ١٩٦١م.
- ١١- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)
- ١٢- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ١٣- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م)
- ١٤- الصلة في تاريخ علماء الأندلس، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري، ط٢، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ١٥- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)

- ٨ - المسالك والممالك، منشورات دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م.
- ابن بلقين، عبد الله (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م).
- ٩ - منكرات الأمير عبد الله المسمى بكتاب التبيان، تحقيق أ. ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)
- ٩ - الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- البيهقي، أبو بكر علي الصنهاجي (ت قبل ٥٨٠هـ / ١١٨٤م)
- ٨ - أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة، والوراقة، الرباط، ١٩٧١م.
- الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م)
- ١١ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت، ١٩٨٧م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م
- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجائها، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م.
- ١٠ - رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م.
- ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب القرطبي (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٢م)
- ١٢ - مختصر في الطب، العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب، تحقيق محمد أمين الضناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)
- ١٣ - جنوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: حوالي ٧١٠هـ / ١٣١٠م)
- ١٤ - الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م.
- الحميري، نشوان بن سعيد الحميري اليميني (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م)
- ١٥ - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩م.
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
- ١٦ - صورة الأرض، ط٢، مطبعة بريل، لندن، ١٩٣٨م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)

- ١٧- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، (للقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦م) تحقيق محمود علي مكي، ط١، الرياض، ٢٠٠٣م.
- ١٨- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبة ٢٣٢ - ٢٦٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٨٠م) تحقيق محمود علي مكي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.
- ١٩- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
- ٢٠- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ/ ٩٧٠ - ٩٧٤م)، تحقيق عبد الرحمن علي الحجى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.
- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الاشبيلي (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)
- ١٨- قلائد العقيان في محاسن الأعيان، طبعة بولاق، ١٨٦٦م.
- ابن الخراط، أبو محمد (٥٨١هـ/ ١١٨٥م)
- ٢١- اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق ايميليو موينا و خافينتو بوسيك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون العربي، مدريد، ١٩٩٠م.
- الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث (٣٦١هـ/ ٩٧١م)
- ٢٢- قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، عني بنشره السيد عوت عطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م).
- ٢٣- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ٢٤- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٢٥- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، عني بتصحيحه السيد البشير الفورتى، ط١، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، بدون تاريخ.
- ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهرسه ونشره، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)
- ٢٦- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار

- الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٢٧- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).  
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان بتحقيق إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م.
- ٢٨- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)  
٢٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٣٢- سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ٢٩- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (ت ٣١٣هـ/ ٩٢٥م)  
٢٩- الحاوي في الطب، اعتنى به هيثم خليفة طعيمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٢٤- الرشاطي، أبو محمد (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)  
٢٤- الأندلس من اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إيميليو موئينا وخايننتو بوتيك بيللا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٨٠م.
- ٢٦- الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (بعد ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م)  
٢٦- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٣٠- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)  
٣٠- تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار الهداية، بدون مكان وسنة الطبع.
- ٣١- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)  
٣١- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.
- ٢٣- الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، ١٩٧٢م.
- ٢٣- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد ٥٤١هـ/ ١١٥٤م)  
٢٣- كتاب الجغرافية، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- ٢٨- ابن السباط، حمزة بن أحمد بن عمر (ت ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م)  
٢٨- صدق الأخبار، تاريخ ابن السباط، عني به وحققه عمر عبد السلام تدمري، ط١، طرابلس، لبنان، ١٩٩٣م.

- ابن سعيد، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)
- ٣٢- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج١، ١٩٥٣م، ج٢، ١٩٥٥م.
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)
- ٣٣- غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الدكن، ١٩٦٤م.
- السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفه الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م)
- ٣٠- معجم السفر، تحقيق عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ب.ت.
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)
- ٣٤- الأنساب، تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي، حيدرآباد، ١٩٦٢م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)
- ٣٥- المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جمال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
- ٣١- تاريخ الخلفاء، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م.
- شيخ الربيوة، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)
- ٣٦- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.
- ابن أبي صاحب الصلاة، عبد الملك (ت حوالي ٥٩٤هـ / ١١٩٨م)
- ٣٧- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٧٩م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)
- ٣٨- الواقي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الضبي، أبو جعفر أحمد بن عيسى (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)
- ٣٩- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م
- ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)
- ٤٠- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجليل، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)
- ٤١- الذليل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٥م.
- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ / ١٣١٢م)

- ٤٢- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة جس كولان وإ-  
 ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١م؛ ج٢، ج٣، ج٤، والجزء الخاص بالموحدين  
 تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.  
 - العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)
- ٤٣- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار واليستان في  
 غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني،  
 منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دت.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)
- ٣٢- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.  
 - ابن عسكر، أبو عبد الله بن عسكر (ت ٦٣٦هـ / ١٢٢٨م)، وابن خميس، أبو بكر بن  
 خميس (ت ٦٣٩هـ / ١٢٤١م)
- ٣٧- مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط  
 التقي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ودار الأمان، الرباط، ١٩٩٩م.
- العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد الكاتب (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)
- ٣٨- خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق أذرتاش أذرتوش، الدار التونسية للنشر،  
 ١٩٧١م.
- ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب البلنسي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)
- ٤٤- قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة،  
 تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٦م.
- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
- ٣٤- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.
- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م)
- ٣٩- الديات المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق محمد الأحمد،  
 القاهرة.
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)
- ٤٥- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويقي، ط١، دار الكتب  
 العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥م)
- ٤٠- مختصر كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، بيروت، ١٩٩٦م.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ط١، دار سعد، بيروت، ٢٠٠٠م.

- ٤٦- القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت، ٢٠٠٥م.
- القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)
- ٤٧- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق سعيد أحمد أعراب، ج٦، ط١، المغرب، ١٩٨٣م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)
- ٤٢- أدب الكاتب، المكتبة التجارية، ط٤، مصر، ١٩٦٣م.
- ابن القطان، حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي (ت ٢٢٨هـ / ١٢٣٠م)
- ٤٨- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، ط٢، دار الغرب العربي، بيروت، ١٩٩٠م.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).
- ٤٣- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.
- ابن قطلوبغا، أبو الفداء زين الدين قاسم (ت ٨٩٧هـ / ١٤٩١م)
- ٤٩- الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، تحقيق شادي بن محمد بن سالم، مركز النعمان للبحوث والدراسات، صنعاء، ٢٠١١م.
- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)
- ٣٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
- ٤٦- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م.
- القيسي الدمشقي، شمس الدين محمد بن عبد الله (ت ٤٤٢هـ / ١٤٣٨م)
- ٤٧- وضوح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
- ٥٠- البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
- ٥١- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نسان جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي، مطبعة الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.
- ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله (ت ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م)
- ٥٢- لإكمال في رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

- مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).
- ٥٣- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧م.
- مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ/١٤٨٩م).
- ٤٧- تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوياية، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، والنسخة الأخرى بتحقيق لويس مولينا، بعنوان ذكر بلاد الأندلس، مدريد، ١٩٨٣م.
- مجهول، مؤلف (كان حياً ٧١٢هـ/١٣١٢م)
- ٤٨- مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوياية، ط١، الرياض، ٢٠٠٥م.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)
- ٥٤- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ابن معصوم المدني الحسيني، علي بن أحمد (ت ١١٢٠هـ/١٧٠٨م)
- ٥٥- الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول، تحقيق مؤسسة آل البيت، وتقديم علي الشهرستاني، بدون مكان وسنة الطبع.
- المقدسي، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشافعي البشاري (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)
- ٥٦- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وحواشيه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧م.
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ / ١٦٣١م).
- ٥٧- فح الطيب من فطن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/١٣١١م)
- ٥٣- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)
- تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (إفريقية والمغرب- الأندلس- صقلية واقريطش ٢٧- ٧١٩هـ/١٣١٩٦٤٧م)، من كتاب نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.
- ٥٨- نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، ط١، دار الكتب، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
- ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد الكندي (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)
- ٥٥- تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م)

- ٤٥- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٥م
- اليافعي، أبو عبد الله محمد بن أسعد (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)
- ٥٩- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
- ٦٠- الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، ط١، البصرة ٢٠١٢م.
- ٦١- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

### ثانياً: المراجع الحديثة:

- أدهم، علي
- ١- المعتمد بن عباد، بيروت، د. ت.
- أرسلان، شكيب
- ٢- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط١، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٦م.
- أشباخ، يوسف
- ٣- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.
- البستاني، فؤاد إفرام
- ١- المنجد الأبجدي، قاموس عربي - فارسي، ترجمة رضا مهيار، طهران، ١٣٧٠هـ.
- التواتي، عبد الكريم
- ٤- مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، ط١، الدار البيضاء، ١٩٦٧م.
- جابر، جابر خليفة
- ٤- بنو مردنيش ودورهم السياسي والسكري في الأندلس (٥٢٨ - ٦٣٦هـ/١١٣٤ - ١٢٣٨م) ط١، دمشق ٢٠١٧م.
- أبو حبيب، سعدي
- ٤- ثقاموس الفقهي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.
- الحججي، عبد الرحمن علي.
- ٢- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢- ٨٩٧هـ/ ٧١٠ - ١٤٩١م)

- ط١، بغداد، ١٩٧٦م
- الدرويش، جاسم ياسين
- ٥- أعلام نساء الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧م.
- الدرويش والعلياوي، جاسم ياسين وحسين جبار
- برشلونة بين الإسلام والنصرانية، دار تموز للطباعة، دمشق، ٢٠١٧م.
- ٣- دراسات في تاريخ المدن الأندلسية، (لاردة - بياسة - أستورقة)، دار تموز للطباعة، ط١، دمشق، ٢٠١٧م.
- دندش، عصمت عبد اللطيف
- ٤- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحيدين، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- دوزي، رينهرت
- ٥- تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، من ١٩٧٩م - ٢٠٠٠م.
- رويحة، أمين
- ٦- التداوي بالأعشاب، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.
- السامرائي، خليل إبراهيم.
- ٩- علاقات المرابطين بالممالك الأيبانية بالأندلس وبالندول الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦م
- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.
- ٧- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦م.
- السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد الناصري
- ٨- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون تاريخ.
- الصويغ، خالد
- ١١- تاريخ العرب في الأندلس (الفتح وعصر الولاة ٩٢ - ١٣٨ هـ / ٧١٠ - ٧٥٥م) دار النجاح، بيروت، ١٩٧١م.
- طقوش، محمد سهيل
- ١٠- تاريخ المسلمين في الأندلس، ط٣، دار النفائس، بيروت، ٢٠١٠م.
- طه، عبد الواحد ذنون.
- ٩- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة

- الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٢م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح
- ١٠- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط٩، القاهرة، ١٩٨٣م.
- العبادي، أحمد مختار
- ١١- صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط١، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- العبودي، فاطمة علي حسين عجيل
- ١٢- الأحوال السياسية والعلمية في مدينة البيرة (٩٢- ٤٠٣هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٦م.
- عنان، محمد عبد الله
- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ١١- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ط١، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م
- ١٢- دولة الإسلام في الأندلس، ط٣، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م
- ١٣- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط١، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.
- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، القاهرة، ١٩٦٦م.
- عيسى، أحمد
- ١٤- تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م.
- كحالة، عمر رضا
- ١٦- معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت.
- كراتشوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش
- ١٧- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، ١٩٦٣م.
- مؤنس، حسين.
- أطلس التاريخ الإسلامي، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.
- الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٢م.
- ١٥- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة

- الأموية ٩٢ - ٧١٠/هـ - ٧٥٥ م، ط١، القاهرة، ١٩٥٩ م.
- المياح، عبد الرحمن رشك
- ١٦ - أوروبا في كتب البلدانين العرب المسلمين، دراسة في الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية، ق ٣ - ٨ هـ / ٩ - ١٤ م، بغداد، ٢٠٠٨ م.
- هنتس، فالتر
- ١٦ - المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، عمان ١٩٧٠ م.
- نصر الله، سعدون
- ١٧ - تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٨ م.